

مجلة

الصباح للبحوث

المجلد: ٤، يناير ٢٠١٩ م مجلة بحثية محكمة سنوية



قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

(كلية ذات كفاءة للامتياز، معترفة ومحكمة بدرجة A+)

لدى المجلس الأعلى للجامعات الهندية، نيودلهي

كاليكوت، كيرالا، الهند، ٦٧٣٦٣٢

هيئة التحرير

هيئة الاستشارة

- ☐ د/ محمد بشير كي، شيخ الجامعة، جامعة كاليكوت، كيرالا
- ☐ د/ عبد المجيد. تي. أي، وكيل الجامعة، جامعة كاليكوت، كيرالا
- ☐ د/ كي. م. نصير، عميد كلية فاروق، كيرالا
- ☐ الأستاذ الدكتور/ محمود درابسة، عميد شؤون الكلية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
- ☐ د/ سي. بي أبوبكر، أستاذ مشارك ورئيس سابقا، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا
- ☐ د/ بشير أحمد جمالي، الأستاذ ورئيس القسم، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهريال نهر، نيودلهي
- ☐ د/ حبيب الله خان، الأستاذ، قسم العربية ورئيس القسم، الجامعة الملكية الإسلامية، نيودلهي
- ☐ د/ رضوان الرحمان، الأستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهريال نهر، نيودلهي
- ☐ د/ ثناء الله الندوي، الأستاذ، قسم العربية، جامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة
- ☐ د/ أن. أي. محمد عبد القادر، الأستاذ الفخري، جامعة كاليكوت، كيرالا
- ☐ د/ أي. بي. محي الدين كوتي، مدير قسم اصلاحات شؤون الأقلية، حكومة كيرالا، الهند.

رئيس التحرير

- ☐ د/ علي نوفل. كي رئيس القسم ومشرف البحوث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق.

المحرر

- ☐ د/ صغير علي. تي. بي أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق.

الأعضاء

- ☐ د/ يونس سليم، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق
- ☐ د/ ساجد. إي. كي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق
- ☐ د/ عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق
- ☐ د/ محمد عابد. يو. بي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق
- ☐ د/ عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق
- ☐ د/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق

هيئة المراجعة والتحكيم

- ☐ د/ إي. عبد المجيد، رئيس قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا
- ☐ د/ محمد قطب الدين، أستاذ مشارك، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهريال نهر، نيودلهي
- ☐ د/ أن. عبد الجبار، أستاذ مشارك ورئيس سابقا، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا
- ☐ د/ جمال الدين الفاروقي. ك/ي، عميد كلية دار الأيتام (السابق)، موتل، ويناد، كيرالا
- ☐ د/ يو. سيد علوي، عميد كلية مليبار للدراسات العليا بونغارا، ملابرم، كيرالا
- ☐ د/ سي. سيد علوي، عميد كلية يونيتي للبنات، مانجيري، كيرالا

قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا في سطور

- تأسيس: ١٩٤٩ م
- البكالوريوس في اللغة الشرقية (BOL): ١٩٤٩ م
- البكالوريوس في اللغة العربية: ١٩٥٩ م
- البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ الاسلامي: ١٩٦٦ م
- الماجستير في اللغة العربية: ١٩٦٧ م
- البحوث في اللغة العربية وآدابها: ٢٠٠٠ م

الرؤساء السابقون

- د/ سي. بي. أبوبكر (٢٠١٢-٢٠١٥)
- د/ أن. عبد الجبار (٢٠١١-٢٠١٢)
- الأستاذ كي. تي. حمزة (٢٠١٠-٢٠١١) تاريخ الالتحاق بالكلية سنة ١٩٨١ م
- د/ دي. بي. عبد الرشيد (١٩٩٣ - ١٩٩٥ و ٢٠٠٣-٢٠١٠)
- الأستاذ وي. بي. عبد الحميد (١٩٩٥ - ٢٠٠٣)
- الأستاذ أم. محمد (١٩٨٧ - ١٩٩٣)
- الأستاذ كنج معي الدين كوتي (١٩٨٣ - ١٩٨٧)
- الأستاذ علي كنجي
- الأستاذ وي. محمد

أعضاء هيئة التدريس السابقون

- د/ بي. أحمد سعيد
- الأستاذ وي. سوبي
- الأستاذ كي. بي. كنج محمد
- الأستاذة طاهرة بي وي
- د/ أحمد ابراهيم رحمة الله
- د/ كي. وي. ويران معي الدين
- د/ كي. أم. محمد

- د/ اسماعيل لبي
- الأستاذ أن. عبد الحميد
- الأستاذ بي. بي. عبد الحميد
- الأستاذ علي كنجي
- الأستاذ وي. محمد
- الأستاذ أم. أي. فريد
- الأستاذ بي. أم. سليم
- الأستاذ إي. سي. أبوبكر
- الأستاذ أو. كي. حسن
- الأستاذ أم. أبوبكر
- الأستاذ كي. عثمان
- الأستاذ كي. بي. أبوبكر
- د/ أن. أي. محمد عبد القادر
- د/ أي. بي. محي الدين كوتي
- د/ يو. سيد علوي

هيئة التدريس الحالية

- د/ علي نوفل. كي، أستاذ مساعد ورئيس القسم ومشرف البحوث
- د/ يونس سليم. سي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ ساجد إي. كي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ محمد عابد. يو. بي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ صغير علي. تي. بي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث،
- د/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد ومشرف البحوث.



كروولي محمد مولوي: نبراس العربية في كيرالا

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ كروولي محمد مولوي يوم ١٩ من شهر يوليو سنة ٢٠١٨م عن عمر يناهز مائة سنة، بعد حياة مليئة بالعطاء العلمي والثقافي في ربوع كيرالا. واللغة العربية مع دارسها ومدرسها مدينة للأستاذ كروولي محمد مولوي في انتشارها وتوسيع نطاقها المدرسي والأكاديمي، وتطورها إلى المسار السائد مع اللغات والعلوم الأخرى في البلاد.

كان المولوي من مواليد ١٩١٩م، وبعد المراحل الثانوية واصل دراسته العليا وتخرج من جامعة مدراس عام ١٩٣٨م حاملاً شهادة أفضل العلماء، وبدأت حياته العلمية الرسمية عام ١٩٤٢م مدرساً للغة الأردية، وتم تعيينه في منصب معلم اللغة العربية في مدرسة في محافظة كاساراكود عام ١٩٤٣م ثم عين مدرساً في محافظة مالابورام حتى ترقى إلى منصب مراقب شؤون الطلبة المسلمين عام ١٩٦٢م وظل يخدم لغة الضاد وأصحابها حتى تقاعد عام ١٩٧٤م.

وبعد التقاعد لم يكن منعزلاً عن النشاطات العلمية، وقد نذر حياته تماماً للغة الضاد، يتمثل ذلك اشتغاله بعدد من المناصب والوظائف التي ظهرت فيها قدرته التربوية والقيادية. وما إن شكلت الحكومة لجنة تأليف المقررات المدرسية عام ١٩٥٧م حتى وكل إليه مهمة تأليف المقررات العربية، وكان هو المنسق الرئيسي، فقام بدوره في جمع وترتيب المقررات برؤية متقدمة تتمشى مع متطلبات العصر، كما أنه عمل عضواً في هيئة الدراسات العربية بجامعة كاليكوت، وفترة

أخرى للدراسات الأردنية، وقد اختارته جامعة ميسور ليكون عضوا بارزا في هيئة الدراسات العربية هناك. كما أن حكومة الهند انتدبته للدراسات عن أوضاع المدارس في منطقة لاکشاديب الهندية. وقد أثبتت الأيام حسن تصرفه ونزاهته في كل ما وكل إليه من المهام التربوية والإدارية.

وإليه يرجع الفضل في تشكيل اتحاد معلمي العربية بكيرالا عام ١٩٥٩ م، وكان هو رئيسه التأسيسي واستمر في رئاستها لفترة طويلة، واستطاع بجهوده المخلصة إيجاد شخصية رائعة لمعلمي اللغة العربية ونفخ فيهم روح الحيوية والمثابرة مما صار للإتحاد صدى واسع في أوساط التربية والثقافة والسياسة. وبجانب لغة مالايالم، كان المولوي يجيد اللغات الأردية والفارسية والهندية، مما تيسر له تفعيل قدرات المثقفين في الأمة المسلمة ومهاراتهم العلمية تحقيقا للإصلاح الديني والاجتماعي.

وقد وفقه الله ليبقى شخصية قوية النفوذ في كل الأوساط في المجتمع الإسلامي طول حياته. وترك فيها بصماته واضحة جلية. وكانت تجاربه العلمية ومعارك الحياة التي خاضها ما زالت مصدر إلهام قوي للشباب والناشئين في كيرالا. وبجانب المناصب الرسمية كان يقوم بدوره القيادي والإداري في عدد من اللجان والجمعيات الدينية والتربوية. وقد شهدت كيرالا المسلمة خطباته المؤثرة من منابر الجمعة، وهو الذي أخذ زمام المبادرة لتأسيس المجمع العربي لذكرى السيد سي. أج. محمد كويا، زعيم المسلمين السياسي والتربوي، مما يمكن القول إنه أصبح شاهد القرن دراسة وتديسا وإفادة واستفادة.

وكان المولوي على علاقة وثيقة بقسم العربية، بكلية فاروق منذ إنشائه، وقد تشرفنا بحضوره في حفلة التكريم التي أقامها القسم في ٨ مارس ٢٠١١ م، حيث حضر معه الأستاذ محمد كوتاشيري والأستاذ كولاتور محمد مولوي. وقد أثرى الأستاذ بخدماته المتضافرة المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية على حد سواء. وتوفي ليحيا إلى الأبد في قلوبنا ووجداننا... والحسنات لا تموت... تغمده الله بخيراته وبركاته واسكنه فسيح جناته....

رئيس التحرير

المحتويات

الرقم	عناوين المقالات	اسم الكاتب	الصفحة
١	جمالية استحضار الوطن في الشعر الشعبي الجزائري قصيدة «قلبي تفكر لوطن» لمصطفى بن ابراهيم	الدكتورة/ براهيمى فطيمة الدكتور/ قشي محمد	١١
٢	حنا مينه : عاشق البحر و قصصه (١٩٢٤-٢٠١٥)	الدكتور/ ن. عبد الجبار	١٨
٣	دراسة تاريخية عن الثورات الشعبية ضدّ البرتغاليين في مليبار	السيدة/ : سكينه . ام كي الدكتور/سى بى أبوبكر	٢٥
٤	عبد الوهاب السيد الرفاعي واسهاماته في أدب الرعب	الدكتور/ محمد عابد. يو. بي	٣٢
٥	جماليات السرد في "سرد الذات" للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي	السيد/ محمد فواز. كي	٣٧
٦	المدرسة الرومانسية في الأدب العربي	الدكتور/ أشرف الدين	٤٢
٧	شعر المقاومة الفلسطينية: نظرة عامة	الدكتور / إي. كي. ساجد	٤٨
٨	الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم	الدكتور / محمد كي	٥٣
٩	الأفكار البيئية في رواية "وحدها شجرة الرمان" لسنان أنطون	السيد/ سمير. كي. شي	٥٩

١٠	اسهامات ناصر الظاهري؛ صالون الأدب والثقافة والإعلام	السيد / ياشد ماتاي	٦٤
١١	موقف الإسلام من الشعر والشعراء	السيد / شفيق حسن	٦٨
١٢	القصة القصيرة : مميزاتها وخصائصها	السيدة/ رجينة. تي. ك	٧٤
١٣	الأدب العربي والنقد الحديث عند الاستاذ احمد ابراهيم(ر)	الدكتور / عبد المجيد أ أي	٧٩
١٤	الأدبيات وخصائصها لسلطان القاسمي في كتابة التاريخ	السيد/جمشير بي. كي	٨٤
١٥	نشر الرسائل الجامعية- الأصول والمبادئ	السيد/محمد شاه	٨٨
١٦	النقد الأدبي ووظائفه	السيد/توصيف الرحمن ضياء الرحمن	٩٧
١٧	جمال فايز ومميزاته الأدبية	السيد/شرف الدين الدكتور/ محمد عابد. يو. بي	١٠٣
١٨	حضور المرأة في حياة جبران خليل جبران	السيدة/جوهرة بي	١٠٧
١٩	الاتجاه النفسي في القرآن الكريم	الدكتور / يونس سليم	١١٣
٢٠	أدب الغربية : مرآة تنعكس عن أدب المهجر في مليبار	السيدة/حسينة بيغم الدكتور/سيد علوي	١١٦

٢١	القصائد الغزلية في أشعار الشاعر الهندي عبد الله محمد السلي	السيد/عبد الحكيم	١٢٠
٢٢	القاص إبراهيم مبارك	السيد/ناشد.كي الدكتور/عباس كي بي	١٢٨
٢٣	الشعر القطري في مرحلة ما بعد اكتشاف النفط	الدكتور/عبد الغفور	١٣١
٢٤	توظيف الفولكلور في الرواية: رواية 'الشيخ فرح' لد.عمر عبد العزيز أنموذجا	الدكتور / عبد الجليل. يم	١٣٥
٢٥	مفهوم الهجرة والاعتراب و تصوير أزمة الهوية في الروايات العربية الحديثة	السيد/عبدالله الدكتور / عباس كي بي	١٤١
٢٦	اللغة العربية في عصر العولمة والتقنية المعلوماتية	السيدة/محسنة بي. وي	١٤٥
٢٧	الخماسية وسائر المقطعات الشعرية واستخدامها لدى الشاعر عمر بهاء الدين الأميري	السيد/أنيس تي كي	١٥٣
٢٨	النهضة الأدبية الشعرية في اليمن	الدكتور / صغير علي تي. بي	١٥٩
٢٩	الدكتورعمر فضل الله و مجهوداته في إحياء الروايات العربية في السودان	السيد/محمد مختار بي بي	١٦٦
٣٠	أزمة المهاجرين في رواية "ظل الشمس" لطالب الرفاعي	السيد/سلمان الفارسي ي. س, الدكتور/ صغيرعلي. تي. بي	١٧٠
٣١	بين التحدي و إدراك المعجزة : الإعجاز القرآني في منظور عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ	السيد/نحاس أ. أتش الدكتور /كي. علي نوفل	١٧٤

٣٢	الروائي القاص حنا مينه	السيدة/بشني هدى	١٧٩
٣٣	المديح النبوي في ولاية تامل نادو	السيد/أبو بكر، كي الدكتور / محمد عابد. يو. بي	١٨٥
٣٤	المرأة ومكانتها في العصور السابقة للإسلام	السيد/ عبد الجليل. ب.ك. الدكتور / عبد الرشيد	١٩٢
٣٥	الإمام الشافعي رحمه الله شاعر القيم الإنسانية	السيد منير يم. كي الدكتور/ عبد المجيد	١٩٧
٣٦	الدراسات القرآنية والعولمة: التأثير والتأثير	السيدة/ سمية، كي، بي	٢٠٢
٣٧	المدارس الإسلامية في كيرالا ودورها في الثقافة الدينية	السيد شفيق. بي. بي الدكتور/كي. علي نوفل	٢٠٦
متابعات			
٣٨	علي أحمد باكثير: إضاءات شخصية	الدكتور/ شهاب غانم	٢١٣



جمالية استحضار الوطن في الشعر الشعبي الجزائري قصيدة «قلبي تفكر لوطن» لمصطفى بن ابراهيم

الدكتورة/ براهيمى فطيمة

الدكتور/ قشي محمد^١

الملخص:

لا تنهض أمة من الأمم إلا على مجموعة من المقومات التي تزيد في وجودها من جهة، وفي اثبات كيانها من جهة أخرى، فهي متنوعة ومتعددة من دين، لغة عربية، معتقدات، فكر، ثقافة فهذه الأخيرة تضم بين جنباتها الثقافة الشعبية أو ما يطلق عليه بالأدب الشعبي الممثلة في الفلكور، حكايات شعبية، أهازيج شعبية، و شعر شعبي، وفيه برز شعراء شعبيين كثير نذكر من بينهم على سبيل التمثيل لا الحصر «مصطفى بن ابراهيم» الذي اشتهر بقصائده المتنوعة عن المرأة، و الوطن و غيرهما التي ذاع صيتها وقصيدته «قلبي تفكر لوطن». يشكل موضوع الوطن في الآداب العالمية عموما والجزائرية خصوصا، وفي النصوص الشعرية الشعبية تحديدا من أبرز السمات التي يتسم بها أي شاعر اتجاه وطنه، فقد تغنى به الكثير في حال الثورة و الاستقلال، و من الشعراء الذين اهتموا به وبتوظيف تيمة الوطن في الشعر الشاعر الشعبي «مصطفى بن ابراهيم» في إحدى قصائده المشهورة «قلبي تفكر لوطن» الإشكالية المطروحة هنا ماهو الأدب الشعبي؟ وما هو الشعر الشعبي؟ كيف تم اسحضار الوطن لدى «مصطفى بن ابراهيم» في قصيدة قلبي تفكر لوطن؟ هذا ما ستحاول هذا البحث الإجابة عنه.

١- مفهوم الأدب الشعبي:

يمثل الأدب الشعبي أحد الركائز المهمة في المجتمع، فهو المرأة التي تعكس صورته الحقيقية، وهو نوع من الأنواع الإبداعية الشعبية المتنوعة، وباعتباره المعين الذي لا ينضب، فهو مازال ميدانا خصبا للدراسات و البحوث لما يتميز به ثراء وغنى معرفي، وفي هذا المقام لا بأس من تقديم بعض المفاهيم و التعاريف المتعلقة به. يذهب «حلمي بدير» إلى تقديم تعريف حول الأدب الشعبي فهو: «تراث تاريخي وفكري فهو الذي ينتقل بفكره للأمة وعاداتها وتقاليدها وحكاياتها وقصصها وأنسابها ومعتقداتها من جيل على جيل»^٢.

١ قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر
٢ حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الادب الحديث، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٦ م، ص ٢٦.

يضيف «إبراهيم عبد الحافظ» قائلا: «إذا ما حاولنا تعريف الأدب الشعبي بأنه نوع من الخلق الأدبي الشعبي، وأنه أحد أقسام الثقافة الشعبية (الفلكور)، فالتسميات التي تطلق على الأدب الشعبي تتعدد عند الباحثين وهو ريشارد دورسون على سبيل المثال فيسميه بالأدب الشفاهي..... والفن القولي... والأدب التعبيري.....^١. كما يضيف «فاروق خورشيد»: «إنما نقصد هذه الكلمات العامة التي يرددها الزجالون في أزجالهم المحلية، سواء غناء أو أداء أو ترديدا... أو هذه الحكايات التي تحكمها الجدات للحفدة من صبيان و بنات... أو مجموعة الأمثال الشعبية المحلية العتيقة التي تتردد داخل مجتمع ما، في إقليم ما، في عصر ما....^٢. يرى «أسامة خضراوي» أن الأدب الشعبي يعد: «موضوعا من الموضوعات التي تنتمي إلى التراث الشعبي باعتباره من أبرز موضوعاته، وأكثر عراقا، وأوفرها حظا من البحوث والدراسات...»^٣.

تربط «نبيلة إبراهيم» الأدب الشعبي: «في خلجات الشعوب النفسية واهتماماتهم الروحية، بعد ان كانت محجوبة عنا... لا نعرف من الأدب الشعبي سوى أنه خرافات لا صدق وراءها، ولم يكن ذلك إلا بفضل هؤلاء الذين قدروا الكلمة في صورها... فالإنسان لا ينطق بكلمة إلا إذا كان وراء ذلك مغزى^٤. كما يُعرفُ الأدب الشعبي بأنه: «أدب مجهول المؤلف، عامي اللغة، المتوارث جيلا عن جيل بالرواية الشفوية»^٥. كما تتعدد عناصر الأدب الشعبي من: «القصة، الشعر، الحكاية الخرافية، وكذا الأغاز، والأغاني النابعة كلها من إلهام وإبداع طبقات الشعب»^٦. ويضاف إلى هذا أن الأدب الشعبي مقرون بالشعر الشعبي.

٢- الشعر الشعبي :

من الصعوبات التي تواجه عديد الباحثين والدارسين على وضع تعريف أو مفهوم جامع و مانع لمفهوم الشعر الشعبي، حيث لا يمكن القبض بمفهومه من أجل إبراز كيانه، و عليه يمكن الوقوف على بعض المفاهيم التي وضعها بعض المهتمين بحقل الدراسات الشعبية: «بغية الوصول إلى رؤية واضحة تفك غموض هذا الأمر على كل من تلبس عليه تعريف بين الشعر الشعبي و الشعر العربي»^٧. و يقدم «خليل أحمد خليل» مفهوم للشعر الشعبي: «إن الشعر الشعبي هو المروي و المكتوب معا، هو الفصيح و العامي معا، القديم والمتجدد معا، و هو إلى جانب ذلك الكامل ثقافيا لطموح عان لدى الشعب»^٨. ارتبط مفهوم الشعر الشعبي بطبقات المجتمع بكل شرائحه.

عرف الشعر الشعبي عدة تسميات مختلفة و متنوعة، فهناك من يدعوه بالشعر العامي، و منهم من

١ إبراهيم عبد الحافظ، دراسات في الأدب الشعبي، البيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣ م، ص ٢٠.

٢ فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، طبعة دار الشروق، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٧.

٣ سعدي محمد، الادب الشعبي بين النظرية و التطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨ م، ص ١٣ - ١٤.

٤ بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ٢٠٠٨ م، ص ٢٤.

٥ مرسي الصباغ، قراءة جديدة في الشعر الشعبي العربي، دار الوفاء لدنيا و النشر و الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢ م، ص ١٧ - ١٨.

٦ خليل أحمد خليل، الشعر الشعبي اللبناني، دراسة و مختارات، دار الطليعة، بيروت، دط، دس، ص ٥.

٧ ينظر أحمد قنشوبة، الشعر الغض، رابطة الادب الشعبي الجزائري، دار الفرائي، الجزائر، ٢٠٠٨ م، ص ١٩.

٨ أحمد يوسف، يتم النص و الجينولوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢ م، ص ٢٧.

يسميه بالشعر الطبيعي، و يذهب آخرون إلى تسميته بالشعر الملحون^{١٠}. إضافة إلى هذا هناك من يطلق عليه بالشعر البدوي، على جانب هذا اختلفت مصطلحات الشعر العربي: «إلى ملحون إلى زجل إلى شعر عامي، ولكن حاول أهل الاختصاص توضيح هذه الحدود توضيحا يبقى فيه هامش الاختلاف كبيرا مثل ارتباطه بالعامية و الرواية الشفوية و جهل مؤلفه، و بعضهم الآخر ربط صفة الشعبية بالعراقة و القدم و التعبير عن الوجدان الجمعي و الاهتمام بالنص في ذاته بدل الاهتمام بمؤلفه»^{١١}

اصطلح على الشعر الشعبي بمصطلحات كثيرة منها الشعر الملحون الذي عُرفَ في بعض بلدان المغرب العربي، فقد ذهب محمد المرزوقي «إن الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم أعم من الشعر الشعبي، إذ يشمل كل منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله، سواء دخل حياة الشعب فأصبح ملكا له أو كان شعر الخواص، و عليه فوصف الشعر أولى من وصفه بالعامي فهو من «لحن» يلحن في كلامه أي ينطق بكلام عامي أو بلغة عامية أي غير معروفة»^{١٢}. كما أشار عبد الله الركيبي إلى قضية تتعلق بالشعر الملحون ذلك أن «في معظمه تقليدا للقصيد العربية، فإن الفرق بينه و بينها يكمن في الإعراب، فهو إذن من لحن في الكلام، إذ لم يراع الإعراب و القواعد اللغوية المعروفة»^{١٣} و عليه يقدم «التلي بن الشيخ» مفهوما للشعر الشعبي و هو مفهوم يتطابق: «مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى مثل الملحون و العامي و الزجل»^{١٤}. تم رصد بعض المفاهيم الخاصة بالشعر الشعبي.

٣- الوطن في الشعر الشعبي :

يكتسب الوطن حضورا جليا و كبيرا في النصوص الشعرية عموما و النصوص الشعرية الشعبية الجزائرية على الأخص حضورا متميزا، و يستحوذ على أغلب الدواوين الشعرية في مراحل مختلفة، فالشاعر بهيم و يموت عشقا في وطنه، مستحضرا عبق الماضي بكل عنفوانه و أفراحه و أتراحه، و بين حاضره البعيد فيه عن وطنه متغربا في أوطان أخرى مشتاقا لهواه و أرضه و سماءه. قبل الحديث عن الوطن في أشعار الشعراء الشعبيين لنبأس من تقديم بعض المفاهيم حول الوطن لقد تم التعبير عنه : «في الشعر العربي بالفاظ و مصطلحات عدة تختلف حسب دلالتها المكانية، حسب الترتيب التالي مراعين التوسع المكاني لدلولاتها :

١- أماكن السكن : [المنزل و الدار و البيت].

٢- المعنى الأوسع لمكان السكن : [المغاني و الربوع].

٣- بقايا أماكن السكن : [الأطلال و الدمن و الآثار و الرسوم].

١ محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٥، ١٩٦٧م، ص ٥١.

٢ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث الجزء الأول، دار الكتاب العربي، دط، ٢٠٠٩، ص ٣٦١.

٣ التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ١٩٨٣م، ص ٣٨٦.

٤ وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية حتى القرن الثاني عشر الميلادي، معهد الدراسات الشرقية لينينغراد، أكاديمية العلوم السوفياتية، قسم اللغة العربية ط١، ١٩٧٥م-١٩٧٦م، ص ٤.

٥ عزيزة مريدن، القوة، و الإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، الدار القومية، مصر، ١٩٦٦م، ص ٦٤.

٤- معنى الوطن الواسع: [المدينة و الوطن و البلد و الأرض] .^١

و يرتبط موضوع الوطن بمدى التعلق به، و بهذا : «يختلف باختلاف المذاهب الفكرية و المعتقدات الدينية، فكل يعرفه حسب منبعه الثقافي و اتجاهه السياسي ووفقا لمبادئه، ورغم ذلك يمكننا القول أن كلمة الوطن تعني المنزل الذي يحل به المرء و ينزل فيه مع أهله و عشيرته، لأنّ تجمّع العرب قديما في بقعة ما كان على أساس قبلي لا جغرافي مكاني»^٢. و بالتالي : «قد نال تجسيدا شعريا في الإنتاج الفني الأدبي لكافة الشعوب في كافة الأزمنة»^٣. لا يتلخص الوطن في هذه التعريفات و المفاهيم البسيطة فهو يتجسد في الأحاسيس و المشاعر التي يمتلكها الإنسان اتجاهه. تتأصل في نفوس الناس و شائج عميقة و قوية بالوطن، فتتكون روابط التعلق به و الحنين إليه، و الشعراء هم أكثر من يلامس و يعايش هذه الأحاسيس أثناء غربتهم و تغربهم عن أوطانهم، وبرز شعراء كثير راحوا يتغنون به، و دبجوا قصائدهم به من هؤلاء الشعراء الشعبيين نلّفِي الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» الذي استحضّر الوطن في شعره، قام «عبد القادر بوعزة» بجمع أشعاره و رسم الديوان بـ: مصطفى بن إبراهيم شاعر بني عامر و مداح القبائل الوهرانية.

مصطفى بن ابراهيم : قصيدة قلبي تفكر لوطان ...

قلبي تفكر لوطان و الهالة	راني مهول مانيش في حالي
قلبي تخبل بالوحش تخباله	و علاه يا مرو غريب تلغى لي
نوبة نجالس شي ناس عقالة	و نقول ذا لؤل خير من التالي
نوبة نتفكر يا مثالة	و يثور جرح المحنة و يربى لي
و من بعد ما كنت عزيز في حالة	ماني شي باخس بسومتي غالي
شاني مع الطلبة شعت بمسالة	و نأمر الجن و علاش يهوى لي
وليت قاضي عندي العدالة	و نفكّ بين الشراع بفصالي
اعبيت قايد بطبول زعالة	و الحكم يظلم ما درت بفعالي
اهلي و ناسي في الشوم رجالة	اشحال من فجّ هداوه خالي
اركاب م البعد بيان شعالة	و القاط كمخة و السرج فيلالي
بارود يخرج م الجعب يتكالي	شبان تنطح في الشوم بمشالي
هدة -قلبي تفكر لوطان	الزهور و ركوب الخيل
ارعيتي و الفرسان	خودات في حراج تميّل
متحزمين للّقان	شبان يلغو بكحيل
إذا انتصب اليدان	قلال و قصب تاويل
و تقاصر و الغيوان	و فرايج طول الليل

١ وهيب طنوس ، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، مرجع سابق ، ص ٠٤.

٢ خالد حسين ، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل ، دار التكوين للتأليف و الترجمة والنشر ، دمشق ، ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٦

٣ عبد القادر بوعزة ، مصطفى بن إبراهيم ، شاعر بني عامر و مداح القبائل الوهرانية ، موقم للنشر ، وزارة الثقافة ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، الجزائر ، ٢٠١١ م ، ص ٢٢٦

سهرات بضبي القنديل
ما فات الزهو قبيل

سبسي وكيف الدخان
امشي نقار العديان

التحليل :

إن القصيدة الشَّعبية «قلبي تفكر لوطان» لـ «مصطفى بن ابراهيم» كانت إضافة وإضاءة شعرية متميزة، فهي تعزف أوتار الشَّوق والغربة والحنين إلى الوطن الأم حنين الابن لأمه، ويتجلى ذلك بوضوح في عنوان القصيدة «قلبي تفكر لوطان» فهي مشحونة بدلالات الحرقه واللهفة إليه وتنم عن المراتة بفقدته، في هذا المقام سنسلط الضوء على قصيدة من أشهر القصائد لابن ولاية سيدي بلعباس وتم أخذ مقطعين من القصيدة من أجل الدراسة.

أما جمالية استحضار الوطن تجلت بصور مختلفة في القصيدة وهي كالآتي :

أ-عتبة العنوان :

إن أي نص شعري مرهون بعنوان، فهو يمثل هويته الحقيقية، حيث يشكّل العنوان: «عدة عتبات تقود إلى القارئ إلى جغرافية النصّ، وتمنحه مفاتيح الاستكشاف لاستغوار مجاهيله، وإضاءة مناطقه المعتمدة عبر مجرّة الأسئلة التي تفجرها عناصر النصّ... أثناء فعل القراءة من جهة أخرى»^١. اختار الشّاعر «مصطفى بن ابراهيم» عنواناً قويا مشبع بدلالات تكشف عن روح تائهة بعيدة عن وطنها تتجرع قساوة الوحشة والحنين.

ب-التكرار:

تعددت الدوال التي وظفها الشاعر أولها التكرار، بحيث نجد قلبي تفكر لوطان تكررت في المقطعين الأول : قلبي تفكر لوطان والهالة راني مهوّل مانيش في حالي^٢.

يتكرر صدر البيت في المقطع الثاني، وفي كلمة «تفكر» لوحدها، فهذا التكرار يدل دلالة على حرقه واشتياق الشّاعر «مصطفى بن ابراهيم» لوطنه الجزائر (قلبي تفكر لوطان) يظهر تعلق يوطنه، فهو لم عقلي تفكر لوطان، بل قال قلبي تفكر لوطان تنم عن وجود روابط بين الشّاعر ووطنه مثل الجبل السري بين الأم ووليدها ويضيف كلمة (الهالة تعني الأهل)، أما في عجز البيت يعبر عن نفسيته المرهقة المشتاقة لوطنه وأهله: «و بالعودة إلى الزمن التاريخي الذي عاش فيه الشّاعر مصطفى بن ابراهيم نجده قد عاش ما يزيد عن خمس سنوات بعيدا عن وطنه وعن الأهل والأصدقاء، كما يؤكد ذلك الزمن على هذه القصيدة كتبت في هذه الغربة التي كانت قاسية وعنيفة على وجدان الشاعر حتى تركت فيه بصمات لم تمح أبدا»^٣.

١ محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغين في الخطاب الشعري الشعبي محاولة في رسم معالم الذات والآخر قلبي تفكر الأوطان، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (كراسك)، مجلة إنسانيات، رقم ١٧-١٨ ماي-ديسمبر ٢٠٠٢، ص ٧٥.

٢ محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغين في الخطاب الشعري القادر بوعزة، مصطفى بن إبراهيم، شاعر بني عامر ومداخ القبائل الوهرانية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.

٣ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أما عجز البيت: (راني مهوّل مانيش في حالي) يعبر عن حالته النفسية المرهقة المشتاقة لوطنه و أهله، تتوضح جمالية استحضار الوطن في انتقاء مفردات و الفاظ ذات معاني قوية تحرك كوامن النفس و خلجاتها، فتتوضح غربة الشاعر و تبرز صلته بوطنه و تغربه يمكن أن يكون بظروف و في هذا المقام تختلف الروايات حول هجرته إلى فاس المغربية مدينة العلم و العلماء، ذلك أن الشاعر كان يدرس القرآن الكريم فهي حاضرة اشعاع علمي.

يتكرر قلبي مرة أخرى في البيت الثاني: قلبي تخيل بالوحش تخباله و علاه يا مرو غريب تلغى لي^١. معنى البيت: قلبي تخيل بالوحش تخباله: من شدة الحنين إلى وطنه اشتعلت مشاعره حرقه و لوعة، و الثاني: و علاه يا مرو غريب تلغى لي: كأنه عتاب لوطنه، فكلمة: و علاه تعني لماذا، تتجاذب الشاعر عاطفتين شوق و عتاب كأنه يحاكي مرارة الفقد و مرارة العتاب فهو غادر وطنه في ظروف مختلطة فترة استعمارية عصبية على المجتمع الجزائري.

ج- خاصية الحكى:

غالبا ما يرتبط الحكى بالفن السردى (قصة، رواية....)، لكن الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» اعتمد عليه في القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، فهو يتجلى بصورة واضحة و قريبة في المقطعين الأول و الثاني. نجده يقول:

نوبة نجالس شي ناس عقالة ونقول ذا لول خير من التالي
نوبة نتفكر يا لمثالة و يثور جرح المحنة و يربى لي^٢.

يحمل البيتين: ثنائية ضدية تجلت في ما يتذكره الشاعر من الفترات مرت عليه، فلفظة نوبة تعني مرة (من مرات)، تتصارع داخل الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» (نوبة نجالس شي ناس عقالة*** و نقول ذا لول خير من التالي) مشاعر مختلفة بين جلوسه بين الناس من ذوي العقول الرزينة و بين مقارنته لأناس قبلهم وتفضيلهم عليهم في المجالسة. أما البيت الموالي: (نوبة نتفكر يا لمثالة*** و يثور جرح المحنة و يربى لي)، هذا البيت يتحرك صوب الجروح و المحن التي ثارت في نفس الشاعر، ما يلاحظ أن الشاعر: «مصطفى بن ابراهيم لم يتأقلم مع نمط معيشة أهل فاس، فلم يطب له المقام بها^٣. فديار الغربة لن تحل محل الوطن الأصل حتى لو عاش الشاعر في قصر كالمملك. يستحضر الشاعر بعض الوظائف و المهام التي يكون بها من بينها: تعليم القرآن الكريم و هو ما يظهر في البيت الموالي: شاني مع الطلبة شعت بمسالة و نأمر الجن و علاش يهوى لي^٣.

أما البيتين الأخيرين يتذكر عندما كان قاضيا عينته الإدارة الفرنسية الاستعمارية في فك النزعات التي تحدث بين الناس. يفتح الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» لنفسه نافذة ذكريات جميلة من زهور و امتطاء الخيل وغيرها بعثت فيه حياة ثانية، ليتجه نحو السهرات و الغناء و الفرجة و المرح في الليل برفقة الخلان و هو ما يتجلى في هذا البيت: و تقاصر والغيان وفرايح طول الليل..

١ حنيفي هلايلي، العرش و القبيلة في منظومة الشعر المحنون لمصطفى بن ابراهيم، ٢٤ أوت ٢٠١٦، ص ٥٠.

٢ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٣ المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

اتسم الشعراء بميزة أنهم يفرون إلى الطبيعة، وهو حال الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» يحاول أن يبذل كل ما هو موحش وكثير يحيط به، وذلك باستعادة تلك اللحظات التي كان يقضيها برفقة أهله وأحبابه، وفي الأخير يبقى الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» من أبرز شعراء الشعر الشعبي الجزائري الذين تغنون بالوطن ومجده ونظموا قصائد تعبر عن لواعجهم وأحزانهم وهم في الضفة الأخرى حتى لو تشابهت العادات والتقاليد في المغرب الشقيق لكن الشاعر روحه تهفو إلى حبيبته الجزائر.

تعريف الشاعر:

يعد الشاعر «مصطفى بن ابراهيم» من شعراء الشعر الشعبي الجزائري هو شاعر الوطن والغربة والحنين جزائريولد بقرية بوجبهة نواحي ولاية سيدي بلعباس سنة ١٨٠٠، هاجر إلى فاس، وعاش فيها قرابة ٥ سنوات، كان دائم الاتصال مع أهله في سيدي بلعباس، ثم رجع إلى مسقط رأسه واستسلم للمهدوء والراحة توفي سنة ١٨٦٧م.

الخاتمة:

- وقفت خاتمة البحث على جملة من النتائج نلخصها فيما يأتي :
- جمالية توظيف العامية في التناغم الموسيقي.
- الاعتماد على التكثيف والإيحاء.
- تبرز الجمالية في خلق المتعة يبين المتضادات عبر الأنساق التصويرية.
- اتكأ الشاعر على أسلوب الحكيم في سرد في قصيدته فرسم صورته وسيرته تبين معاناته وقهره في الغربة

المصادر والمراجع

١. ابراهيم عبد الحافظ، دراسات في الأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣ م.
٢. أحمد يوسف، يتم النص والجنينالوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢.
٣. أحمد قنشوبة، الشعر الغض، رابطة الادب الشعبي الجزائري، دار الفرابي، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٤. أسامة خضراوي، الأدب الشعبي الماهية والموضوع، مجلة الثقافة الشعبية فصلية علمية محكمة، العدد ٣٠، السنة الثامنة، صيف ٢٠١٥ م،
٥. بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٦. حلي بدير، أثر الأدب الشعبي في الادب الحديث، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٦ م،
٧. خليل أحمد خليل، الشعر الشعبي اللبناني، دراسة ومختارات، دار الطليعة، بيروت، دط، دس ٢٠٠٢م.
٨. سعيد محمد، الادب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٨م.
٩. فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، طبعة دار الشروق، بيروت، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م،
١٠. مرسي الصباغ، قراءة جديدة في الشعر الشعبي العربي، دار الوفاء لدنيا والنشر والإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م.
١١. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م.



حنا مينه : عاشق البحر وقصصه (١٩٢٤ - ٢٠١٥)

الدكتور/ ن. عبد الجبار^١

الملخص:

يعدّ حنا مينه أحد كبار الكتّاب الرواية العربيّة من سوريا وتتميّز رواياته بالواقعيّة. واعتبره بعض النقاد شيخ الرواية السوريّة. إنّ معظم رواياته تحدثت عن ما يحيط به من مشاكل وأحداث يمرّ بها هو أو صديقه أو بلده.

حياته:

ولد في ٩ آذار/ مارس ١٩٢٤ في اللاذقية لأسرة فقيرة. قضى طفولته في قرية السويدية القريبة من لواء الإسكندرون، وأجبره دخول الأتراك إليها على النزوح مع عائلته إلى اللاذقية حيث استقروا في حي المستنقد. دخل المدرسة في سن السابعة وحصل على شهادة التعليم الابتدائي، لكنّه لم يكمل تعليمه لسوء أحوال المعيشة والفقر المدقع الذي كان يعيش فيه. يزعم أنه ولد بالخطأ أو كيفما اتفق فيقول: «رزقت أُمّي بثلاث بنات كن في ذلك الوقت ثلاث مصائب فطلبت من ربّها أن ترزق بصبيّ فجئت أنا هكذا كيفما اتفق». عاش حنا مينه في وسط فقير يسوده البؤس وتخيم عليه التعاسة، ويشوبه التفكير غير المنطقي والمتخلف الذي نراه واضحاً في المجتمعات الفقيرة في أي مكان في العالم. ونشأ في هذا الوسط طفلاً عليلًا شاحبا يعاني من سوء التغذية وقلة الحيلة. يحيط به أب حمال في المرفأ وأم وثلاث أخوات يعملن كخادِمات في البيوت، ونظراً لهذه الظروف الصعبة فقد تعذّر عليه إكمال دراسته بعد أن نال الابتدائية. واضطر حنا يعمل ويكسب المال ليساعد أباه وأخواته ولو بقروش قليلة لإدامة الحياة ليعمل في سن مبكرة. فآثّر أن يعمل حَمَلاً في المرفأ مع والده. ولكن سوء التغذية جعل منه صبياً نحيلًا غير قادر على القيام بعمل جسديّ شاقّ. وحين أحس بضرورة مساعدة عائلته المعدومة مادّيًا ذهب إلى الميناء ولكن اكتشف عدم قدرته على رفع الأكياس و شعر بالأسى. ولما برزت حاجة لكتابة بيانات بسيطة على الأكياس اختاره (المعلم) لأنه كان يتقن الكتابة.

ثمّ اشتغل في دكان حلّاق و في مهن كثيرة، من أجير مصلح دراجات إلى مربّي أطفال في بيت سيّد غني إلى عامل في صيدلية، إلى صحفيّ، إلى كاتب مسلسلات إذاعية باللغة العاميّة، إلى موظّف في الحكومة، إلى روائي.

١ الأستاذ المشارك والرئيس ومُشرف البحوث (سابقاً) قسم العربيّة للماجستير والبحوث ، كَلْبَة فاروق، كالكوت، كيرالا، الهند

إذن حنا مينة لم يكن الطفل الذي ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، لكنه طفل ولد ونشأ وترعرع في أحضان الفقر البغيض الذي كان حائلا دون إكماله الدراسة والذي اضطره للكفاح والعمل الدؤوب رغم هزله وقلة

حيلته للحصول على ما يكفي أو قد لا يكفي لسد حاجة أهله المعدمين. واضطر للتنقل من عمل إلى آخر حتى استقر في مهنته الكاتب، مهنته الأخيرة. وفي رأي حنا مينة أنّ مهنة الكاتب ليست سوارا من ذهب، بل هي أقصر طريق إلى التعاسة الكاملة. عاش حنا مينة طفولته في إحدى قرى «لواء الاسكندرون» على الساحل السوري. وفي عام ١٩٣٩ عاد مع عائلته إلى مدينة اللاذقية التي عشقته وألهمته بجبالها وبحرها. دخل المعتزك السياسي الحزبي مبكرا وهو فتى في الثانية عشر من عمره وناضل ضد الانتداب الفرنسي ثم هجر الانتماء الحزبي في منتصف الستينيات. وعاش رحلة اغتراب قاسية بين المدن. تزوّج وتشردّ مع عائلته لظروف القاهرة عبر أوروبا وصولا إلى الصين، حيث أقام خمس سنوات. وكان أبا لخمس أولاد.

تتابعت الأحداث في حياة حنا مينة بتسلسلاتها وتطوراتها لا تتوقع له أن يكون أديبا مشهورا بهذه الصورة التي نراه في وقتنا الحاضر؛ فذلك الطفل الفقير المعدم الذي بدا حمّالا ومضى حلاقا ونشأ مناضلا ضد الانتداب الفرنسي. لم يكن يعتقد في يوم من الايام أن يكون روائيا مقروءا من معظم طبقات المجتمع العربي بشكل عام والسوري بشكل خاص. فيقول عن هذا: لم أكن أتصور حتى في الأربعين من عمري أنني سأصبح كاتباً معروفاً، بدأت رحلة التشرد وأنا في الثالثة من عمري، وهذه الرحلة من حيث هي ترحال مأساوي في المكان عمرها الآن ثمانون عاما. أما رحلتي في الزمان فهي أبعد من ذلك وستبقى مابقيت. وهومن أشهر الروائيين السوريين والعرب. عاصر فترة الانتداب الفرنسي على سورية، وساهم في تطوير الرواية العربية. و في حوزته الكثير من الروايات والقصص التي تميّزت بالواقعية الاجتماعية، وشارك في تأسيس اتحاد الكتّاب العرب كما ساهم في تأسيس رابطة الكتّاب السوريين. تزوّج من سيدة اسمها مريم، وله صبيان سليم وقد توفي في الخمسينيات في ظروف الحرمان والشقاء والآخر سعد، أصغر أولاده وهو ممثل تلفزيوني معروف شارك في بطولة المسلسل التلفزيوني «نهاية رجل شجاع» المأخوذ عن رواية والده ؛ و ثلاث بنات سلوى (طبيبة) وسوسن (مخدّرة) وأمل (مهندسة مدنيّة)، وقد تزوجن. توفي حنا مينا يوم ٢١ آب/ أغسطس عام ٢٠١٨، في سنّه الرابع و تسعين. وقد أذيع نبأ وفاته رغم أنّه أوصى منذ كان في الخامسة والثمانين من عمره بالألا تديع أية وسيلة إعلامية نبأ موته قائلًا إنه شبع من أديب روائي سوري.

تتقلّ الكاتب بين مناطق وأعمال عديدة، مرّة إلى الجبل و مرّة إلى البحر و ثالثة إلى المرفأ عاملا صغير. و في الرابعة يستقرّ في دمشق عسى أن يجد راحة كان يبحث عنها لكن أمواج البحر كانت دائماً تتردّد أصواتها في أذنيه للعودة إلى اللاذقية الجميلة ليكون فيه الاستقرار الأخير. أثر في شخصيّة الأديب الذيعاش سنواته الأولى من عمره بين الثوار الذين كانوا يحاربون المستعمر الفرنسي و الذين وجد عندهم معنى التضحية و البطولة و الكفاح فأخذ عنهم الكثير و تعلّم منهم ما لم يقرئه ليجعله يكتب في شيخوخته «المجتمع والطفولة و اليافعة و

الشباب أعطوني تجارب لا تنسى. أخذت في كفاحي بالقلم على امتداد حياتي الأدبية التي قاربت الستين.^١ وفي قصصه ورواياته معا كان للمحيط و المجتمع و كلّ من حوله دور يذكر وهم المادّة التي استمدّت منها موضوعاتها و شخصياتها باتقان و يمكن أن تسمّى واقعيّة. وبين الكاتب شوقي المعري «أنّ الرواية برأي حنا مينه جنس أدبي ثوري بامتياز وضعت الشعب على مسرح الحركة الأدبية العربية، وكان هو النقطة أو المحور الذي دارت حوله الرواية العربية فدخلت عوالم الأحياء الفقيرة ورصدت حركات الأفراد والطبقة الكادحة والفلاحين متجاوزة الشعر في ذلك»^٢

وصيّته

كتب حنا مينه وصيّة يقول فيه أنا حنا بن سليم حنا مينه، والدتي مريانا ميخائيل زكور، من مواليد الاذقيّة العام ١٩٢٤ م، أكتب و صيّتي و أنا بكامل قواي العقلية. و قد عمّرت طويلا حتى صرت أخشى ألا أموت، بعد أن شبت من الدنيا، مع يقيني أنّه 'لكلّ أجل كتاب' لقد كنت سعيدا جدّا في حياتي، فمنذ أبصرت عينايا النور و أنا منذور للشقاء؛ وفي قلب الشقاء حاربت الشقاء، و انتصرت عليه. و هذه نعمة الله و مكافأة السماء، و آتي لمن الشاكين. عندما ألفظ النفس الأخير، أمل وأشدد على هذه الكلمة، ألا يذاع خبر موتي في أية وسيلة اعلاميّة، مقروءة أو مسموعة أو مرئية. فقد كنت بسيطا في حياتي؛ وأرغب أن يكون بسيطا في مماتي. و ليس لي أهل لأنّ أهلي جميعا لم يعرفوا من أنا في حياتي. و هذا أفضل، لذلك ليس في الانصاف شيء أن يتحسّروا عليّ عندما يعرفونني؛ بعد مغادرة هذه الفانية.

كلّ ما فعلته في حياتي معروف. و هو أداء واجبي تجاه وطني و شعبي. و قد كرّست كلّ كلماتي لأجل هدف واحد: نصرة الفقراء و البؤساء و المعدّبين في الارض. و بعد ان ناضلت بجسدي في سبيل هذا الهدف؛ و بدأت الكتابة في الأربعين من عمري. شرّعت قلبي لأجل الهدف ذاته، فقد اعتمدت عمري كلّهُ، لا على الحظّ بل على الساعد، فيدي وحدها، و بمفردها صفّقت، وآتي لأشكر هذه اليد؛ وفي الشكر تدوم النعم، أعتذر للجميع، أقرباء و أصدقاء، رفاق، قراء، اذ طلبت منهم ان يدعوا نعشي محمولا من بيتي الى عربة الموت، على اكتاف أربعة اشخاص ماجورين من دائرة دفن الموتى، بعد أهالة التراب عليّ في ايّ قبر مناح ينفض الجميع أيديهم و يعودون الى بيوتهم قد انتهى الحفل، وأغلقت الدائرة. لا حزن ولا بكاء، لا لباس أسود، لا تعزيات بأيّ شكل ومن أيّ نوع، في البيت أو خارجه. ثمّ، و هذا هو الأهمّ، وأشدد: لا حفلة تأبين، فالذي سيقال بعد موتى سمعته في حياتي. و هذه التأبين، و كما جرت العادات منكّرة، و منقّرة، مسيّنة اليّ، أستغيث بكم جميعا أن تريحوا عظامي منها.

«كلّ ما أملك في دمشق و الاذقيّة يتصرّف به من يدعون أنّهم أهلي ولهم الحرّية في توزيع بعضه على الفقراء، الأحياء الذين كنت منهم، وكانوا متّي. وكنا على نسب هو الأعلى، الأثمن، الأكرم، عندي. زوجتي العزيزة

١ حنا ميبه حكاية بخار بقلم: شوقي المعري، الهيئة العامة السورية للكتاب، شباط ٢٠١٦

٢ نفس المرجع

مريم دميان سمعان. وصيتي عند من يصلون لراحة نفسي، لها الحق لو كانت لديها امكانية دعي هذا الحق ان تتصرف بكل ارثي؛ أما بيتي في الآذقية وكل ما فيه فهو لها و مطوب باسمها، فلا يباع الا بعد عودتها الى العدم الذي خرجت هي و خرجت أنا منه ثم عدنا اليه.»^١

حياته الأدبية

وكانت بدايته الأدبية متواضعة جدا، فقد اخذ بكتابة الرسائل للجيران، وكتابة العرائض للحكومة، ثم تدرج من كتابة المتواضعة الى القصة و الأخبار والمقالات المتواضعة في صحف سوريا ولبنان إلى كتابة القصص القصيرة الأدبية والى كتابة مسرحية، وجد حنا مينه نفسه في الرواية التي رسم فيها صورة طفولته البائسة ومرارة عيش الناس المعدمين وكيف أن الطبقات الرفيعة المستوى قد توقع ظلما على الطبقات الفقيرة، وصور حياة الفقر بكل ملامحها. أرسل قصته الأولى الى الصحف السورية في دمشق بعد اسقلال سوريا، وأخذ يبحث عن عمل و في عام ١٩٤٧ استقرت به الحال بالعاصمة، دمشق. وعمل في جريدة «الانشاء» حتى أصبح رئيس تحريرها. كتب روايته الأولى «المصباح الزرق» ثم زادت رواياته على ثلاثين، وقصص قصيرة و دراسات كثيرة. وفيها عدة روايات خصصها للبحر التي عشقته وأحبها. وبدأ كتابة القصص القصيرة في الأربعينيات وتوالى ابداعاته و كتاباته حتى آخر حياته. وهذا جدير بالذكر أن روايات حنا مينه تحولت الى أفلام سينمائية سورية و مسلسلات التلفزيونية. ساهم مع عدد من الكتاب اليساريين في سوريا عام ١٩٥١م بتأسيس رابطة الكتاب السوريين. نظمت الرابطة عام ١٩٥٤م المؤتمر الأول بمشاركة الكتاب الوطنيين والديمقراطيين في سوريا و البلاد العربية. و كان لحنا مينه دور كبير في التواصل مع الكتاب العرب. ويعبر عن نفسه: «أنه ينتمي الى المدرسة الواقعية الاشتراكية، وكان يدعو الى عدم اقتحام السياسية في النص الإبداعي، الا اذا كانت مستلهمة في تجربة الكاتب الذاتية و معاناته المباشرة في الحياة»^٢. معظم روايات الكاتب يدور حول البحر و أهله، دلالة على تأثره بحياة البحارة أثناء حياته في الآذقية. ومن أبرز رواياته: «نهاية رجل شجاع» و «الشمس في ليل غائم»، و «بقايا صور»، و «الشراع و العاصفة»، و «صراع امرأتين» و «المرفأ البعيد» و «عاهرة ونصف مجنون» و «مأساة ديمترو» و «الثلج يأتي من النافذة» و «الياطر» و «حكاية بحر» و «الربيع والخريف الولاة» وغيرها كثيرة.

يقول حنا مينه عن البحر الذي عشقه: 'إن البحر كان دائما مصدر إلهامي، حتى أن معظم أعمالي مبجلة بمياه موجه الصاخب، وأسأل: هل قصدت ذلك متعمدا؟ في الجواب أقول: في البدء لم اقصد شيئا، لحي سمك البحر، دمي ماؤه المالح، صراعي مع القروش كان صراع حياة، أما العواصف فقد نقشت على جلدي وشما، إذا نادوا يا بحر....' الأدياء أكثرهم لم يكتبوا على البحر لأنهم خافوا معاينة الموت في جبهة الموج الصاخب، لا

١ وصية حنا مينه - لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا لتعزّيات بأي شكل. منقول من :
www.discover-syria.com/news/1457

٢ "معلومات و حقائق حول الأديب حنا مينه نهاية رجل شجاع" بقلم: جاد محيدلي آب ٢٢، ٢٠١٨ منقول من :
annahar.com at. say7

ادّعي الفروسية، المغامرة. نعم، أجدادي بحارة، هذه مهنتهم، الابن يتعلم حرفة أهله، احترفت العمل في الميناء كحمّال، واحترفت البحر كبخّار على المراكب، كان ذلك في الماضي الشقي والمجد في حياتي، هذه المسيرة الطويلة كانت مشياً، وبأقدام حافية، في حقول من مسامير، دمي سال في مواقع خطواتي: «أنظر الآن إلى الماضي، نظرة تأمل حيادية، فأرتعش كيف، كيف؟ أين، أين؟ أهنالك البحر وأنا على اليابسة؟ أمنيّتي الدائمة أن تنتقل دمشق إلى البحر، أو ينتقل البحر إلى دمشق، أليس هذا حلماً جميلاً؟! السبب أنني مربوط بسلك خفي وإلى الغوطة، ومشدود. بقلادة ياسمين إلى ليالي الشام الصيفية الفاتنة، وحارس مؤتمن على جبل قاسيون ومغرم متيم ببردى، لذلك أحب فيروز والشاميات

قِسْم مسار حنا مينه الروائي إلى ثلاثة حلقات :

الحلقة الأولى تضم روايتي «المصاييح الزرق» الصادرة عام ١٩٥٤ م و «الشراع والعاصفة» الصادرة عام ١٩٦٦ م، وفيها يجد القارئ شخصيات مفعمة بالحركة والحياة تنتمي في أغلبها إلى بيئة فقيرة وتقدم من خلال حركتها وفعلها وسلوكها وحوارها. وقد صورت هذه الشخصيات من الخارج إذ قلما اتجهت عدسة الرواية إلى باطن الشخصية لكشف عالمها الداخلي، فالنزعة السائدة في هذه الحلقة هي النزعة التصويرية. تعتبر رواية حنا مينه «المصاييح الزرق» العمل الأول له في الأدب الروائي، وتطلب منه كتابتها ما يقارب من ثلاث سنوات حيث كان يلغي ويعيد كتابة فصول بأكملها. وتدور أحداثها منذ بدء الحرب العالمية الثانية وحتى انتهائها، وتشكل أزمة الحرب عقدة الرواية. أما الأحداث فتتمحور حول حياة كاملة لمجموعة من سكان أحد الأحياء في مدينة اللاذقية في سوريا.

وتضم الحلقة الثانية الروايات الصادرة بعد عام ١٩٦٧ م، بدءاً من رواية «الثلج يأتي من النافذة» الصادرة عام ١٩٦٩ م، وتضم إنتاج الكاتب إلى أواخر الثمانينات، وفي هذه الحلقة يجد القارئ شخصيات مأزومة تخوض صراعاً داخلياً إضافة إلى صراعاتها المتعددة الجوانب مع قوى المجتمع وقوى الطبيعة. وتبوح هذه الشخصيات للقارئ بمكنونات نفوسها لأنها تقدم من خلال حوارها الداخلي وتذكرها وأحلامها وبقيّة تقنيات الاستبطان، أي أن النزعة التي تسود هذه الروايات هي النزعة الاستبطانية التي تكشف عن داخل الشخصية فتصوره مرتبطاً بما يدور خارج ذاتها، فالداخل هنا مرتبط بالخارج.

وبصدور الرواية «فوق الجبل وتحت الثلج» عام ١٩٩١ تتكرس الحلقة الثالثة من مسار هذا الروائي وتضم هذه الحلقة روايات أخرى مثل «الرحيل عند الغروب» الصادرة عام ١٩٩٢ و «النجوم تحاكم القمر» الصادرة عام ١٩٩٣ و «القمر في المحاق» الصادرة عام ١٩٩٤ و «المرأة ذات الثوب الأسود» الصادرة عام ١٩٩٥ و «حدث في بيتاخو» الصادرة في العام نفسه و «عروس الموجة السوداء» الصادرة عام ١٩٩٦ و «المغامرة الأخيرة» الصادرة عام ١٩٩٧. وفي هذه الحلقة يلتقي القارئ بشخصيات منفصلة عن واقعها تعيش بلا قضية و يختفي لديها التفاعل مع غيرها وتغلب عليها غرابة الأطوار وتقدم من خلالها الوصف والتقرير. وتختفي النزعة التصويرية

والنزعة الاستنباطية هنا لتحل محلها نزعة تقريرية. تبدو من خلالها شخصية ثابتة وغير مقنعة أو مذهشة أو جذابة. يضاف إلى ذلك أن عناصر البناء بما فيها الشخصية في هذه الحلقة تبدو غير منسجمة ولا مؤتلفة. وكان الكاتب يواجه كغيره من الأدباء نوعين من النقد سلبيًا وإيجابيًا. فمن النقد السلبي أنه كرر نفسه في السنوات العشر الأخيرة. انه كان يقدم الشخصيات الواقعية في حياتها البسيطة وصراعاها اليومي كتفاصيل في لوحة اجتماعية دون البحث. ويقول ان هذا ما اعتمده كبار أعمدة الرواية الواقعية في تصوير شخصياتها.

واعتبره بعض النقاد شيخ الرواية السورية. روايات حنا مينه تحدثت عن كل شيء وأي شيء واقعي وحقيقي بل ان معظم رواياته تحدثت عن ما يحيط به من مشاكل وأحداث يمر بها هو أو صديقه أو بلده؛ ومن الأمثلة على ذلك رواية «الربيع والخريف» التي وصفت نكسة حزيران و «حمامة زرقاء في السحب» التي روى من خلالها قصة ابنته التي أصيبت بالسرطان وغادر عن أهله مدة عامين في حين أخذها للعلاج في الخارج. أما رواية «الشمس في يوم غائم» فهي رواية تشبث فيها حنا مينه بأسئلة جديّة حول معنى الحياة، والموت، والكفاح. ويستمر البحث الروحي عن المعنى، ويعتبرها مروان دارج، وهو ناقد أدبي عربي من فلسطين، واحدة من أهم الروايات في تاريخ الرواية العربية بلا استثناء لأسباب منها تعقيد الرواية والتساؤلات اللاهائية التي تطرحه. تسرد الرواية «حكاية بحار» شخصية سعيد حزم، الرجل الذي ولد لبحار مغامر اسمه صالح حزم والذي كان يمثل قمة الرجولة وحب المغامرة، والنضال ليس لدى سعيد فحسب بل لدى كل الذين خبروا البحر وعرفوا تحولاته. والرواية تأخذنا مع البطل ومحاولاته لأن يكون صورة من والده الذي اختفى وتصور الأحداث التخبّط والصراع التي يواجهها البطل في سبيل أن يكون هو ذاته امتداداً لحياة وبطولات والده. لا مجرد شخص يعيش في ظل سيرة والده المعروفة. ولعل أجمل ما في الرواية هو معايشة القاريء وتحمسه لمحاولات سعيد الدؤوبة نحو تحقيق البطولة.

توفي الكاتب والروائي السوري حنا مينه الملقب بـ «شيخ الرواية السورية» عن عمر ٩٤ عاماً بعد معاناة مع المرض. وقام بدور ريادي في مسار الرواية السورية والعربية عبر نشره عشرات الأعمال التي اتسمت بالواقعية. وتم تحويل العديد من روايات مينه إلى مسلسلات تلفزيونية لاقت نجاحاً عبر القنوات العربية. وهي تحمل آثار الحياة التي كانت تعيشها سوريا أيام الحرب العالمية الثانية في ظل الانتداب الفرنسي. الراحل الفنان سعد مينه قال: «لم يكن حنا مينه لأسرته فحسب بل إن عائلته كبيرة ومتشعبة داخل الوطن وخارجه لتسع دائرة العزاء فيه وتحضن الجميع وظهر ذلك في حزن الناس الشديد على رحيله والذي كان مفاجئاً حتى لنا رغم معرفتنا الأكيدة بشعبيته الكبيرة».^١ أما الأب إلياس زحلاوي فقال: «حنا مينه مثل الكثير من المبدعين، ستكتشف الأجيال القادمة حجم قامته الحقيقية لأنه انطلق من بيئة فقيرة معدمة، فطور نفسه وحملها بكل أعماله «معرباً عن أمله في أن تفعل كلمات مينه ورواياته فعلها في هذا المجتمع الذي يعاني... حتى يستطيع إعادة بناء كيانه وروحه وتجذره في أرض خلقت منها الحضارة وأريد لها أن تزول... فغيرت مجرى العالم».^٢

١ "دمشق تودّع الرجل الشجاع"، العالم العربي arabic.sputnicnews.com/arab-world، ٢٣. ١٨. ٢٠١٨، نفس المرجع

الخاتمة

وقدعدّ بعض النقاد حنا مينه أبا للقصة السورية الحديثة، فهو الذي جعل القصة السورية رغم الموهبة الحقيقية لمن سبقوه، تمتدّ عالياً وتنتشر ببارقها في أرجاء العالم العربي، وعدّوه أنموذجاً للكاتب العصامي الذي استطاع دوماً المحافظة على هويته وتمكن من تجاوز ضرورات واقعه. هو الروائي المعروف الذي نال الابتدائية وتعذر عليه إكمال تعليمه بسبب ظروفه المادية الصعبة و الشخص الوحيد في حي المستنقع الذي كان لديه القدرة على فك الحروف.

المراجع والمصادر

١. جاد محيدلي، وصيّة حنا مينه - لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا لالتعزّيات بأيّ شكل. منقول م/ www.discover-syria.com ١٤٥٧/news
٢. جاد محيدلي «معلومات و حقائق حول الأديب حنا مينه، نهاية رجل شجاع»، آب ٢٢، ٢٠١٨ منقول من: annahar.com sayYat
٣. جمانة محمد نايف الدليبي، تطوّر أدب الرواية في سوريا - حنا مينه أنموذجاً، مجلّة كفرغو الثقافية، العدد ٢٩ / آيار ٢٠١٤
٤. شوقي المعري - حنا مينه حكاية بحار بقلم: ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، شباط ٢٠١٦ annahar.com
٥. محمد نايف الدليبي «تطوّر أدب الرواية في سوريا- حنا مينه أنموذجاً» ؛ مجلّة كفرغو الثقافية ، العدد ٢٩ / آيار ٢٠١٤
٦. arabic.sputnicnews.com/arab-world
٧. <http://alrai.com/article/10448965>



دراسة تاريخية عن الثورات الشعبية ضد البرتغاليين في مليبار

السيدة/ : سكيّنة . ام كي^١

الدكتور/ . سي بي أبوبكر^٢

الملخص:

كان الجّهّاز السياسي للبرتغاليين موجها في البداية للمسلمين في سواحل كيرلا اللذين شغلوا في التجارة البحرية. السبب الرئيسي لهذا تفوق المسلمين في التجارة البحرية في الهند، وظنّ البرتغال لأن يهدمه لتطويع تجارتهم. والسبب الآخر الصّراع بين المسلمين والنّصرانيين الذي ساد في أوربّا الجنوب والغربي قرونا. فصارت البرتغال بدأت بالظلم والجور على التجار المسلمين في ساحل كيرلا. ولكنهم فشلوا في تهديم تجارة المسلمين. وفي القرن السادس كان السامري ملك كالكوت وجنوده والمسلمون في جنوب كيرلا قاموا على معارضة البرتغاليين ومكافحتهم.

نرى في كتاب تحفة المجاهدين عن أفعال البرتغاليين القبيحة مثل «ظلم المسلمين وإفسادهم وإيجاد فعائل قبيحة شنيعة لاتعدّ ولا تحصى والإستهزاء بهم والضحك عليهم استخفافا إذا مروا بهم، وجعلهم مراكبهم في مجال الماء والوحل والبصق على وجوههم وأبدانهم وتعطيل أسفارهم خصوصا سفر الحج ونهب أموالهم وإحراق بلادهم ومساجدهم وأخذ مراكبهم ووطئ المصاحف والكتب بأرجلهم وإحراقها بالنار وهتك حرمت المساجد وتحريضهم على قبول قول الردّة والسجود لصليهم وعرض الأموال لهم على ذلك. وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتين نسوان المسلمين. وسب رسول الله (ص) جهارا، وأسرهم وتقييد أسارىهم بالقيود الثقيلة وترديهم في السوق لبيعهم كما يباع العبيد، وتعذيبهم حينئذ بأنواع العذاب لزيادة العوض وجمعهم في بيت مظلم متين مخطر، وضربهم بالنعل إذا ستنجوا بالماء وتعذيبهم بالنار وبيع بعضهم وتعبيد بعضهم وتعيين بعضهم في الأعمال الشاقة بلا شفقة،

قدوم البرتغاليين إلى كيرلا :

اتسعت حضارة الاسلام الي شتّى أجواء المعمورة . حين وصل نوره على سواحل أفريقيا وأوربّا، ازداد العرب في هاتين القارتين عزّا وشرفا وكان أساس تقدّمهم الدّينيّ والتّجاريّ متانتهم الاقتصاديّة . ومصدر هذه المتانة

١ أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، كلية . م.أ.س. أسماني ، كدمغلور،

٢ الأستاذ المشارك والرئيس ومشرف البحوث (سابقا) قسم العربيّة للماجستير والبحوث ، كّلية فاروق ، كالكوت ، كيرالا ، الهند

الاقتصادية كان الطيب والفلفل المصدرين من كالكوت. وقعت الدول الغربية في أشدّ دهشة وتعجب حينما شاهدوا ثروة العرب وانتشار الاسلام شرقا وغربا حتى اضطروا إلى أن يلجؤا إلى العرب للقضايا التجارية ونحوها. البرتغاليون وهم أول من تجرأ لهذه المغامرة الهائلة بأن خرجوا إلى شبه قارة الهند متوجهين نحو كالكوت.

خرج البرتغاليون تحت قيادة «واسكود غاما» إلى الهند بتاريخ ٨ يوليو سنة ١٤٩٨م من عند ملكها «ايمانويل» بعد تمنّته إياهم بكلّ تمنّيات و تبريكات. وكانت سفينته تدعى «سامووجبريل». انما أراد «ايمانويل» بارسال «واسكود غاما» إلى الهند تمهيد طريقة جديدة إلى البلاد الهندية وتوسيع نطاق العلاقات التجارية مع الدول الشرقية. خرج غاما وأصحابه إلى الهند ومعهم ثلاث سفن مضعمة بالزاد إلى ثلاث سنوات. حتى انتهى إلى «ميلندة» من قارة أفريقيا بعد عتور السواحل المغربية. ولكنه أخذ الحزن والكآبة أثناء سفره حين جهل الطريق المختص إلى الهند. فعاونهم ملك مغرب ووكّلهم إلى قائد عربي اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد حتى أرشدهم إلى شبه القارة الهندية واتي هي معروفة لدى العرب ومجهولة بالنسبة إلى الأوروبيين. وفي سنة ١٥٠٠م سافر فريق التجارة من «برتغال» إلى كيرالا تحت رئاسة «ألواريس كبرال». وفيه عشرة سفن وألف وخمسة مائة مشاة البحرية وعشرون مجرمون. وكان هدفهم بناء مصنع لهم في كيرالا.

أمر الملك البرتغالي سراً لكبرال للقضاء على المحمّديين برمتهم بعد ما دخل في اتفاق مع ساموتري. فقد بدؤوا رحلتهم في اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٥٠٠م. خلال رحلتهم وقعوا في عاصفة شديدة هدمت أربعة من السفن أما السفن الباقية فوصلت إلى السواحل كالكوت في اليوم ١٣ من شهر سبتمبر نفس السنة. وقد أجرى كبرال وضباطه مشاورة مع الملك ساموتري واتفقوا على معاهدة أخوة وبالتالي أمكن كبرال على بناء المصنع المقصود في مدينة كالكوت. فقد أمكن لهم تصدير سفينتين فقط من الفلفل خلال شهرين. ولما فهم كبرال عدم رغبة المسلمين في الإتجار بهم إتصل بالملك وأخبر أنه لا يريد البقاء هنا طويلا وأنه يقصد الرجوع فورا إلى موطنه. وطلب منه لإرسال القدر الممكن من السفن المحملة بالبضائع بما فيها الفلفل وغيره من التوابل المحلية. أوقعت هذه الأخبار الملك في مأزق شديد، إذ كان لا يعرف ماذا سيفعل لإرضاء كبرال والبرتغاليين. عند ما شعر كبرال بموقف الملك الحرج وعدم إمكانيته لإيجاد حلّ سريع في هذه القضية خرج منه كنيبا يائسا يتفكر بكل جدّ عما سيفعل بنفسه في هذا الخصوص هكذا سنحت له فرصة للإغارة على سفينة شرعية للمسلمين في السابح عشرة من شهر ديسمبر سنة ١٥٠٠م. فخرج المسلمون المغتاضون على البرتغاليين وقاتلوهم قتالا شديدا حتى قتل منهم خمسون. وقد رمى عشرون منهم بأنفسهم إلى البحر وسبحوا طويلا ونجوا من الهلاك راكبين سفنهم المنتظرة وسط البحر^١. إنّ هذه الحادثة الغير متوقعة أوغرت صدور البرتغاليين وأوقعتهم في ريبة شديدة فيأمر المعاملات التجارية بينهم وبين ملك ساموتري. ولو طلب كبرال من الملك تفسير مرضيا لهذه التطورات المخزية للبرتغاليين لم يستطع للملك أن يرضيه في شكل تام. فغضب غضبا شديدا وخرج مع أصدقائه البرتغاليين أودت بحياة أكثر

١ الأستاذ عبد الرحمن باوا المليباري: تاريخ الإسلامى هيئة السنّة بكيرالا، المجمع المركز التجارى كالكوت. ص ٣٥.

من ستّ مائة من سكان المدينة واغتصاب عشرات من السفن التابعة لساموتري والتّجار من العرب وسلبوا كلّ ما فيها من البضائع الغالية بعد هذا، خرّبوا هذه السفن المغتصبة ودمّروها بأكملها. إنّ هذه الحادثة التي أوغرت صدور النّاس ولاسيّما المسلمين منهم.

كانت نقطة تحوّل في تاريخ البرتغاليين في ربوع كيرلا. لقد جمع النّاس في قيادة المسلمين على البرتغاليين واتّخذوا كافة الوسائل المتاحة لديهم لمحاربة أعدائهم الألداء. إنّ تطوّرات المتوالية أجبرت البرتغاليين للفرار من أراضي الكالكوت إلى «كوشن» حيث كان ملكه في عدا شديدة لساموتري الذي يحبّ رعيّته المسلمين. وقد رحّب بهم ملك كوشن ترحيبا حارّا وقدمّ لهم كافة التسهيلات المطلوبة بما فيها التصاريحات لإجراء النشاطات التجاريّة. ولمّا إستعد كبرال لرجوع من كوشن سنة ١٥٠١ في عشرة من شهر جانوري، خرج ساموتري مع ألف وخمسة مائة جندي إلى ميناء كوشن لمعارضة البرتغاليين. فأخبر ملك كوشن ذلك الخبر إلى كبرال ومعاونته عليهم. ثم قام بمهاجمة ثانية هاجم كبرال جيش ساموتري أوّلا، ولكن سفينتهم وصل إلى خارج البحر في عاصفة شديدة. وبعد ذلك لم يرجع كبرال إلى كوشن بل رجع إلى برتغال من بين طريق كنور.

وبعد في سنة ١٥٠١ م خرج فرقة البحرية البرتغالية تحت رئاسة جون دينيوى أرشده الملك إلى أن يذهب إلى كالكوت. ولما وصل في «سينر بلس» رأى نعلة في شجرة وفيها كتابة عن أخبار كالكوت. وخرج إلى كنور. وفيه استقبلهم استقبالا حسنا وقال أن يعطى لهم فلفلا ما يملأ أربع سفينة. ورجع «دنيو» من كنور وذهب إلى كوشن. وفي بين الطريق هاجم قبطان سفينة البرتغالي في ميناء كالكوت سفينة المحمديّة وأسكنهم الملك في قصره خوفا أن يقتلوهم المسلمون اللذين عادا معهم. وسمع أن المسلمين حثّ السكان على أن يمنع إعطاء الفلفل للبرتغاليين بدل البضائع. ولذا يحتاجهم إلى الثمن للمخزون البضائع. ولكن ليس له ثمن وحزن وعجز عن تخزين البضائع في السفن وأنقذه من ذلك ملك كوشن. في الخمس عشرة من شهر دسمبر ولما وصل سفن البرتغاليين في خارج البحر بكوشن، أتى ثمانون ومائة من السفن المسلمين إليها. وغرضهم أن يهاجم سفن البرتغاليين. فكان «دنيو»^١ توجه إلى المسلمين متفجّرات وخراطيش. وانخفض كثير من السفن المسلمين في البحر، ورجعوا منه بعد ما يملأ سفنهم من البضائع بمساعدة ملك كوشن.^٢

ولمّا علم ملك البرتغال أخلاق ساموتري لكبرال وغضب غضبانا شديدا. فأرسل من خمسة عشر سفن تحت رئاسة «واسكودغاما» إلى الهند سنة ثلاثة من شهر مايو ١٥٠٢ م للمقاومة عليهم. ووراء ذلك أرسل خمسة من سفن الصّغار تحت قيادة «سريفن غاما». والسفن البرتغاليين اللذين رحلوا إلى الجنوب رسخت في خليج «مرابيا» لتصريح أضرار السفينة وبين ذلك رأى «واسكودغاما» سفينة كالكوت تمرّ في هذا الجانب البحر. على الفور غاما واجه ذلك السفينة. وكانت ذلك السفينة لتجار على أخ خوجا قاسم اللذي كان تاجر رئيسي المسلم في كالكوت وملك السفينة. وفيها سبع مائة من المسلمين. فهرب السفن ثمّ أحرق. فهذا الشئ وصف «تى كى

1 John Diniyuva

٢ الدكتور محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، دار الشعب، القاهرة. ص ٢٥.

كنغادهرن» في كتابه «تاريخ كيرلا وثقافته» كذلك: بينما كان في البحر العربى قريب من كنّور هجم البرتغاليين على سفينة الحجاج المسلمين من كالكوت وقتل فيه كثير من المسلمين وقاوم الحجاج إلى ثمانية أيام في البحر حتى أحرق البرتغاليون السفينة التي فيها من النسوة والصبيان. فهذا الظلم الشديد وصف الشيخ زين الدين كتابه «تحفة المجاهدين» هكذا:

بعد ما خرج من كنور وصل غاما في كالكوت مرة ثانية في سنة ١٥٠٢ م أكتوبر طلب غاما من الساموتري أن يخرج التجار المسلمين من كيرلا. ولكن الساموتري أبى ذلك ورفض طلبه. فغضب غاما وهاجم ميناء كالكوت وقتل كثير من الناس، وهدم سفن العربية باستعمال جنود البرتغالية قاوم على المانع وأخذ في الظلم والفساد بأهالي كيرلا والتجار العرب. وصل غاما من كالكوت إلى كوشن في السابع من نوفمبر واضطر ملك كوشن للتوقيع في معاهدة في أمور البضائع والتجارية. فمنح لهم للبناء المعارض التجارية والتقنيات العسكرية في كوشن. ورحل غاما إلى كنّور بعد ما ملأ سفينتان من الفلفل، فقاومهم سفن ساموتري في قريب «فندلايني» ولكن غاما رجع إلى برتغال بإهلاك سفن النظام الساموتري. وكان السامري ينتظر إخراج غاما وجنوده من مليبار، وطلب أن يغادر البرتغاليون للذين توقفوهم غاما في كوشن وأن يعطى الجزية. ولكن رفضه ملك كوشن وابتدأ إخراج جنود ساموتري وجرى بينهم قتال «جيروا» في سنة ١٥٠٣ م ونجحوا فيه، فملك كوشن رجع إلى جزيرة «ويين». في سنة ١٥٠٣ م أرسل ملك برتغال نظام السفن تحت رئاسة «ألبرك» إلى كوشن. ومع ذلك انسحب ساموتري جيشه. فجنود البرتغالي أتى بملك كوشن وأجلسه في العرش. وفرح الملك به فرحا كثيرا ومنح إذن للبناء القلعة فيه. وابتدأ بناءه في السنة ١٥٠٣ م وتسمى «القلعة مانول» إكراما لملك برتغال. فتلك القلعة أول بناء بنى الأوروبيين في الهند.

وفي سنة ١٥٠٤ م هاجم ساموتري نحو كوشن مرة أخرى. ولكنّه اضطرّ للرجوع مقاومة جنود كوشن والطقس المعاكس. وبين ذلك هاجم البرتغاليون «كدنغلور» وهدم سفن الساموتري. واشتدّ إحتضار البرتغاليين في كيرلا مع القهر على كدنغلور. قد تغيّرت الساموتري والمسلمون وإتهم تفكر إن البرتغاليين عسى أن يخرجوا منه إن لم يمكنهم أن يخزن الفلفل والتوابل الحلوة. ولذا المسلمون فعلوا لأن لا يحصل البرتغاليين ما يملأ سفنهم. وأرسل «البرك» «بجكوو» ليشتري الفلفل ولكته حصل سفينة واحدة من الفلفل بعد الكثير من الصعوبات والتناضل، وعاد ألبرك إلى «كيلون» حزينا. ثم أرسل إلى كوشن جنود مشيدة تحت رئاسة «دفرانسكو د ألميدا» سنة ١٥٠٥ م. وصل في كوشن مع ثمانية من السفن في الأولى من نوفمبر. وكان غرضه أن يبنى القلعات والمصانع التجارية في كوشن وكنّور وأنج ديب. وحارب السامري بجنوده المشيدة مع البرتغاليين مرة أخرى.

وفي سنة ١٥٠٨ م وصل قوّات البحريّة من مصر في بحر العرب. وكان مجيئهم إطاعة لأوامر العرب والسامري وانهمز الجيش البرتغاليين في «جول». ولكن أمكن البرتغاليون أن يهرب الجيش المصرى بصدّ سرعة. عاد «الميدا» من الهند في سنة ١٥٠٩ م. ثم صار ألبرك نائبة، وكان أول غرضه إهلاك مدينة كالكوت المعارضة لساموتري. وصارت مهاجمة البرتغاليين نحو قصر كالكوت. ولكنّه إنهمز أمام جيوش السامري المشيدة حتى اضطر إلى المعاهدة مع الساموتري. وكذلك المعاهدة كانت تسمح للبرتغاليين بإذن لبناء قلعة في كالكوت ولتجارة الفلفل

بثمن كوشن. وكانت هذه المعاهدة نجاحا في الدبلوماسية البرتغالية أيام استعمارهم في كيرلا. وبعد ما عاهدوا مع الساموتري جرى بينهم تجارة سليمة في كيرلا زمن قليل. وفي الطريق إعادته من الهند مات «ألبرك» في «كووى» سنة ١٥١٥م. وكان أسلافه «لوبيو سورس» (١٥١٥-١٥١٨)، دسكير (١٥١٨-١٥٢٢) دمنسس (١٥٢٢-١٥٢٤) كانوا هم الفساد والمعاقون، وكانو ضعفاء السياسة وعاجزين في القوة والقيادة. ورغم ذلك إشتدت النزعات بينها وبين المسلمين. في السنة ١٥٢٤م في شهر سبتمبر وصل واسكودغاما في «كووى» نائبا مرة ثانية. ومعه أربع عشر سفن وثلاثة آلاف من الجيوش، ولكن أدهشه أخبار مليبار. ولما علم ذلك إن في مليبار يقبضون المسلمون سفن البرتغاليين وهاجم عليهم «كدآل مرگار» جاء إلى كيرلا فورا ثم لم يكن له راحة وهرب لضمان هيمنة البرتغاليين الفائقة، وبين ذلك مات غاما في كوشن سنة ١٥٢٤م في شهر دسمبر في الليلة المنتصفة.

وإن السبب الرئيسى للسقوط البرتغاليين في كيرلا «كنجال مرگار» كان قائد البحرية لسامرى. وكانت أسرة كنجال مرگار مهيمونون للقوات البحرية الساموتري في المعارك جرى بينه وبين البرتغاليين. وفيهم تجمع بين المهارات البحرية والشجاعة ويمثل فترة قوية للغاية في التقليد البحرية لكيرلا. وكان نائب البرتغالية الذى وصل في سنة ١٥٢٩م «كونها» وهو بنى قلعة في شاليم بإذن الساموتري. وهذه القلعة تقع في النهر الذى يقع في البحر نحو ثلاث رابطات من كالكوت. إذ أنهم استطاعوا منها مراقبة التجار المسلمين ونشاطاتهم التجارية والحملة والظلمة عليهم. وكان الساموتري أعطى درجة لأسرة مرگار اللذين لعبوا دورا رئيسيا في تدمير قلعة شاليم للبرتغال سنة ١٥٧١م قهرا فارتفع في التاريخ كنجالى الأولى وكانت سقوط قلعة شاليم بداية وسببا هاما في هبوط الإستعمار البرتغالى في كيرلا.

وبنى كنجالى الأولى قلعة مرگار في «فتقأنم» في ساحل ألبزا بإرشاد الساموتري. ولما فهم البرتغاليون إن تدمير أسرة كنجال ضروري لكسب السيادة في كيرلا فهم حاول أن يعاهد مع الساموتري. وكان كنجال معارضا في معاهدة الساموتري مع البرتغال فبدأ جهودا لتشريد قلعة فتقأنم. في سنة ١٥٧٩م هاجم الساموتري قلعة فتقأنم مع البرتغاليين الذى فهم إرتفاع أسرة كنجال تهديد لوجود نفسه. في السادس عشرة من مايو إستسلم كنجال والمتابعون للساموتري، والساموتري فوضهم إلى البرتغاليين. فذهبت البرتغال به وبأصحابه إلى «غاوا» وسجنه في سجن «تروكو» وقتله قتلا شنيعا، وقطع رأسه وأرسلوه إلى كتور. وعرضه فيها على عمود تحذيرا للمسلمين. فالموت المأساوى لکنجال الرابع جعله شهيدا. وصف «كى ام بنكر»: تاريخ أسرة كنجالى، الذى قاتل ضد التفوق البحرى للبرتغاليين، هو فصل كبير في تاريخ ولاية كيرلا. وفي القرن السادس كان الساموتري، ملك كالكوت وجنوده والمسلمين في جنوب كيرلا قامو على معارضة البرتغاليين ومكافحتهم. وكانت المعارك والحروب سجلا بينهم. فإن فصل مهم منه فتح المسلمين قلعة شاليات. وصفه مبينا مذكرا القاضى محمد بن عبد العزيز في كتابه «فتح المبين»^١

١ قاضى محمد بن عبد العزيز الكالكوتى، فتح المبين، مكتبة الهدى، كالكوت، ص ٤٥.

فتح قلعة شاليات:

إن مكان شاليم جزيرة صغيرة، وكانت شاليم موقعا استراتيجيا لأنه كان عشرة كيلومتر من مدينة كالكوت، وكانت تقع في النهر الذي تقع في البحر نحو ثلاث رابطات من كالكوت. وهي صالحة للملاحة بواسطة القوارب على طول الطريق إلى سفح جبال عناط. إذ إنهم استطاعوا منها مراقبة البحار المسلمين ونشاطاتهم التجارية والحملة عليهم. كان وزير البرتغال «كونغا» وصل في كيرلا سنة ١٥٢٩ قد بنت قلعتهم في شالية بسماحة الساموتري. وصف عن قلعة شاليم في كتاب «فتح المبين» هكذا:

فالسامري أعطى له في الشاليات بقلعة ثم بناها عاليات

وفي تاريخ كيرلا «لشريدهر مينيون» كهذا: في السنة ١٥٢٩ م شهر أكتوبر جاء وزير جديد «نونودا كنها» وبني قلعة شاليم بسماحة الملك فيه سنة ١٥٣١ م. إذ شاليم في جوتهم قد استطاعوا لهاجم سفن الساموتري في أي وقت. وكان شاليم مكانة دواسة إلى بلاد ساموتري حين ابتداء القتال بينهم. وفي سنة ١٥٤٠ م شهر جانوري عاهد ملك البرتغال مع الساموتري وفيه أن يبيع الفلفل في كالكوت بحسب ثمن كوشن، وأن يحتاج لسفن العرب في تجارة البحرية - وأن يظهر البرتغاليون حيادة حين قاتل السامري مع البلاد الأخرى في كيرلا. هكذا كان الاحكام في هذه المعاهدة، فصار تجارة ميناء كالكوت في إحتكار البرتغالية. وكان ذلك جرب مؤقتة، ولكن في سنة ١٥٥٠ م اندلعت الحرب مجددا بعد التدخل البرتغال في إختلاف بين ملك كوشن وملك «ودغم كور» في سنة ١٥٧١ م حصل الساموتري فرصة عظيمة على البرتغالية وقرر أن يهاجم عليهم من أنحاء البلاد. وفي هذا الوقت شاور عادل شاه سلطان بيجابور ونسام شاه سلطان حيدرآباد أن يحاصر «كووي» وقلعة «جول» وأنهم طلب الساموتري أن يهاجم قلعة شاليم واستعد الساموتري مع جيوشه إلى فتح القلعة، وصفه قاضي محمد في كتابه فتح المبين،

فأرسل العسكر مع وزيرين وسلّم الأمر إلى الوزيرين. وصل معركة الساموتري في شاليم شجاعا. وحاصروا القلعة صباحا. وصفه «وليم لوجن» في كتابه «ملبار مانول»: في سنة ١٥٧١ م جيوش السامري حاصر قلعة شاليم وكانت القلعة مانعة للسامري منذ بناها سنة ١٣٥١ م. وصف عن محاصرة القلعة عبد العزيز مولوى منكدا في ترجمة فتح المبين هكذا: إن جيوش الساموتري أحرق حول القلعة صار فيئة القلعة مثل حقل حصاد فبقى قلعة وحيدة. ولما حارب مثل ذلك تصرف ملك تانور كمساعدة خداعا وجعل بينهم إنقسامات وساعد الملك إلى البرتغالية وإلى السامري في نفس الوقت. وأرسل السامري إلى المعركة رسائل وبضائع ولكن الجيش لم ينجح. فطلب لسيادة الوزراء في كل مواجهة. ولكنهم صاروا في أواخر القتال مخيفا ضعيفا بإرهاب القتال وتدمير الإنسانية. وفي هذا الوقت أرسل أم الساموتري العاقلة رسالة إلى المسلمين:

إذ ذاك أم السامري بعقلها قد أرسلت للمسلمين خطها

ليتفكروا الحال الحرب وينظرو لما يجي في العقب

واجتمع في مسجد كالكوت قادة البلاد والمسؤولون البارزون للسامري لما إدعهم بطل محارب سيدي

أحمد القرامى، عبد الوافى محمد ستار، شاه بندر عمر أنتابى، العالم مخدوم عبد العزيز، معبرى، القاضى عبد العزيز الكالكوتى، الشجاع كنجال مرگار ليتفكرُوا الأحوال الحرب في الوقت وليتدبر عن العواقب إذاستمرّ الحرب هكذا. وشاوروا مع القادة العسكرية. واعلموا الأحوال للسامرى بإرسال الرسائل. وأرسل فيهم أمّ السامرى وطلبه أن يصل فوراً. وفرح الناس فرحاً جميلاً وخرج إلى المعركة مع جيوشه سنة ١٥٢٥ م في شهر جون. وجلس السامرى على الجبل نحو القلعة المحاصرة يوماً كاملاً وانتظر حصن الإفرنج والخندق الذى حفر جيوشه للمحاصرة. وفتح الخزانة الثمينة، أخرج البنادق أبقي سراً. وطلب الجيش للقتال. وسامح للجنود السخط ووضعت الدروع لمن ليس لهم الدراع. وتجمع الجنود والناس العادين في صفوف الجنود. وأعلم لمن لا يصل إلى المعركة إتهم سيجنون، وكان في الجنود في المعركة النجارون، الحفاة، الحفار المقابر، الحمال والقواطع الحطب. ثم تفكر السامرى معينا، وأعطى كل منهم مهنة مناسبة لهم وسلمت على المهام كل أمة وعين الحراس ليرقم القتل والجريح. وألقى إليهم الطعام. وكانت قلعة شاليم مانعة شديدة للسامرى ومصدر الفساد والفتن. وهدموا القلعة حين لا يبقى حجر على حجر. وقرع المكان الذى وقف فيه القلعة، وتصدر أحجار القلعة والأخشاب إلى كالكوت. والباقي نقل إلى إعادة البناء المسجد الجمعة الذى هدمه البرتغالية للبناء القلعة. والمقاطعة القلعة والمكان الذى حوله منح للملك شاليم في مقابل تقديم المساعدة للهرب البرتغالية كما هو محددًا مقدّمًا.

الخاتمة:

اتسعت حضارة الاسلام الي شتى أجواء المعمورة. حين وصل نوره على سواحل أفريقيا وأوربا ازداد العرب في هاتين القارتين عزًا وشرفًا وكان أساس تقدّمهم الديني والتجاري متانهم الاقتصادية. ومصدر هذه المتانة الاقتصادية كان الطيب والفلفل المصدّرين من كالكوت. وقعت الدول الغربية في أشدّ دهشة وتعجّب حينما شاهدوا ثروة العرب وانتشار الاسلام شرقا وغربا حتى اضطروا الى أن يلجؤا إلى العرب للقضايا التجارية ونحوها. البرتغاليون وهم أول من تجرّأ لهذه المغامرة الهائلة بأن خرجوا إلى شبه قارة الهند متوجّهين نحو كالكوتوصل البرتغاليون تحت قيادة «واسكود غاما» إلى الهند بتاريخ سنة ١٤٩٨ م. فصارت البرتغال بدأت بالظلم والجور على تجار المسلمين في ساحل كيرلا. ولكنهم فشلوا في تهديم تجارة المسلمين. وفي القرن السادس كان السامرى ملك كالكوت وجنوده والمسلمين في جنوب كيرلا قاموا على معارضة البرتغاليين ومكافحتهم. قلعة شاليات التى شيدها البرتغاليون على ضفة الجنوبية لنهر شاليار عند مصبه. وكان فتح قلعة شاليات في عام ٩٧٩ هـ وسقوط هذه القلعة يعد نقطة تحول في تاريخ البرتغاليين اذ أخذت شؤونهم تضمحل في هذه الديار .

المصادر والمراجع :-

١. الأستاذ عيد الرحمن باوا المليباري: تاريخ الإسلامى هيئة السنية بكيرلا، المجمع المركز التجاري كالكوت ١٩٩٦ م
٢. د/ محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، دار الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠ م
٣. زين الدين مخدوم الصغير، تحفة المجاهدين، ط ١، مكتبة الهدى، كالكوت، الهند ١٩٩٠.
٤. قاضى محمد بن عبد العزيز الكالكوتى، فتح المين، مكتبة الهدى، كالكوت، ١٩٩٦
٥. وليم لوكن، ملبار مانول، معهد وكتورية، لبنان، ٢٠١٨

عبد الوهاب السيد الرفاعي واسهاماته في أدب الرعب

الدكتور/ محمد عابد. يو. بي^١

الملخص:

يعتبر عبد الوهاب السيد الرفاعي من أوائل الكتاب الروائيين على مستوى الخليج ممن كتب في أدب الخيال العلمي وعلوم ما وراء الطبيعة والأدب البوليسي وله اسهامات جلية في أدب الرعب. وهو الكاتب الكويتي والروائي والمهندس والعضو في مجلس إدارة رابطة الأدباء الكويتيين الذي تم اختياره كأحد أكثر ١٠٠ شخصية كويتية مبدعة. وهذه الورقة تسلط الضوء على عبد الوهاب السيد الرفاعي واسهاماته في أدب الرعب.

عبد الوهاب السيد الرفاعي

ولد الكاتب عبد الوهاب عبد الله السيد علي الرفاعي في الثاني والعشرون من شهر يناير عام ١٩٧٣م وتخرج في بكالوريوس هندسة كيميائية - جامعة تلسا - ولاية أوكلاهوما، الولايات المتحدة الأمريكية - يونيو ١٩٩٧ وعمل مهندسا كيميائيا في الهيئة العامة للبيئة (الكويت) منذ ١٩٩٧ إلى ٢٠١٤. بدأ محاولاته الأدبية منذ عام ١٩٩٨. وله السبق الأدبي في الكتابة في عالم ما وراء الطبيعة والروايات الخاصة بأدب الرعب والخيال العلمي. عبد الوهاب السيد الرفاعي يعتبر من أوائل الكتاب الروائيين على مستوى الخليج ممن كتب في أدب الخيال العلمي وعلوم ما وراء الطبيعة والأدب البوليسي، له أكثر من ٢٠ إصدار، حققت معظم مؤلفاته المراكز الأولى بإحصائيات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في معارض الكتاب، تحولت بعض أعماله إلى أفلام، وتمثل إصداراته نقلة نوعية في الرواية الخليجية والعربية، نجح بالإنطلاق إلى العالمية بنشر عمله (متحف الأرواح) باللغة الإنجليزية عبر دار Dorrance for Publishing & Distribution^٢.

الدورات التدريبية وورش العمل التي تم تقديمها: تم تقديم ٤٨ دورة وورشة عمل في الكويت وخارجها، أحدثها^٣

١ أستاذ مساعد ومشرّف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

٢ تمت ترجمة رواية (متحف الأرواح) إلى اللغة الانجليزية من قبل دار (Dorrance Publishing Company) الأمريكية.

٣ إلقاء أكثر من ٥٠ محاضرة وندوة في مجال كتابة الرواية والقصة القصيرة وأدب الخيال العلمي والأدب البوليسي وأدب الرعب وارتباط علم النفس بالأدب، وذلك في العديد من الجامعات والمدارس الحكومية والخاصة في دولة الكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان.

اسم الدورة/ ورشة العمل	السنة	الجهة المنظمة
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة	٢٠١٨	السعادة لخدمات التدريب – أبوظبي الإمارات العربية المتحدة
دورة وورشة عمل فن كتابة الرواية	٢٠١٨	كيان لخدمات التدريب – مسقط سلطنة عمان
دورة وورشة عمل فن كتابة الرواية	٢٠١٧	كيان لخدمات التدريب – مسقط سلطنة عمان
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة	٢٠١٧	شركة Xpress Books – الكويت
فن كتابة الرواية	٢٠١٦	غرفة تجارة مكة – المملكة العربية السعودية
كيف تؤلف كتابا	٢٠١٦	المركز المثالي للتدريب – جدة المملكة العربية السعودية
فن كتابة الرواية	٢٠١٦	المركز المثالي للتدريب – الرياض المملكة العربية السعودية
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة	٢٠١٦	استضافة خاصة من عائلة الماجد المملكة العربية السعودية
فن كتابة الرواية	٢٠١٥	رابطة الأدباء - دولة الكويت
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة	٢٠١٥	رابطة الأدباء – دولة الكويت
كيف تصبح مؤلفاً	٢٠١٥	شركة Eternity – دولة الكويت
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة	٢٠١٥	رابطة الأدباء – دولة الكويت
فن كتابة الرواية والقصة القصيرة والمقال والخاطرة	٢٠١٤	المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكويت

أنشطة أدبية

- ☐ عضو في رابطة الأدباء - الكويت (٢٠٠٤ – حالياً).
- ☐ عضو مجلس إدارة رابطة الأدباء - الكويت (٢٠١٣ – ٢٠١٧).
- ☐ مؤسس ومالك دار نونفا بلس (Nova Plus) للنشر والتوزيع.
- ☐ مؤسس ومالك دار أورانجا (Oranje Books) للنشر والتوزيع.
- ☐ عضو في مشروع المجلس الثقافي.

□ عضو في مشروع دوافع الثقافي.

أنشطة أخرى

- مقدم برنامج تلفزيوني ثقافي في تلفزيون دولة الكويت (القناة الأولى) بعنوان (ومنكم نستفيد).
- تحويل قصة (جدتي تخيفني كثيرا) من كتاب (حالات نادرة) إلى فيلم سينمائي قصير.
- تحويل قصة (المحفظة) من كتاب (١٧ قصة) إلى فيلم سينمائي قصير.
- تحويل قصة (ليلة لا تصدق) من كتاب (بعد منتصف الليل) إلى فيلم سينمائي طويل بعنوان (شقة ٦).
- تحويل قصة (جدتي تخيفني كثيرا) من كتاب (حالات نادرة) إلى فيلم سينمائي طويل بعنوان (بيبي).
- تحويل سلسلة حالات نادرة إلى مسلسل تلفزيوني.

إنجازات

- تم اختياره كواحد من أكثر ١٠٠ شخصية كويتية مؤثرة ومبدعة من قبل مشروع (ثمين الكويت) برعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه (٢٠١٥).
- الحصول على تكريم خاص من جمعية المكفوفين الكويتية لتحويل جميع إصداراته إلى طريقة (برايل) للمكفوفين مجاناً.
- الحصول على تكريم خاص من منتدى الإبداعات الشبابية من (مهندسون بلا حدود) التابع لجمعية المهندسين الكويتيين (٢٠١٣).
- الحصول على تكريم من مشروع المجلس الثقافي (٢٠١٢).
- الحصول على تكريم من مشروع دوافع الثقافي (٢٠١٢).
- حصول جميع إصداراته على المراكز الثلاثة الأولى كأعلى الكتب مبيعا في معارض الكويت الدولية للكتاب.

أنشطة صحفية سابقة

- كتابة مقالات في جريدة الراي (٢٠٠٩)
- عضو تحرير في مجلة بيئتنا (١٩٩٨-٢٠٠٨)
- كتابة عدة مقالات في جريدة القبس (٢٠٠٥)
- كاتب في مجلة اليقظة (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥)
- كاتب في مجلة الأبعاد الخفية (١٩٩٩ - ٢٠٠٢)
- عضو تحرير في مجلة الفتیان (١٩٩٨ - ٢٠٠٠)
- كاتب في مجلة البيئة (١٩٩٨ - ١٩٩٩)
- كاتب في مجلة المهندسون (١٩٩٨ - ١٩٩٩)

اسهامات عبدالوهاب السيد الرفاعي في أدب الرعب

أدب الرعب نوع خاص جدا من الأدب يهدف من خلال مجموعة من الأحداث المتشابكة إلى إثارة شعور الرعب والخوف. لا أحد يعرف متى بدأ هذا النوع من الأدب، ولكن أغلب الباحثين يعتقدون أنه قد بدأ منذ زمن

بعيد جدا فقد اكتشف الإنسان منذ القدم الشعور بالخوف ويعتقد أن الأساطير القديمة هي الدليل على ذلك فقد كانت تحتوي على قصص تهدف إلى إثارة الخوف لدى المستمع أو القارئ.^١

رواد أدب الرعب العربي

في الفترة الأخيرة دخل أدب الرعب الى الأدب العربي بقوة. ويتفق الباحثون على أن هذا النوع من الأدب لم يتخذ شكله الحالي إلا في العصر الحديث. عرف عبد الوهاب سيد الرفاعي أدب الرعب على أنه الأدب الذي يثير مشاعر الخوف عند الانسان. وفرق بين ثلاث مصطلحات... «Terror» الشعور بالخوف قبل وقوع الحدث، «Horror» الخوف بعد وقوع الحدث، «Thriller» الترقب وحبس الأنفاس. ومن رواد هذا النوع من الآداب أحمد خالد توفيق، قاسم خضير قاسم وغيرهما. عبد الوهاب السيد الرفاعي من أوائل الكتاب الروائيين على مستوى الخليج ممن كتب في أدب الخيال العلمي وعلوم ما وراء الطبيعة والأدب البوليسي، ومجمل أدبه ينتمي الى أدب الرعب. منها:

المؤلفات والإصدارات المنشورة باللغة العربية^٢

اسم الإصدار	سنة الإصدار	دار النشر والتوزيع
المعقد	٢٠١٨	نوبا بلس للنشر والتوزيع – دولة الكويت
ملاذ	٢٠١٧	نوبا بلس للنشر والتوزيع – دولة الكويت
مخطوطات مدفونة	٢٠١٧	نوبا بلس للنشر والتوزيع – دولة الكويت
قصص لا يسمحون لي بنشرها	٢٠١٧	نوبا بلس للنشر والتوزيع – دولة الكويت
حالات نادرة ٤	٢٠١٦	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
متحف الأرواح	٢٠١٥	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
الأبعاد المجهولة ٣	٢٠١٤	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
حالات نادرة ٣	٢٠١٤	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
حالات نادرة ٢	٢٠١٣	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
منطقة الغموض	٢٠١٣	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
حالات نادرة	٢٠١٢	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
بعد منتصف الليل	٢٠١٢	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
رسائل الخوف ٢	٢٠١٠	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
رسائل الخوف ١	٢٠١٠	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت

١ أحمد خالد توفيق وسندرا شدد خيل، موسوعة الظلام، الاسترجاع في ٨، يناير، الرابط: https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%AF%D8%A8_%D8%A%D8%B1%D8%B9%D8%A87%D9%84%D8%B1%D8%B9%D8%A8

٢ تتوفر جميع الإصدارات بطريقة برايل للمكفوفين

زيارات ليلية	٢٠٠٩	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
١٧ قصة	٢٠٠٨	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
حكايات من العالم الآخر	٢٠٠٨	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
في الجانب المظلم	٢٠٠٨	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
الأبعاد المجهولة ٢	٢٠٠٦	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
الأبعاد المجهولة	٢٠٠٣	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت
خلف أسوار العلم	٢٠٠٢	مكتبة الصحوة - دولة الكويت
وراء الباب المغلق	٢٠٠٠	نوبا بلس للنشر والتوزيع- دولة الكويت

الخاتمة

إشتهر الكاتب البليغ والروائي القدير والمهندس الكويتي عبد الوهاب عبدالله السيد علي الرفاعي بأسلوبه الشيق وسرده المثير الذي يجذب بآنتباهه القراء بالكتابة في عالم ما وراء الطبيعة والروايات الخاصة بأدب الرعب والخيال العلمي. ويذكر الروائي ان معظم أو مجمل أدبه ينتهي الى أدب الرعب.

المصادر والمراجع

١. <https://www.marefa.org>
٢. <https://acakuw.com>
٣. <https://www.abjjad.com>
٤. <http://ar.theasian.asia>
٥. <https://ar.wikipedia.org>
٦. <http://www.alraimedia.com>



جماليات السرد في "سرد الذات" للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

السيد/ محمد فوز. كي^١

الملخص:

"سرد الذات" سيرة ذاتية تاريخية للمؤرخ الكبير والأديب المتضلع حاكم الشارقة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وكتاب لا يزال يتربع على عرش القراء و مهتمّي بأدب السيرة الذاتية، هي كالمعروف سيرة ذاتية رائدة في أدب الخليج العربي، ولعلها أول مذكرات ذاتية وتاريخية لحاكم عربي في الدول العربية. هي رحلة استرجائية في حياة صاحب القلم والإبداع الدكتور سلطان بن محمد القاسمي منذ صغر سنه إلى ارتقاءه على سدة الحكم، هي تحكي لنا قصة شاب ترعرع على الوطنية وترعرع على مبادئ القومية والاجتماعية. تستمد وقائعها من أرشيف أسرته و سلالته المعروفة في المنطقة كما تتضمن السيرة على الحقائق السياسية والتاريخية التي أستخرجت من أعماق جذور التاريخ. "سرد الذات" سيرة ذاتية متميزة من حيث الشكل والمضمون، إن قيمة الكتاب لا تنحصر على ما يحتوي الكتاب من قيم تاريخية ووثائقية وأبعاد متنوعة فحسب، بل هي تتعدى إلى القيم الجمالية والخصائص الفنية والملامح الأدبية التي التزم بها الكاتب الأملعي الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في نسج سرده. هذه الورقة تحاول لتحليل الكتاب من ناحية تشكيل اللغة وأسلوبية التعبير كما تهدف لاستخلاص الملامح الفنية وجماليات السرد و تقنياته التي تكمن في نص السيرة الذاتية.

الموجز عن المؤلف:

هو صاحب السمو الدكتور سلطان بن محمد القاسمي سلطان الثقافة و صاحب القلم و الإبداع، ومحقق تاريخ الخليج العربي الغابر ومحافظ التراث الإسلامي، حاكم شغوف بالفن والأدب ومحب التاريخ وحريص على ترويج الثقافة العربية الأصيلة في الأمة، شخصية متميزة بإبداعاته الأدبية وطروحاته الفكرية وفعالياته الثقافية في العالم العربي بشكل عام والإمارات والخليج بشكل خاص، لم تشغله شؤون الحكم والإدارة عن الاطلاع والاستزادة من مناهل الثقافة المتنوعة، هو لا يزال شغوفاً بالفنون والتاريخ والمعرفة. يعرف عنه فضله لسبر أغوار التاريخ، وإلمامه بالأحداث القديمة التاريخية، وهوايته للقراءة والاطلاع، وقدرته على تأليف الكتب السياسية والتاريخية والأدبية والمسرحية. ومن الملاحظ قد صدرت له زمرة من الكتب الأدبية القيمة إلى جانب كتبه في التاريخ والسياسة،

١ الباحث، مركز الدراسات العربية و الإفريقية . جامعة جوهريال نهرو، نيودلهي

وفي رصيده الأدبي أكثر من ثلاثين كتابا، يناهز عدد مؤلفاته مجموعة على ثلاث وسبعين في عمره ثمانية وسبعين. وقد تم ترجمة معظم هذه الكتب إلى لغات عالمية شتى ومنها الإنجليزية والفرنسية والألمانية وحتى إلى اللغات الهندية مثل اللغة الأردية والمليبارية. ومن أهم كتبه أسطورة القرصنة العربية في الخليج، الحقد الدفين، تحت راية الاحتلال، بيان للمؤرخين الأمجاد في براءة ابن ماجد وما إلى ذلك.

"سرد الذات" نظرة طائفة

إن الكتاب "سرد الذات" وثيقة حياة ممثلة بالرصد الذاتي والرصد التاريخي، الكاتب يسوق بنا إلى تاريخ وطن عربي غير معروف لدى الجميع، فيمتعنا بسرد الأحداث التاريخية الكبيرة شهدتها منطقة الإمارات والشارقة من الأربعينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي، ولا شك أن هذه السيرة الذاتية دليل ساطع وشاهد عيان لسيرة إمارة الشارقة المختلفة وتحولاتها عبر هذه المرحلة والتطور الثقافي والتعليمي السريع فيها. قراءتي لـ "سرد الذات" إلا هي قراءة تأملية ووصفية واستنباطية، كأني أخوض إلى أعماق تاريخ الشارقة وعالم المتعة والنزهة بإيقاع سرد سموه وسلاسة كلماته وتعاييره، ومن الملاحظ أن الكتاب قد لقي قبولا عظيما في العالم العربي وحقق مبيعات هائلة بلغت أكثر من ٢٧٠٠٠ نسخة منذ أن نشرتها "منشورات القاسمي" في معرض الشارقة الدولي للكتاب لعام ٢٠٠٩ م.^١

إنّ الكتاب يتضمن على ثلاث مائة وأربع وعشرين صفحة كما يحتوي على حوالي ست وخمسين صورة للسلطان وما حوله من الوردات في كتابه، يفصل صاحب السموّ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة كتاب السرد الذاتي إلى أربعة عشر فصلا، تتخذ فيها العناوين إشارات ودلالات، وهي ذاتية، يسرد لنا المؤلف ملامح نشأته وطفولته وشبابه و يوثق صاحب السموّ من خلالها تجاربه المتنوعة وذكرياته والأحداث الكبيرة المهمة للغاية. يستهل السلطان سرده الذاتي قائلا هدفه المنشود به "كتبت هذا الكتاب لأوثق فيه تاريخ أهلي وبلدي، على مدى تسعة وعشرين عاما، في أساليب من القول، بعد أن أزلت منه الغث أو ما اختلط به، وأسميته سرد الذات".^٢

الأسلوب

الأسلوب الذي طبقه الشيخ سلطان القاسمي في تأليف سيرته الذاتية متسم بالدقة المتناهية والرقّة في اختيار الكلمات والبساطة في التراكيب والجودة في العرض، أسلوبه رصين يبرز جماليات السرد وتقنياته. تتشكل أسلوبية تعبير السيرة الذاتية "سرد الذات" بميزتين أساسيتين هما: البساطة واكتناز اللغة، إذ تجلت فيها مواقف عديدة تبين بساطة الكلمات التي استخدمها الكاتب وسهولة التراكيب و جزالة الألفاظ كما يؤكد ميزة الكتاب البلاغية وتمييزه اللغوي بتضمين الحكم والعناصر الفكاهية. وقد سار الكاتب صاحب السموّ في كتابته على غرار الأدباء والجغرافيين والرحالة والمؤرخين، يعرف عنه أسلوبه الدقة في تفاصيل المعالم التاريخية

١ الموقع الخاص للدكتور سلطان بن محمد القاسمي

٢ أ.د. سلطان بن محمد القاسمي، سرد الذات، منشورات القاسمي، الشارقة ٢٠٠٩ م، ص: ١١

والأحداث التاريخية المهمة، إنه أحاط بأدق تفاصيل الأحداث ذات قيمة تاريخية واجتماعية، وهو حريص على الأمانة الأصلية في نقل الصورة الأصلية بعيدا عن الاطناب والمبالغة أو الزيادة.

جماليات السرد في "سرد الذات"

ولعل من أبرز سمات "سرد الذات" التي تعرف عنها نتاجا شاملا فريدا في نوعها وتحظي بمكانة أولى بين السير الذاتية في واحة أدب الخليج العربي، جودة السرد وإيقاعه وتقنياته، وروعة سبكها و رصانة ألفاظها و سلاسة كلماتها بشكل ممتاز، وإذا قفنا عند مصادر السرد بهذا العمل، فنرى السرد ينبع من مصادر متنوعة مختلفا من مصدر واحد "المؤلف"، بل تتمثل في الشخصيات الآخرين مثل والد الراوي، وشقيق الكاتب و صديقه، في الفصل الأول نرى مثلا موقفا تسند فيها الرواية إلى والد الراوي الشيخ سلطان، فيسرد قصة حريق الشارقة قائلا "يقول والدي: في عهد والدي الشيخ صقر بن سلطان القاسمي...".^١ و جدير بالذكر أن سرده يجري على خطين متزاويين يتقاطعان كل مرة^٢، الخط الأول يتتبع سيرة صاحب السمو منذ الطفولة وذكراته الرائعة في محطات حياته المتنوعة بدءا من عتبة البيت وعائلته ودراسته في المدارس المختلفة ومرورا بالترحال في المحيط الكبير ومحطات السفر وينتهي بإرتقاءه على سدة حكم الشارقة في سنة ١٩٧٢م.

أما الخط الثاني يتوجه إلى نوافذ وزوايا يفتحها المؤلف على الواقعيين السياسي والاجتماعي في حياة مواطني الشارقة، الأحداث التي مرت من الأربعينيات والخمسينيات والستينيات، والوقائع الكبيرة هزت الشارقة وسكانها آنذاك، بدءا من مسألة رأس الخيمة و مشروع الناصري في المنطقة ومرورا بتدخلات الإستعمار البريطاني في مقاليد الحكم العربية و العدوان الثلاثي على مصر و التطور الثقافي والتعليمي السريع في الإمارة وانتهاء بدور جامعة الدول العربية في قضايا الشارقة. والذي نريد هنا إيضاح أنماط إيقاع السرد في "سرد الذات"، وهي الأنماط التي يمكن نجملها في ثلاثة أنماط رئيسية: (١) النمط السريع، (٢) النمط البطيء، (٣) النمط المتوازن.^٣ في النمط السريع يعتمد الكاتب إلى سرد الأحداث بإيجاز و يلخص أحداثا كثيرة بجمل قصيرة، تواترت في هذا النمط أمثالا في نص الكتاب، ومنها ما ورد في إحدى فقرات الفصل الرابع مشيرا إلى تأليف و عرض مسرحية "الحطاب و بنت السلطان" كما يلي:

"وكان الأستاذ على أبو رحيمة قد قام بتأليف وتمثيل أول مسرحية في المدرسة القاسمية، وكانت الحطاب و بنت السلطان"^٤، وهكذا في فقرة من فقرات الفصل الخامس يسرد فيها الكاتب رحلته و عائلته من جدة إلى المدينة: "خرجنا من جدة، بعد أن بقينا فيها ثلاثة أيام، متوجهين ظهرا إلى مدينة المنورة على الطريق الساحلي"^٥. فإن إيقاع السرد و تقنيته في جميع هذه الفقرات يظل إيقاعا سريعا موجزا ، فالأحداث الطويلة تختصر وتسرد

١ سرد الذات، ص: ٢٣، ٢٤

٢ مرعي الحليان، "سرد الذات" وثيقة حياة مفعمة بالشفافية وتفاصيل جريئة عن الوطن، مقالة، صحيفة البيان، ١٠ يناير ٢٠١٠

٣ أ.د. الرشيد بوشعير، أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١م، ص: ٢٧٩

٤ سرد الذات، ص: ٩٥

٥ نفس المصدر، ص: ١٢٦

في جمل معينة.

(٢) النمط البطيئ يعتمد الكاتب إلى سرد الأحداث بشكل مفصل بجمل تكاد تكون مصابقة لزمناها^١، ويمكن أن نجد أمثلة زائدة له في سطور الكتاب المتنوعة، فعلى سبيل المثال؛ توصيف الكاتب محاصرة الإنجليز لبيت والده ورد في الفصل الثاني: "وإذا بأصوات السيارات تتردد حول بيتنا.. نظر والدي من شباك الغرفة العلوية المطل على الساحة الأمامية، وشاهد الجنود البريطانيين وهم يحاصرون البيت من الناحية الغربية، فصاح والدي على العساكر والخدم والتابعين له بأن يحملوا السلاح، وأن يغلقوا البوابات"^٢، مثل هذا نرى فقرات كثيرة في فصول "سرد الذات"، لكن الملاحظ فيها، يسرد الكاتب في هذه الفقرات كلها بدقة وتفصيل جاعلا حبل زمن السرد يرتخي خلافا لحبل زمن السرد الموجز السريع الذي يأتي عادة مشدودا، في هذه المواقف يتجلى في المؤلف حرص شديد على الموضوعية و النزاهة والحياد، كما قال الأستاذ الرشيد بوشعير في كتاب "أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر"^٣.

(٣) النمط المتوازن يحاول فيه الكاتب أن يوازن في سرده بين الإيجاز و التفصيل، ومن أروع أمثله في الكتاب، الفقرة التي يصف فيها الكاتب أسلوبا من أساليب العقاب في المدرسة: «في شهر فبراير إبريل ١٩٥٢م تم الاستغناء عن الأستاذ نصر الطائي مدرس اللغة الإنجليزية، لتصرفات ما كان عليه أن يأمر بها؛ فقد كان إذا أخطأ لديه الطالب يقوم بضربه ضربا مبرحا على رجليه المثبتتين بالقفلة، وهي عبارة عن قضيب خشبي تربط إليه رجلا الطالب وترفعان إلى أعلى، ويضرب على أخمص قدميه، وفي بعض المرات كان يضع في كلتا يدي الطالب حجرين من مرجان البحر ليرفعها إلى أعلى وهو جالس على مقدمة قدميه"^٤. وكذا برز هذا النمط في الفصل السادس المختص للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م وما أثاره من نقمة و إقدام كاتب على مقاوة الإنجليز بمساعدة بعض أصدقائه: "هربنا، نحن الثلاثة، إلى السبخة ناحية الجبيل، ثم رجعنا إلى موقع الحادثة، حيث تجمعهم الناس، ونحن معهم، حول هيكل السيارة، وقد احتركت"^٥.

الخاتمة:

إن هذه السيرة تتميز عن غيرها من السير الذاتية بتفرداها بجمال الفن و إيقاع السرد وأسلوب التعبير الرصين إضافة إلى تميز معانيها بالبوح التاريخي والذاتي. إن أنماط إيقاع السرد في "سرد الذات" لم يكن جاريا على منوال واحد، وإنما كان حركيا متنوعا يتراوح بين الإيقاع الموجز، والإيقاع المفصل، والإيقاع المتوازن.

١ أ.د الرشيد بوشعير، أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١م، ص: ٢٨٠

٢ سرد الذات، ص: ٥٠

٣ أ.د الرشيد بوشعير، أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١م، ص: ٢٨١

٤ سرد الذات، ص: ٩١

٥ نفس المصدر، ص: ١٤٥

المصادر والمراجع

١. الرشيد بوشعير- أدب الخليج العربي الحديث. والمعاصر : من التقليد إلى التجديد - دار العالم العربي للنشر والتوزيع - الإمارات، ٢٠١١م
٢. ريم العيساوي- انعكاسات المرأة في سرد الذات للدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي- مطبعة فن الطباعة، تونس ، ٢٠١١م
٣. الدكتور سلطان بن محمد القاسمي- "سرد الذات"- منشورات القاسمي- الشارقة- ٢٠٠٩
٤. الدكتور عبد العزيز شرف - أدب السيرة الذاتية - دار الإهداء للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٢



المدرسة الرومانسية في الأدب العربي

الدكتور/أشرف الدين أ.

الملخص:

لكل مرحلة زمنية خصائص وملامح وحدود تميزها عن بقية المراحل وتفصلها عنها حتى وإن تداخلت فيما بينها، وأدى بعضها نشوء بعض، والأدب كغيره له مراحل التي ينمو فيها تدريجياً والتي من خلالها نستطيع لمس هذا المبدأ، وأوضح مثال يمكن ضربه هو المدارس الأدبية. فالمدرسة الكلاسيكية أول مذهب أدبي نشأ في أوروبا بعد الحركة العلمية والنهضة الأدبية التي سادت أوروبا إبان القرن الخامس عشر من الميلاد. جاءت بعدها المدرسة الرومانسية تهدم مبادئها وتجدد في معتقداتها. الرومانسية أصل كلمتها من رومانس Romance باللغة الإنجليزية. ومعناها قصة أو رواية تتضمن مغامرات عاطفية وخيالية. ولا تخضع للرغبة العقلية المتحررة ولا تعتمد الأسلوب الكلاسيكي المتأنق وتعظم الخيال المجنح وتسعى للانطلاق والهروب من الواقع المرير. «الرومانطيقية، الرومانطيقية» كلمات تؤدي إلى معنى واحد وهو الرومانسية. وعند الوقوف على معنى محدد للحركة الرومانسية نجد أن العلماء والمفكرين اختلفوا في ذلك، إلا أنهم أجمعوا على أنه مذهب أدبي أخذ في الظهور في أوروبا بعد قرن ونصف من ظهور الحركة الكلاسيكية. كانت تهدف إلى التخلص من سيطرة الآداب الإغريقية والرومانية، وبخاصة حينما بدأت أقطار أوروبا تأخذ نفسها نحو الاستقلال في اللغة والأدب والفكر والاستعداد لدخول عصر النهضة.

بدأت الرومانسية في فرنسا عندما قدم الباحث الفرنسي عام ١٧٧٦م ترجمة لمسرحيات شكسبير إلى الفرنسية ويعد الناقد الألماني فريدريك شليحل أول من وضع الرومانسي كنقيض للكلاسيكية. ثم تبلورت الرومانسية كمذهب فني، وبدأ الناس يدركون معناها الحقيقي التجديدي وثورتها ضد الكلاسيكية. ولا شك أن الثورة الفرنسية ١٧٦٨ هي أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثاً ونتيجة في آن واحد للفكر الرومانسي المتحرر المتمرد على أوضاع كثيرة أهمها الكنيسة وسطوتها والواقع الفرنسي وما فيه.

خصائص المذهب الرومانطيقية

المبدأ العام الذي قامت عليه الرومانسية هو رفض كل ما هو كلاسيكي، والثورة على جميع القيود الفنية المتوارثة من الآداب الإغريقية واللاتينية، فقد غلبت على الرومانسيين نزعة التمرد على هذه القيود التي التزمها الكلاسيكيون. إدعوا إلى التخلص من كل ما يكبل الملكات، ويقيد الفن والأدب، ويجعلهما محاكاة جامدة لما اتخذ اليونان

١ أستاذ مساعد، قسم العربية، كلية م.س.م، كايكولم

واللآتين من أصول:

- إبعاد العقل عن كل نشاط له علاقة بالفن إبداعا وتذوقا.
- تقديس الحرية الفردية: لتنتقل العبقورية البشرية على سجيتهما دون ضابط لها سوى هدي السليقة والإحساس الطبيعي للفرد.
- تمجيد العاطفة والخيال جاءت الرومانسية لتشد بأدب العاطفة والحزن والألم والخيال والتمرد الوجداني والفرار من الواقع والتخلص من صرامة العقل.
- العودة إلى الأصول: وهي عندهم الأغاني والأشعار الشعبية. وألوان الفلوكلور المحلية بكل ما تحمله من بساطة وطيبة وعفوية وسذاجة وبراءة وطهر ونقاء.
- تقديس الطبيعة: لدى الرومانطيين كل ما هو طبيعي حقيقي وجميل وواضح، وسعادة الإنسان في الفرار إلى أحضان الطبيعة ومنجاتها والتغني بجمالها وكرمها.
- عودة الشعر الغنائي الوجداني الحر الذي يعبر عن شخصية صاحبه وأحاسيسه ومشاعره.
- الاهتمام بالمواضيع المستمدة من معانات الطبقات الضعيفة والمهمشة وتحسس آلامها والتعبير عن آمالها وتطلعاتها.
- بساطة اللغة: الابتعاد عن اللغة المستمدة من المعاجم والكتب القديمة والتراكيب المصنوع: والجنوح إلى اللغة البسيطة المستمدة
- حياة الناس اليومية والمتداولة بينهم الواضحة المفهومة والخالية من التكلف.

أهم أعلامها

ومن كبار شعراء الرومانسية فيكتور هيجو، V. Hugo ألفريد دي الموسيه، Alfred de Musset^١ ولامارتن، ووردز وورث Wordsworth وكولدرج Coleridge وبايرون وشيلي. (١٧٦٢-١٨٢٢) وكيثس^٢. (١٨٢١-١٧٩٥) هذه هي الرومانسية التي سيطرت على الآداب الأوروبية ردحا من الزمن. وكان لا بد لها أن تنهار وتسقط في خضم المذاهب الناشئة كما حدث - تماما - للكلاسيكية. «ومن أقطاب المذهب الرومانسية في إنجلترا ووردز وورث، وكولدرج، وبايرون وشيلي. (١٧٦٢-١٨٢٢) وكيثس. (١٨٢١-١٧٩٥) وفي ألمانيا الاخوة جريم Grimm Grimm^٣ وجون بول

^١ ولد موسيه في ١١ ديسمبر ١٨١٠ في باريس لعائلة تنتمي إلى الطبقة العليا، لكنه كان فقيرا. عمل والده في مناصب حكومية هامة عديدة، لكنه لم يعط ابنه مالا أبدا، وتوجهه نشرة أعمال روسو الكاملة في ١٨٢١. كانت أمه من سيدات المجتمع، وقد خلفت حجرة الرسم الخاصة بها واستقبالاتها وحفلاتها مصغرة. وبعد سنوات ضمن شقيقه الأكبر، بول دي موسيه، هذه المسرحيات المصغرة وتفاصيل أخرى في السيرة الذاتية التي كتبها عن شقيقه الأصغر الشهير.

^٢ جون كيثس (بالإنكليزية: John Keats) (٣١ أكتوبر ١٧٩٥ - ٢٣ فبراير ١٨٢١) شاعر إنكليزي أصبح واحدا من شعراء الحركة الرومانتيكية الإنكليزية المهمين في مطلع القرن التاسع عشر. خلال حياته القصيرة هوجمت أعماله من قبل نقاد الدوريات في ذلك العهد، لكن تأثيره بعد وفاته على شعراء مثل ألفرد تينيسون كان هائلا. سلسلة الأغنيات القصيرة التي كتبها كيثس تعتبر اليوم تحفا فنية، ولا تزال من أكثر قصائد الشعر الإنكليزي انتشارا. تعتبر رسائل كيثس عن نظريته الجمالية في القدرة السلبية أكثر الرسائل المحتفى بها لأي كاتب

^٣ الأخوان جريم/ جريم: Jacob Grimm يعقوب جريم (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وWilhelm Grimm فيلهلم جريم (١٧٨٦-١٨٥٩) م. كان الأول لغويا وكتبا ألمانيا. قام هو وأخيه بتجميع العديد من القصص الشعبية الألمانية وتخريجها في كتاب (حكايات للأطفال).

ريختر و Goeuth جوته وشيلر^١ (١٨٠٥-١٧٥٩) في فرنسا شاتوبريان^٢ وفكتور هيجو V. Hugo، ولامارتين^٣.

وقد استمرت الرومانسية في أوربية هي الإطار والموجه والطابع الغالب على الإنتاج الفني عموماً والأدبي على وجه الخصوص طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى سنة ١٨٤٣ م التاريخ الذي بدأت تظهر فيه الميول نحو مذهب جديد هو المذهب الواقعي.

الطبيعة في أدب الرومانتيكيين

كانت النشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانتيكيين. فكانت مشغلة لعقولهم وجانبها هاما من جوانب شخصياتهم، وموضوعا خصباً لفلسفتهم وكتاباتهم، لكن على الرغم من ذلك لم تكن فصول الطبيعة ومناظرها سواء عند الرومانتيكيين. فمن بين فصول السنة فضلوا فصل الخريف. لا ليتغنوا بثماره أو ليسرحوا بخيالهم في جمال حقوله ويتأملوه كلوحة خلابة. إنما ليتغنوا به كفصل تتجرد فيه الغصون من أوراقها بينما تعصف بها الريح، ويقف نبض الحياة في الطبيعة.

وهذه المناظر توحى بالذبول والتحلل والفناء، وتتجاوب مع المشاعر الحزينة للرومانتيكيين التي كانوا يهيمنون بها وتسيطر على تفكيرهم واتخذ الرومانتيكيين من الليل رمزا للانطلاق والتحرر، لأن النهار تتجلى فيه الموجودات محددة المعالم، في وجود مقيد. ولكن الليل يمحو هذه الحدود ويرفع ستار الأسرار عن النفس. ويفضل الرومانتيكيون كذلك مناظر العواصف وأمواج البحر المترامية، فهي قريبة من أنفسهم بما يصوره تلاطم الأمواج من تلاطم أفكارهم ومشاعرهم.^٤

وإذا أردنا أن نصف علاقة الرومانتيكيين بالطبيعة، يمكننا القول أنهم كانوا ينشدون السلوان فيبثونها حزنهم ويناطرون بين مشاعرهم ومناظرها لأن لها صلات بخواطرهم ومشاعرهم ويتخيلون في المخلوقات أرواحا تحس مثلهم فتحب وتكره وتحلم فيشركونها مشاعرهم، ولذا تجدهم يخاطبون الأشجار والنجوم والورود والصخور وأمواج البحر، ولا يختلي الرومانتيكيون في الطبيعة ليفكروا ويستخلصوا حججاً أو يحلوا المشكلات، وإنما ليحلموا ويستسلموا لمشاعرهم

الكاتب الرومانطيكي

الإنسان الرومانطيكي هو الإنسان الرومانسي الذي تغلب عليه العاطفة. الحالم ذو المزاج الشعري المنطوي على نفسه، ثم امتد معناها إلى ما يمثل شبوب العاطفة والاستسلام للمشاعر وأحاسيس النفس

١ يوهان كريستوف فريدريش فون شيلر Johann Christoph Friedrich von Schiller ولد في مارباخ ١٧٥٩، ومات في فايمار ١٨٠٥ هو شاعر ومسرحي كلاسيكي وفيلسوف ومؤرخ ألماني. يعتبر هو وجوته مؤسسي الحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني، ويعتبر من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الأدبي الألماني.

٢ فرانسوا-رينيه دو شاتوبريان François-René de Chateaubriand (١٧٦٨-١٨٤٨ م). واحد من أهم الشخصيات في الأدب الفرنسي الرومانسي. تصف روايته أتالا (١٨٠١ م) قصة حب مأساوية بين هندية من هنود أمريكا الشمالية، والرواية نموذج لاهتمام الرومانسية الأوروبية بالموضوعات البدائية وغير المألوفة.

٣ د/ عبد الباسط بدر، مذاهب الأدب الغربي، دار الشعاع الكويت.

٤ نفس المرجع

ودفقات الروح. والكاتب الرومانتيكي هو شخصية رومانسية ذا نفس سريعة التأثر، وعقل جسور مولع بالجري وراء المتناقضات، وقلبه عامر بعواطف إنسانية عمادها الوطنية أو الحرية أو الحب القوي الذي يعلو بنفوس ذويه وسعيه للتميز عمن يحيطون به... في خلقه وعاداته ومبادئه بل وفي ملابسه ولهجته جعل من أدبه مرآة لعكس ذلك التفرد وتلك الأصالة.

وفي وسط هذه المشاعر القوية نلمح نفس الرومانتيكي نائرة لا تهدأ، متوقدة لا تتمد، نائمة لا ترضى. فقد تدعو الى تحمل الوجود بآلامه في تسام عن الشكوى وترديد الآهات، ولكن في اعتداد يدل على ما يعاني من لواعج العذاب... ويعتقد الرومانتيكيون أن الشاعر له عالمه الخاص به حيث تلعب التجارب دوراً أقل مما يقوم به الشعور الذاتي. ويرى الرومانتيكي الألماني نوفاليس أن الشعر تمثيل للشعور ولعالم النفس وأحاسيسها في مجموعه كلمات. وكلما كان الشعر فردياً وذا طابع محلي وصيغة حاضرة ذاتية كان أقرب إلى صميم الشعر الوجداني، وعند البحث نجد أن كثير من الرومانتيكين يعتصمون من الواقع بالانطواء على انفسهم ونشدان مثال لهم، فتتسع الهوة بينهم وبين الواقع وما ينشدون من مثال.

الرومانسية في الأدب العربي الحديث

ولم يكن العرب بعيدين عن هذه المدرسة. فظهرت الحركة الرومانتيكية أولاً في سوريا، وتبعتها بقية بلاد الشام، ثم وصلت هذه الحركة تقدمها إلى أن غزت العالم العربي بأجمعه وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من مسيرة الأدب العربي. ورغم أن الرومانتيكية العربية كانت في بادئ نشأتها انعكاساً للرومانتيكية الغربية، فإنها لم تصل في جميع مراحلها إلى ما وصلت إليه الرومانتيكية الغربية من إلهام وأعمال سيئة غير أخلاقية، أضفت إليها طابع التشاؤم، وألقت بأدبائها إلى بؤرة الجريمة.

لقد بقيت الرومانتيكية العربية محصورة في حدود الدعوة إلى الرجوع للذات، ووصف تجارب الأدب الفردية والإنسانية في حدود ما يشعر به أو يصل إلى تفكيره فوجدت بذرة الرومانتيكية في الحضارة العربية تربة صالحة لنموها وترعرعها، حيث اتسعت دائرة المثقفين، وبرزت ملامح الطبقات الاجتماعية. ومرحلة الرومانتيكية تبدوا في أجلى مظاهرها في الفترة ما بين الحربين العالميتين.

أبرز أدبائها ومفكرها العرب

تمكن العقاد والمازني بإحداث بعض التغيير في الذوق الأدبي السائد عن طريق كتاباتهما النقدية أكثر منه عن طريق شعرهما. فإن ما شناه من هجوم على شوقي والكلاسيكية الجديدة في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين. شجع الجمهور المثقف على أن يصغي لأصوات غير أصوات التقليديين. هذا الدور الذي قام به العقاد والمازني في مصر أدى مثله دعاة التجديد الذين كانوا أشد تطرفاً وثورية في لبنان والمهجر أمثال جبران ونعيمه، ولولا تلك المعارك الأدبية وجلبة الكتابات النقدية الصاخبة لتعذر انتشار الرومانتيكية على نحو ما انتشرت في الشعر الحديث.

«غزت الرومانسية الشعر العربي على أيدي شعراء مدرسة الديوان: العقاد والمازني وشكري، على أيدي شعراء المهاجر الأمريكية، ثم بعد اتساعها ضمت عددا كبيرا من شعراء الوطن العربي، ومن أبرزهم علي محمود طه، أحمد عبد المعطى، فرح أنتون، أمين الريحاني، إبراهيم ناجي، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي، أبو القاسم الشابي، خليل حاوي، يوسف الخال، محمود درويش، سميح القاسم، صلاح عبد الصبور، خليل مطران (أبو الرومانسية) مشاهير الشعراء الرومانسية، وهو أول من رفع صوته للتجديد.»^١

ترك المذهب الرومانسي أثرا عميقة في الأدب العربي الحديث. ولهذا التأثير سببان هما:

١. الحاجة إلى التجديد والتي فرضت نفسها بقوة على الحياة السياسية والفكرية والأدبية بين الحربين العالميتين.
٢. كون المذهب الرومانسي كان يشكل الملاذ الوحيد الذي وجد فيه الشعراء والأدباء آنذاك إطارا يعبرون من خلاله عما يضطرب في صدورهم ويختلج في جوانحهم من رغبة في دفع مظالم الاستعمار والاستبداد والثورة على القهر والحرمان والتوق إلى الحرية.

عناصر ظهور الرومانسية في الأدب العربي

- تأثيرات الغرب: بدأ الاتصال بالثقافة الغربية منذ المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر، فأخذت البعثات العلمية تقصد أوروبا لتتغترف من الحضارة الجديدة، وعادت تحمل هذا التأثير من المثقفين العرب، فتأثر معظم الشعراء بنظرائهم في الغرب وفي مقدمتهم خليل الخوري (١٨٣٦-١٩٠٧) الذي كان على اتصال تراسلي مع لامارتين.
- معانات الجيل العربي: ما بين الحربين يعزو بعض النقاد أسباب ظهور المذهب الرومانسي إلى معانات الجيل العربي أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، من كبت للحريات والعواطف والقيود ومصادرة الأفكار الحرة وممارسة القمع والتعذيب فانطوى الشاعر على نفسه وانسحب إلى دنيا الأحلام متقلبا بين اليأس والأمل. المذهب الرومانسي هو الملاذ الوحيد الذي وجد فيه الشعراء والأدباء آنذاك إطارا يعبرون من خلاله ما يضطرب في صدورهم ويختلج في جوانحهم من رغبة في دفع مظالم الاستعمار والاستبداد والثورة على القهر والحرمان.
- «الرغبة في التجديد، لقد ضاق الأدباء ذرعا بالموضوعات القديمة والصور التقليدية، وأرادوا التحرر من القيود القديمة التي كبلت حرية الشاعر في الإبداع. لقد ضاق الأدباء ذرعا بالموضوعات القديمة والصور التقليدية، وأرادوا التحرر من القيود القديمة التي كبلت حرية الشاعر في الإبداع.»^٢

الخاتمة

تأثر جيل جديد من النقاد العرب بالرومانطيقية الفرنسية والإنجليزية ودعوا إلى التجديدية في الأدب العربي. كان خليل مطران أول من رفع صوته للتجديد، دعا مطران إلى المنهج الفني في النقد العربي وحذاه بعض المحدثين في الأدب العربي الحديث، وعماد هذا المنهج الحكم على النص الأدبي من حيث روحه وموسيقاه وأصالته

١ د/ محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث - نهضة مصر، ٢٠٠٥، ط ٦، ص ٣٥١.

٢ د/ عبد المنعم خفاجي/ دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ٤١ - ٤٢.

وعناصره وصدقه وتجربته الشعرية ووحدته العضوية. ومن هؤلاء الحماة الرومانطيين عباس محمود العقاد (١٩٦٤) وعبد الرحمن شكري (١٩٥٨) وعبد القادر المازني (١٩٤٩) وأحمد زكي أبوشادي (١٩٥٥) وأبو القاسم الشابي (١٩٣٤) وجبران خليل جبران (١٩٣١).

المصادر والمراجع

١. أحمد عبيد، مشاهير شعراء العصر، في الأقطار العربية، بيروت، ١٩٩٤.
٢. الدكتور محمد غنيمي هلال، النقد الأدب الحديث، نهضة، مصر، ٢٠٠٥.
٣. جورج صيدح، أدبنا وأدبائنا في المهاجر الأمريكية، ١٩٦٤.
٤. الشنطي محمد صالح، الأدب العربي الحديث - مدارسه وفنونه وقضاياها ونماذج منه، الأندلس، ٢٠٠١.
٥. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ١٩٦١.
٦. عمر الدسوق، في الأدب الحديث، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٦٨.
٧. محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢.



شعر المقاومة الفلسطينية: نظرة عامة

الدكتور/ إي. كي. ساجد^١

الملخص:

الشعر العربي الفلسطيني، بين سائر الشعر العربي والشعر العالمي، يقف وحده متميزاً بخصوصية منحه إيّاه استثنائية قضيته وظروف شعبيها. فهو شعر معاناة ومصابرة ومجادلة وجهر بالشكوى ضد التسلط والاستبداد الفردي أيام الدولة العثمانية، وهو شعر كفاح أيام كان الوطن في ظل الانتداب البريطاني، وشعر مقاومة ومواجهة بعد احتلال الوطن من قبل الصهاينة، وشعر إغتراب وعذاب وإضطراب في الأرض للخارجين المبعدين عن الوطن، الضارين في الأفق، يتراوحون بين شفقة مذلة مهينة واستضافة غير مرحّب بها في أكثر الأحيان والبلدان. وفي الحقيقية ما من حركة شعرية في كافة الأقطار العربية، تعرّضت لكثير من الظلم والعبث والتشويه، مثل الحركة الشعرية في فلسطين، حالها في ذلك حال القضية الفلسطينية نفسها، وهي ما تزال تتعرّض لهذا كله، حتى هذه الأيام.

وكان ظهور الجيل الثاني من شعراء فلسطين، في القرن الميلادي المنصرم، الذي يقف في طليعته إبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمي)، ومطلق عبد الخالق، وعبد الرحيم محمود، ويضم في عداده برهانا الدينا العبوشي، ومحمد العدناني، وكامل الدجاني، ومنيف الحسني وسواهم، كان ظهور هذا الجيل يمثل بداية النهضة الشعرية المعاصرة في فلسطين. غير ناسين أو متجاهلين أولئك الشعراء الذين امتد بهم العمر ولم ينقطعوا عن الشعر، من فرسان الجيل الأسبق، كوديع البستاني، واسكندر الخوري البيتجالي، وأبي الإقبال اليعقوبي، وقد تميّز شعراء هذا الجيل ممن سبقهم، بحظّ أوفر من الثقافة الحديثة وحذق عديد من اللغات الأجنبية، وخاصة الإنكليزية والفرنسية، حيث كان أكثرهم قد درسوا في معاهد وجامعات أجنبية، مما أتاح لهم فرص الاتصال الرّحب بالأدب الغربية، ومواكبة التيارات والمذاهب الأدبية والنقدية، وفنون الشعر المحدث، إلى جانب متابعتهم للنهضة الشعرية العامة الطالعة في الأقطار العربية الأخرى، وبخاصة مصر، وسوريا، ولبنان، والعراق، وكذلك في المهاجر الأمريكية النائية، فأفادوا كثيراً من ذلك كله في التجويد والتجديد. كما أنهم انغمسوا في صميم قضيتهم الوطنية خاصة، وقضايا أمّتهم العربية عامة، ونهضوا للقيام بأعبائها، فجاء شعرهم في كثرته الكاثرة، شعر كفاح ونضال، في مواجهة الاستعمار الغاشم والغزو الصهيوني الداهم، فكثر القصائد التي تثير

١ أستاذ مساعد ومشرّف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق (حكم ذاتي)، كالقوت.

النفوس وتوقظ المشاعر، وتمجد البطولة والأبطال والشهادة والشهداء، وتحت الجماهير على مواجهة المؤامرة الكبرى ضد وطنهم وأمتهم.^١

ويلاحظ أن حالة الشعر العربي الفلسطيني، بدءاً من القرن العشرين الميلادي وحتى احتلال بريطانيا لفلسطين، لم تكن بعيدة، أو مختلفة كثيراً، شكلاً ومضموناً، عن حال الشعر في سائر الأقطار العربية آنذاك، حيث كان ما يُنظم من قصائد ومقطعات تقليداً ومحاكاة للشعر في عصور الضعف والإنحطاط، ينوء بأثقال البديع والزخارف والمحسنات. فقد ظل الشعر العربي الفلسطيني شعراً تقليدياً في مبانيه ومعانيه ومضامينه ولغته، نتيجة حياة التخلف الحضاري التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني الخارج للتو من ظلام الحكم العثماني الطويل الدامس. ولم تبدأ حدة الجمود بالتخفف شيئاً فشيئاً، إلا مع بدء انفتاح فلسطين على العالم الخارجياً لأوروبي، وتدفق الهجرة اليهودية على فلسطين التي فتحت العيون وأيقظت العقول على المخاطر الصهيونية القادمة، ووضع فلسطين في حالة إعداد اقتصادي وسياسي وإداري لإنشاء الوطن القومي الصهيوني لليهود، ولقيام حكم بريطاني صهيوني منظم مدة طويلة من الزمن قائم على تخطيط ووعي، ونتيجة لذلك، أخذ التغيير يتسرّ بالحياة الناس الحضارية والثقافية والاقتصادية والنفسية في الداخل والخارج.^٢

وقد ظلت المدرسة الشعرية التقليدية هي السائدة، وأخذت التيارات الفنية الجديدة تنمو في داخلها دون أن تطغى عليها أو تخرج عن نطاقها العام، لأن حياة المجتمعات الفلسطينية لم تتغير تغيراً جذرياً في تلك الفترة القصيرة من الزمن. ونتيجة لهذه النظرة يكون الشعر العربي الفلسطيني قد نهض في عهد الانتداب على قواعد المدرسة الكلاسيكية، وأصولها التقليدية المعروفة، وقد التزمت الفئة المخضمة من شعرائه بهذه الأصول في الأغراض والشكل واللغة والمحتوى، فجاء إنتاجها خطابياً تقريرياً يأخذ برتابة النغم وعمودية القصيدة ووحدة البيت، ويعنى بالصياغة اللفظية عناية فائقة، ويهدف إلى إثارة الإعجاب والطرب، ويندفع صاحبه إلى القول بحسب المناسبات والأحداث الخارجية.^٣

وقد بدت ملامح التغيير والتحرر في الشعر الفلسطيني، في الشكل والمضمون والأغراض واللغة الشعرية، تظهر في قصائد عديدة من نتاج الثالوث الشعري الشهير في فلسطين وهم 'إبراهيم طوقان'، 'عبد الكريم الكرمي' (أبو سلمى)، و'عبد الرحيم محمود' الذين انتقلوا بالشعر في بلادهم من التقليد والتشطير والتخميس والزخارف اللفظية والنظم والمصطنع، إلى شعر يعبر عن ذات قائله وعواطفه ومشاعره، وكذلك هموم أمتة وشؤون وطنه، وقضيته الأساس في مواجهة التهديد بضياح الوطن وتشريد الأهل على أيدي الغزاة الصهاينة الوافدين في ركاب الانتداب البريطاني المتأمر. ولم يكن غريباً أن تظهر قصائد رومانسية حاملة في الحب والغزل ووصف الطبيعة ومفاتها، وقصائد في التأمل والاجتماع، إلى جانب القصائد في الموضوعات الوطنية والقومية والسياسية. لكن أكثر قصائد الشعراء

١ د. عبد الرحمن الكيالي: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٠٠ - ١٠٦.

٢ د. عبد الرحمن الكيالي: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٠٠ - ١٠٦.

٣ المرجع السابق، ص ١٠٠ - ١٠٦.

في هذه المرحلة، كانت تتركز في مقاومة الاستعمار والغزو الصهيوني، والتنديد بوعد 'بلفور' (Balfour) وممارسة حكومة الانتداب وبطشها بالشعب الفلسطيني، ودعوة الشعب إلى التيقظ لما يُحاك ضدّ وطنه، وتمجيد الثورة والثوار وتخليد الشهداء، وإدانة السماسرة والمنحرفين وبائعي الأرض لليهود، وكلها موضوعات جديدة لا عهد للشعر العربي بها أو بمثلها عبر تاريخه الطويل. وظهرت ألوانٌ جديدة من النظم تقوم على تنويع القافية في القصيدة الواحدة، واستخدام اللغة السهلة القريبة من أفهام الناس والأوزان الخفيفة من المجزوء والمسطور،

وبرزت صناعة الأناشيد الوطنية الحماسية المحكمة، كما ظهرت تجارب ساذجة غير ناضجة فنياً في القصة الشعرية والمسرحية الشعرية قام بها 'أسكندر الخوري البيتجالي' و'برهان الدين العبوشي' وعلاء الدين، فكان ذلك كله إرهاباً بالانتقال في الشعر العربي الفلسطيني إلى مرحلة جديدة. ويرى بعض الدارسين أن شعراء هذه المرحلة هم الشعراء الرّواد في الشعر العربي الفلسطيني المعاصر الذين أطربوا الأمة العربية في وقت سيطر فيه الاستعمار الغربي على معظم أجزاء الوطن العربي. وأن الشعر الفلسطيني الثوري لم يعن كثيراً بمشكلات هامة لها شأنها في المعركة، كالتخلّف الحضاري والفقر والجهل والمرض، وكالاستغلال البشري، ولم يهتم كثيراً بالشؤون الاجتماعية، كقضايا المرأة والعمال والفلاحين، ولا بالثقافة والتعليم، وغفل عن كثير من الأخطاء المميتة، والانحرافات الوطنية التي كانت ترتكبها القيادات الفلسطينية لتبديد القوى في أشكال ثورية مزيفة، وإضفاء طابع الطائفية والعنصرية على الصراع الوطني، والسكوت عن عزل الشعب الفلسطيني طيلة فترة الانتداب عزلاً تاماً عن قيادته السياسية. وأن الشعر الفلسطيني الثوري قصّر تقصيراً بئناً في تصوير وحشية التدابير الاستعمارية، وجرائم الإنجليزية القمعية الإرهابية التي كانت ترتكب ضد التعذيب والتخريب والقتل والهدم والتنكيل ودوس الكرامات وامتهان الحرمات.

وكان الشعر العربي الفلسطيني أول شعر عربي تحدث عن الصراع الطبقي، وبيّن أثره في الحركة الوطنية، وفي معركة البلاد ضد الاستعمار والصهيونية، وفضح التحام الاستعمار بالصهيونية ضد الشعب الفلسطيني وكشف نواياهما المبيتة لنهب أوطانه وطرده منها، وعرض قضية فلسطين عرضاً صادقاً مخلصاً وصور جوانب هامة من نضال أهلها في سبيلها، وتضحياتهم السخية من أجلها خلال فترة امتدت ثلاثين عاماً.^١

وتتعاقب مواكب الشعراء في فلسطين، في أعقاب هذه الطلائع الرائدة، وما أن تهلّ شمس الأربعينيات، حتى تكتمل ملامح جبهة من الشعراء الطالعين الذين تمثلت فيهم، وفي إبداعهم الشعري - فيما بعد -، المرحلة الثالثة، من الحياة الشعرية في فلسطين. ومما يجذب النظر أنّ أغلب فرسان هذه المرحلة ظهروا في مدينة يافا، وهم: 'محمود سليم الحوت'، و'سعيد العيسى' و'محمود نديم الأفغاني'، و'عبد المنعم الرفاعي'، وإلى جوارهم 'فدوى طوقان' في مدينة نابلس، و'عبد الرحمن رباح الكيالي' في مدينة الرملة، و'كمال ناصر' في مدينة رام الله، و'مؤيد ابراهيم الإيراني' و'حسن البحيري' في مدينة حيفا، وغيرهم.

١ د. عبد الرحمن الكيالي: الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥ م، ص ١٨٢.

وكان هؤلاء، في طليعتهم الأولى، أقرب إلى أن يكونوا امتداداً أو استطراداً، بصورة أو بأخرى، لشعراء المرحلة السابقة، لم يبرحوا أساليبهم وأغراضهم، مع انفتاح بعضهم على رياح التجديد الشعري التي شرعت تهب من مصر وسورية وشعراء المهاجر الأمريكية. لكن الأحداث سرعان ما ألقت بهم في دوامة عنيفة، بعد سقوط الجزء الأكبر من الوطن الفلسطيني في 'برائن' الغزاة الصهيونيين، وقيام 'دولة إسرائيل' في الخامس عشر من شهر مايو ١٩٤٨م بعد هزيمة جيوش الدول العربية السبع وانسحابها من فلسطين، ووضعت هؤلاء وسواهم من الشعراء الفلسطينيين في مواجهة الظروف والأوضاع المأساوية التي كان عليهم أن يعيشوها مع شعبيهم وأهلهم الذين تشرذروا في كل مهب. فقد تحول نحو مليون فلسطيني، بعد طردهم من أوطانهم وتجريدتهم من أملاكهم وأموالهم، إلى لاجئين مشردين بلا مأوى ولا عمل ولا سكنى، بعضهم حشر في مخيمات في قطاع غزة وفي الجزء الشرقي الأوسط من فلسطين، وبعضهم الآخر وُضع في مخيمات مخصوصة في سورية ولبنان، وقلة قليلة توزعت بين مصر والعراق والسعودية والكويت وسائر بلدان الخليج العربي.

وفي أواخر شهر سبتمبر ١٩٤٨م أعلن تشكيل حكومة فلسطين العربية، واعترفت بها الحكومات العربية عدا الأردن، حيث ردّ الملك عبد الله بعقد مؤتمر 'أريحا' في ديسمبر ١٩٤٨م الذي أعلن وحدة الأراضي الفلسطينية والأردنية، ومبايعة الملك عبد الله على فلسطين كلها. ووقعت مصر اتفاقية هدنة دائمة مع إسرائيل في 'جزيرة رودس'، وتبعتها لبنان، فالأردن، فسورية، وأصبحت إسرائيل تسيطر على نحو ٧٧,٤٪ من أراضي فلسطين تسلمتها خالية من مواطنيها العرب باستثناء تجمعات قليلة متناثرة في بعض المدن والقرى هنا وهناك، وبذلك تم عزل القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، سياسياً عن ممارسة أي درو في قضية وطنه وتمزيقه وبعثرته في أنحاء متفرقة متباعدة، وبات عليه أن يواجه واقعاً جديداً في مخيماته ومنافيه ومناهات غربته، في انتظار المجهول.

وقد توزع شعراء فلسطين الذين اضطروا إلى مغادرة أوطانهم في البلدان العربية المجاورة، قبل أن يواصل بعض منهم رحلة الاغتراب في بلدان عربية أخرى في الخليج العربي وغيره. وكان أن استقرّ 'محمد العدناني' ومحمود الحوت' و'أسى طوبى' و'كلثوم مالك عرابي' في لبنان، و'أبوسلمى' و'حسن البحيري' و'عبد الهادي كامل' في دمشق، و'محيي الدين الحاج عيسى' في حلب، و'محمود الأفغاني' و'محمد حسن علاء الدين' و'عبد الرحمن الكيالي' و'مصباح العابودي' في الأردن، و'برهان الدين العبوشي' و'علي السرطاوي' في العراق، و'سعيد العيسى' في لندن، وانضمّ 'حنّا جاسر' إلى شعراء المهجر في أمريكا الجنوبية. وهكذا احترق هؤلاء الشعراء بالنار التي احترق بها أهلهم وشعبيهم الفلسطيني، نار التشرّد والضياع والاغتراب، ومواجهة ظروف الحياة القاسية لتوفير سبل العيش الكريم، فبكوا الوطن السليب، ورثوا الحالة البائسة التي يعيشها إخوانهم من اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات الجوع والذل والفقر والقهر، بقصائد كانت جديدة في نبضها وموضوعها ومضمونها على الشعر العربي المعاصر. لكنها كانت قصائد صادرة عن مشاركة وجدانية لإخوانهم في المخيمات من الخارج، وليست نابعة من معاناة ذاتية، فقد كانوا جميعاً من عائلات ثرية أو ميسورة الحال، ولم يكن بينهم من اضطّر للعيش بعد الهجرة

في مخيم اللاجئين.

وقد فجّرت هذه النكبة الفلسطينية ينابيع الإلهام الشعري لدى كثيرين من أبناء النكبة الطالعين من رحم المأساة الكبرى، فنضجت مواهب كانت تتلامح وتحاول البروز على الساحة الشعرية قبل النكبة وشرعت تكتمل وتأخذ مكانها على خريطة الشعر العربي الفلسطيني، فبرز في هذه المرحلة طائفة من الشعراء الذين كان لهم دور مؤثر في السياق العام لمسيرة الشعر العربي الفلسطيني، وعبروا عن مرحلة ما بعد النكبة الأولى وصورها، على أصدق وأعمق ما يكون التعبير والتصوير. وكان منهم 'كمال ناصر' و'علي هاشم رشيد' و'هارون هاشم رشيد' و'معين بسيسو' و'يوسف الخطيب' و'خالد نصرة' و'خليل زقطان' و'سميرة أبو غزالة' و'دعد الكيالي' و'سلي الخضر الجيوسي'. وقد حمل هؤلاء راية الشعر الفلسطيني، في هذه المرحلة، جنباً إلى جنب، مع من سبقهم من الشعراء المخضرمين.

وأن صدمة النكبة وويلاتها، وقسوة حياة الشعب الفلسطيني وعذاباتها في المخيمات وفي ديار الاغتراب، وآمال العودة إلى الوطن السليب، تمثل كلها الموضوعات الرئيسية التي ينطلق منها ويدور حولها شعر هذه المرحلة. بل إن الظلال المأساوية القاتمة لهذه النكبة تجد انعكاساتها حتى في قصائد الحب والغزل المتناثرة، في ديوان الشعر العربي الفلسطيني. وقد ظلت لغة الشعر في هذه المرحلة، لغة تقليدية لم تبرح القاموس المتداول لدى شعراء التقليد الذي كان سائداً في مختلف الأقطار العربية.

الخاتمة

عندما ننظر إلى ثقافة هؤلاء الذين عملوا على تجديد الشعر، نجد انهم يمثلون في الغالب وعياً سياسياً واجتماعياً خاصاً تجاه العالم والعصر والواقع والحياة، وأنهم بالإضافة إلى ثقافتهم التراثية بالحركات الأدبية والشعرية والنقدية الأجنبية، أو من خلال حركة الترجمة، أو من خلال المجالات اللبنانية والسورية والمصرية التي كانت تنشر البحوث والدراسات في الآداب الأجنبية، إلى جانب المحاولات والتجارب الحديثة للأدباء والشعراء في مجالات القصة والشعر.

المصادر والمراجع :

١. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والطبع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١ م.
٢. أحمد الزعبي: الرمز في الشعر العربي الحديث - محمود درويش نموذجاً: (جريدة الرأي www.mahmouddarwish.com)
٣. الدكتور محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، عمان، ١٩٧٨ م.
٤. جمال أحمد الرفاعي: أثر الثقافة العربية في الشعر الفلسطينية المعاصر: دراسة في شعر محمود درويش، كلية الألسن، جامعة عين شمس.
٥. عاطف إبراهيم عدوان: دراسات في القضية الفلسطينية، الطبعة الرابعة.
٦. غسان كنعاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٧ م.
٧. كامل سوافيري: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطينية المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣ م.
٨. نبيل أبو علي: اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠٥ م.
٩. محمد بنيس: فن المقاومة المتجددة، (www.jehat.com)



الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم

الدكتور/ محمد كي^١

الملخص:

المعجزة هي عبارة عن دليل وإثبات سواء كان حسي أو معنوي، ولا يستطيع أي أحد من البشر على المجيء بمثله؛ لأنها من عند الله سبحانه وتعالى، والمعجزة مخصصة لأنبياء الله تعالى ورسله، ليكون دليل على صحة نبوتهم ورسالتهم، التي بعثوا من أجلها إلى الأقوام. ولقد اختلفت معجزات الرسل والأنبياء وتنوعت، فخرج إبراهيم عليه السلام من النار حيًّا بعد أن ألقاه كفار قومه فيها، وكانت عليه بردًا وسلامًا بأمر الله. وكانت لموسى عليه السلام. عصاه التي فلق البحر والتي تحولت إلى حية تسعى، وغير ذلك من المعجزات. وكان عيسى عليه السلام. يبصر الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحيي الموتى بإذن الله، ويصنع نماذج طينية من الطيور فتطير بإذن الله، وكان الحجر والشجر يسلم على رسول الله محمد. صلى الله عليه وسلم. ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وسبح الحصى في كفه، وحنّ الجذع إليه، وانشق القمر، وشهد الضب أمامه، ورد بيده عين قتادة، وأسري به إلى بيت المقدس وعرج به في السماوات السبع حتى بلغ سدة المنتهى، وغير ذلك كثير. إلا أن أعظم معجزة إلهية على الإطلاق أيد بها الله تعالى نبيًّا من أنبيائه أو رسولاً من رسله هي معجزة القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد. صلى الله عليه وسلم. خاتم الأنبياء والمرسلين أشرف الخلق أجمعين، وذلك لأن معجزة القرآن تختلف اختلافاً شديداً عن باقي معجزات رسول الله محمد. صلى الله عليه وسلم. كما تختلف أيضاً عن كافة معجزات الأنبياء السابقين جميعها

لقد تسابق العلماء والمفكرون في الكشف عن أوجه الإعجاز القرآني، فمنهم من توجه إلى لغته وأسلوبه وطريقة صياغته، ومنهم من توجه إلى منهج ترتيبه ومنهم من توجه إلى ما فيه من تشريعات وأحكام ثبت تناسبها وصلاحتها لكل زمان ومكان على مدى الأجيال، ومنهم من توجه إلى ما تألأ فيه من لمحات المعارف وإشارات العلوم المختلفة التي تم التوصل إليها أو التي تستشرف آفاقاً ما زالت مجهولة أمام العلماء والباحثين، ومنهم من توجه إلى سعته في الوفاء بحاجات البشرية من الهداية التامة وسياساته في الخير والإصلاح على كافة الأصعدة. ظهرت المئات من الكتب والبحوث والمؤلفات التي تتناول وجوهاً من الإعجاز القرآني البياني والتشريعي والأخلاقي والعلمي والاجتماعي وغير ذلك. يلتفت هذا البحث إلى وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز الصوتي. أورد

١ الأستاذ المساعد رئيس القسم العربي الكلية الحكومية مالا بزم

في هذا البحث أمثلة للإعجاز الصوتي للقرآن الكريم. وهذه إشارة فقط. فمن اراد أن يزيد علمه في هذا المجال فعليه أن يتبع طلبه و بحثه عن هذا الموضوع.

الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم

نزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - نزولاً صوتياً وتلقاه النبي - صلى الله عليه وسلم - سماعاً من جبريل - عليه السلام، وأما عن تبليغ النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم للعالمين فقد كان تبليغاً صوتياً أيضاً. يقول الله - تعالى - في كتابه الحكيم: {تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق} ^١. ويقول - سبحانه - {ذلك نتلوها عليك من الآيات والذكر الحكيم} ^٢ وكذلك نرى في الأحاديث عن الأهمية الصوتية للقرآن الكريم ومنها ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «:زينوا القرآن بأصواتكم» ^٣ وعن أبي هريرة أيضاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لني يتغنى بالقرآن» ^٤، و عن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله: «لورأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أوتيتَ زمماراً من زمامر آل داود، فقال لو علمت لحبرته لك تحبيراً» ^٥. فهذه كلها نصوص تدل على قيمة البناء الصوتي في النص القرآني.

ويقول الدكتور محمود يوسف عبده في كتابه (هيئة الإعجاز العلمي): «السمع هو سيد وسائل الإدراك الإنساني، والكلام لا يسقى كلاماً إلا إذا كان بصوت، وعند قراءة كلمات مكتوبة فإنها في الحقيقة تستثير في نفسك أصواتها المنظومة والتي تدل على معانيها، أي أنها تجري على لسانك وقلبك ولو كنت صامتاً. وقد أثبتت الدراسات العلمية بما لا يدع مجالاً للشك أن الصوت صورة من صور الطاقة، وينتقل على شكل موجات تنتقل بواسطة الأذن إلى الإدراك السمعي، من ثم إلى التخيل والرغبة والحب والبغض والعزيمة... الخ من المشاعر. ويحمل الصوت المسموع نغم وهدير مما يكون له أثر على النفس والجسد» ^٦ وفي هذا الصدد يقول مصطفى الصادق الراجعي: «ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيء بعضها لبعض، ويساند بعضها، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب ولا تُساع وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبا» ^٧ نقل المؤلف عن ابن عطية قوله في المحرر الوجيز: «لو نزعت حرقاً من القرآن ثم أدت اللغة من ألفها إلى يائها لتجد ما يسد مسده، فلن تجد» ^٨. ويقول سيد قطب في «ظلاله»: «إن في هذا القرآن سرّاً خاصاً، يشعر به كل من

١ البقرة: ٢٥٢

٢ آل عمران: ٥٨

٣ رواه أحمد

٤ رواه البخاري ومسلم

٥ رواه البخاري

٦ محمود يوسف عبده هيئة الإعجاز العلمي صفحة: ٢٧ دار الفكر، بيروت

٧ مصطفى الصادق الراجعي. إعجاز القرآن، صفحة: ٢٢٧، دار الكتب العلمية. بيروت

٨ ابن عطية، المحرر الوجيز. صفحة: ٣٤. دار عمار، عمان

يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود»^١

نستطيع ان نرى أمثلة كثيرة في القرآن الكريم تدل على إعجازه الصوتي. اورد هنا بعض منها: «مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ» يقول الله تعالى في سورة النساء عن قلوب المنافقين الذين يترددون بين الإيمان والكفر: مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ وَلَا إِلَى هُوَ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا^٢ يقول عز وجل: أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تَيعِرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا تَتَّبِعُ! هنا نرى وسوسة قلوب المنافقين و تردد صدورهم في ألفاظ الآيات. دَكَا دَكَا وَيَعِصُ الظَّالِمُ، وكذلك قال الله تعالى: «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» إِنَّ النفس لتهتز وتخرس أمام هذا الجرس المدوي المشبع بروح الهول، والقوة، والذي تنطق به لفظة «دكا»، وفي تكرار اللفظة مرتين إيقاع جميل حتى أن النفس ترددها تلقائياً. ويقول تعالى: «وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» فجرس اللفظة «يعص» يوحي بشدة الفعل وبقوة المسك كما يوحي بشدة الحسرة والندم التي يكون عليها الظالم إذ يصرخ في ندم وحسرة.

فقد صدرت سورة القارعة بلفظة «القارعة» وهي اسم من أسماء يوم القيامة واللفظة تحمل جرساً قوياً مدوياً ذا ضربات حادة تفرع القلوب والأذان. يقول سيد قطب: «لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة، القارعة، بلا خبر ولا صفة، لتلقي بظلمها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب! ثم أعقبها سؤال التهويل، ما القارعة؟ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل، ثم أجاب بسؤال التجهيل: وما أدراك ما القارعة؟ فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك وأن يلم بها التصور ثم الإجابة بما يكون فيها لا بما هيها، فما هيها فوق الإدراك والتصور»^٣.

كما أن لصيغة اللفظة دور في إنشاء جرسها المتناسق مع التركيب من ذلك قوله تعالى: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فقد استعمل في هذه الآية لفظة «يخصمون» بينما نجده قد استعمل اللفظة نفسها بصيغة «يختصمون» في قوله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيئِمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ^٤ فقد فصل في الثانية بين الخاء والصاد بالتاء أما في الأولى فقد ازداد الجرس عنفاً وشدةً بنزع التاء فاجتمع بذلك الخاء وهو حرف حلقي ومن صفاته الاستعلاء

١ سيد قطب، في ظلال القرآن، صفحة ٣٥، ق: ٣، دار الشروق. لبنان

٢ سورة النساء الآية ١٤٣

٣ لبنان سيد قطب، في ظلال القرآن، صفحة ٦٧، ق: ٢، دار الشروق،

٤ القرآن الكريم ٣٦: ٤٩

٥ المرجع السابق ٣: ٤٤

بالصاد وهو حرف أسلي ومن صفاته الصفيّر والاستعلاء أيضا ليضاف إليهما الشدة على الصاد.

و من ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ»^١. فلاحظ العبارة: (لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا) كيف انتظمت ألفاظها وتنغم جرس كل لفظة مع اللفظة التي تجاوزها، ليصدر عن العبارة جرس موسيقي رائع ناشئ عن تكرار الألفاظ «يجزي-لا يجزي» و «ولده-مولوده» و «والد-والده»؟ فلو جربنا وحذفنا لفظة أو عوضناها بمرادف لها لانهد نظام العبارة، وذهب ماؤها ورونقها، ولثقل جرسها. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً. فالإيتان تنقلان صورتين مختلفتين الأولى تنقل صورة شخص فرح مسرور وتصور ما هو عليه من سعادة ورضى، والأخرى تنقل صورة شخص نادم مكروب، وتصور ما هو عليه من تعاسة وخيبة، والقارئ وهو يقرأ هاتين الآيتين يشعر من خلال جرس ألفاظهما بذلك كله، بل إنه ليحاول بنفسه أن يرسم هو بصوته عند قراءته لهما هذا الجو المحيط بهما.

قد يكون بين كلمتين لا يجمعهما أصل لغوي واحد، وإنما الذي يجمع بينهما تجانس الصوت، الذي يحسن في أذن المستمع، من أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُلَاقِيَنَّكَ قَبْلَ تَرْضَاهَا﴾ فثمة تناسب صوتي بين كلمة (تقلب) وكلمة (قبلة)، ولهما وقع في أذن السامع؛ بومنه أيضاً قوله سبحانه: ﴿يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ﴾، فبين قوله سبحانه: (يؤذون) وقوله: (أذن) تناسب لفظي لمن تفتن له، ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر: ٧٥)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْصِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤). يقول سيد قطب في تفسير سورة اللهب: «تبت يدا أبي لهب وتب تجد فيها عنف الحزم والشدة الشبيه بحزم الحطب وشده والشبيه كذلك بغل العنق وجذبه والشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع في السورة وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي مع حركة العمل الصوتية بتناسق الصور في جزئياتها المتناسقة بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير ويتسق مع جو السورة وسبب النزول ويتم هذا كله في خمس فقرات»^٣

الإمالة في كلمة (مجراها)، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ «حيث نلاحظ أن هذه اللفظة (مجراها) هي اللفظة الوحيدة في السياق القرآني كله في قراءة حفص التي تتسم بهذه السمة الصوتية (سمة الإمالة) وحينما نتأمل سياق الآية نشعر مدى مناسبة هذه اللفظة لجوها السياقي... فطمأنهم الله تعالى أن هذه السفينة سوف تجري بمشيئته، وأن جريها سوف يكون سهلاً رخاءً بلا معاناة ولا مشقة، ومن ثم جاءت الإمالة في (مجراها) لتعبر عن حركة تلك السفينة

١ المرجع السابق ٣١/٣٣

٢ المرجع السابق ٦٩/١٩

٣ سيد قطب، في ظلال القرآن، صفحة ٤٣٢، ٤: ق، دار الشروق، لبنان

حيث تشق عباب الطوفان في يسر وسهولة ورخاء. ومن الأمثلة عن الاختيار الصوتي في القرآن كلمة ﴿كُبْكِبُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿كُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ وذلك أن الفعل (ككب) مضعف للمقطع (كب)، فيدل ذلك على تكرار الكب وتتابعه، كما يدل على الاجتماع والتراكم والتراكب لأهل النار بعضهم فوق بعض وتتابع كيهم والقائم في النار على وجوههم في دركات الجحيم المتتالية. ومن هذا النوع أيضاً نجد الفعل ﴿زُحْزِحَ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فكلمة (زُحْزِحَ) في الآية الأولى، تحاكي عملية الزحزحة وتصورها؛ وذلك أن الزحزحة لا تتم دفعة واحدة؛ وإنما تتم على مرات متكررة ومحاولات متعددة لتحريك شيء ثقيل من مكان ثابت فيه، ولذا فإنه لا يتأتى نقله منه مرة واحدة؛ ولذا يحتال على ذلك بتحريكه شيئاً فشيئاً، وكذلك نجد أنه فعل (زحزح) مضعف المقطع (زح) يعبر بتضعيفه وتكراره عن هذا الحدث ويصوره أتم التصوير.

ومن ذلك كلمة ﴿يُدْعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ فهذه الكلمة بما تشتمل عليه من حروف مادة (دع) مضعفة العين تجانس صوت الدّع والدفع، وكأنها حكاية لصوت المدفوع دفعاً شديداً حيث يقول (أع - أع). ولما كان (الدّع) أقوى من (الدفع) جرساً ومعنى لذا أثرت الآية التعبير بالدّع دون الدفع، وهنا يظهر أثر الاختيار حيث تتضح مزية الكلمة المختارة على بدائلها المتاحة التي تشترك معها في حقل دلالي. ومن ذلك أيضاً لفظ ﴿أُفٍّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فإن هذه الكلمة (أُفٍّ) هي محاكاة صوتية تامة لفعل المتأفف وصوته حيث يقول لما يكرهه ويثقل عليه: أُف.

وكذلك كلمة ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ حيث نستشعر صولة واضحة في نطقها، وهي ليست خفيفة الوقع كذلك على الأذن، وذلك على خلاف ما نراه في كلمة بديلة وهي «ثناقلتم» بيد أن الأولى بتشكيلها الصوتي أقوى على تصوير المراد والإيحاء به؛ إذ ترسم صورة مجسمة للتباطؤ الشديد، وتثير في خيال قارئها وسامعها صورة ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل وحينما نوازن بين السمات الصوتية لهذه الكلمة وبين سياقها نجد أنها قد جاءت معبرة تمام التعبير عن الفكرة التي سيقّت لأجلها من نظائرها من نحو: (تباطأتم - تلكأتم - تأخرتم - تقاعدتم... إلخ) وإذا كان أصل المعنى يمكن التعبير عنه بأي واحدة من هذه البدائل وتلك الخيارات المطروحة؛ فإنه يبقى بعد ذلك للصيغة المختارة تميزها من حيث المواءمة ودقة المناسبة الفنية بينها وبين السياق والمقام.

ومن الألفاظ التي ترسم صورة الموضوع بظلمها الذي تُلقيه في الخيال لفظة (انسَلَخ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ فالظَلّ الذي تُلقيه كلمة ﴿انْسَلَخَ﴾ يرسم صورة عنيفة للتملّص من هذه الآيات، لأنّ الانسلاخ حركة حسّية قوية هكذا نرى كثيراً من الأمثلة تدل على إعجاز الصوتي في القرآن. قد استطاع لهذا الكتاب المعجز أن يربط بين اللفظ والمعنى وأن يتألف بين الحروف والدلائل قد كتب كثير من

العلماء و الأدباء عن هذه المعجزة و منها «الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم» لعبد الحميد الهنداوي و «نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دراسة دلالية».

الخاتمة

ومن المفسرين الذين اشتغلوا بالإعجاز القرآني، وأشاروا إلى الجانب الصوتي منه بصورة أو بأخرى، وهم: الرماني والخطابي والباقلاني وابن الأثير و من المعاصرين مصطفى الصادق الرافي، وسيد قطب. لقد ضمن النزول الصوتي للقرآن الكريم صونه وحمايته من التبديل والتحريف، كما ضمن تبليغه الصوتي المتواتر منذ اللحظة الأولى للنزول تخليده إلى الأبد على نفس هيئة تنزيله يوم أنزل من لدن الله سبحانه وتعالى. وبذلك كان للقرآن الكريم أثره العميق في نفس كل من يستمع له، لأنه فعلاً كلام الله تعالى حقاً وصدقاً الذي لم يتطرق إليه أي عبث، ولم تشبهُ أية شائبة، ولذا فإن له قوة جبارة مستمدة من قوة كلام الله العلي القهار، ولقد ضرب الله تعالى المثل لهذه القوة الجبارة لتأثير القرآن الكريم، وذلك في قوله سبحانه: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا...

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.. المكتبة العصرية، بيروت. (١٩٩٥م).
٣. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت. (١٤٠١هـ).
٤. الباقلائي، القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب. إعجاز القرآن، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (٢٠٠١م).
٥. أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. (١٩٧٥م).
٦. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - دراسة قرآنية لغوية بيانية، ط ٣، دار المعارف، القاهرة. (٢٠٠٤م).
٧. حسان، تمام، خواطر من تأمل لغة القرآن، ط ١، عالم الكتب، القاهرة (١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).
٨. الحسنائي، محمد. الفاصلة في القرآن، ط ٢، دار عمّار، عمّان، الأردن. (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).
٩. الخالدي، صلاح عبد الفتاح. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ط ٢، دار عمّار، عمّان (١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).
١٠. الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط ٢، دار المعارف بمصر، القاهرة. (١٣٨٧هـ ١٩٦٦م).
١١. الرافي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. (١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).
١٢. الرّماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز. (١٣٨٧هـ ١٩٦٦م).
١٣. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. (١٣٩١هـ ١٩٧٢م).
١٤. الزمخشري بالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ١، نشر البلاغة، قم - إيران. (١٤١٣هـ).
١٥. السامرائي، مهدي صالح. تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق. (١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).



الأفكار البيئية في رواية «وحدها شجرة الرمان» لسنان أنطون

السيد/ سمير. كي. شي^١

الملخص:

البيئة هي الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الكائن الحي أو غيره من المخلوقات. ويعد الإنسان صاحب الدور الأهم والأعلى مكانة في هذه البيئة. لأنه هو العاقل الوحيد الذي يمتلك خلافا لبقية الحيوانات على الأرض، دماغا قادرا على التطوير والابتكار. ومنذ أن ظهر الإنسان على سطح الأرض، وهو يسعى جاهدا أن يستغل بيئة الطبيعة لإشباع حاجاته الأساسية والكمالية. فعمل على تغيير المزارع والموارد المياه والجبال والغابات وحولها وطورها بحيث تخدمه إلى مصانع ومباني وشوارع وغيرها. من ناحية المخططات التنظيمية فإن معظم المدن الكبرى في العالم أقيمت في مناطق ذات أهمية زراعية خصبة. إلا أن تجاوز الهجوم والإستغلال للطاقة الإستيعابية للبيئة وعدم قدرتها على اصلاح واستبدال نفسها، سبّب المشاكل الخطيرة التي أدت إلى تتمثل التدهور البيئي.

يعرف التلوث بظهور أي ملوثات في البيئة الطبيعية، ينتج عنها تغييرات معاكسة لنمط الحياة الطبيعي. يعتبر التلوث البيئي بكافة أنواعه من أخطر المشاكل التي يواجهها العالم في العصر الحديث. وله أسباب عديدة، منها: عدم إيجاد طريقة مناسبة للتخلص من النفايات وعدم تطبيق نظام التدوير واستخدام الأسمدة ومبيدات الحشرات في الزراعة، ودخان المصانع والمراكب وغيرها، وهذا ما يسبب تلوث الماء والهواء والتربة وغيرها. فالتهديد الذي يشكّله لا يقتصر على الإنسان، وإنما تهديد للكوكب ككل، وللتقليل من خطره هناك يوجد عديد من الوسائل المختلفة. من بينها رفع الوعي البيئي في أوساط الناس، والوعي البيئي يمكن أن يتحقق عبر عدة طرق، كالإعلام، والتعليم، والأدب. للأدب دور فعّال في رفع الوعي البيئي في أوساط الناس. في هذه الوجة يمكن أن يستخدم كل أنواع من الأدب كالشعر والنثر لمحافظة البيئة.

الأدب ودوره في حل مشاكل البيئة

إن الأدب والبيئة يتفاعلا مع بعضهما البعض في تصوير وتشكيل الحياة البشرية، فالعلاقة بينهما متينة ويأثر أحدهما على الآخر بنسب متفاوتة. فيمكننا هنا أن نستغل هذه العلاقة في مكافحة التلوث البيئي من خلال خلق نصوص أدبية ذات توجّه بيئي، وبما أن الأدب يعكس الحياة، إنه كالمرآة التي تعكس كلّ ما يقع

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية م. س. م ، كايمكولم، كيرلا، الهند

أمامها، يمكنه أن يعكس ويصوّر خطر التلوث البيئي، ليسلّط الضوء على المشاكل البيئية وضرورة إدراك الناس مخاطرها. يقول جلن أي لوف: «إنّ تدريس أو دراسة الأدب دون الرجوع إلى ظروف العالم الطبيعية، والأسس البيئية الجوهرية التي تشكل الأساس للحياة- يبدو على نحو متزايد قصير النظر، وغير متطابق»^١.

تعد الرواية شكلاً أدبياً مميزاً، فهي تصل إلى الجمهور بشكل أسرع من أيّ شكل أدبيّ آخر، لذلك تلعب دوراً هاماً في إمتاع الناس والتأثير على مشاعرهم. فلو تمّ توجيهها لخدمة البيئة، لأحدثت تغييرات إيجابية فيها. الرواية هي التي تشهد على أثر خالقه وصوره الزمنية والمكانية. فالكاتب لا يستطيع الابتعاد عن مجتمعه وبيئته الاجتماعية والطبيعية وهو جزء منها ويشكّل لسان المجتمع في الأمور جميعها.

سنان أنطون وروايته «وحدها شجرة الرمان»

سنان أنطون هو روائي وشاعر عراقي، وهو أستاذ مساعد الأدب العربي في جامعة نيويورك، قام بإخراج أفلام عن بغداد وأصوات في زمن الحرب. «وحدها شجرة الرمان» أفضل رواية مؤثرة كتبها سنان أنطون بأسلوبه الرشيق. هي واحدة من أفضل عشرة كتب اختارتها جريدة «الجارديان» في لندن حول الحرب بين العراق والإيران، كما منحت جائزة لأفضل ترجمة باللغة الإنجليزية. يعالج فيها الكاتب مشاكل البيئة بشكل مباشر أحياناً وغير مباشر أحياناً أخرى. وهي رواية يصور فيها الكاتب عن أهوال الحرب وكيفية التأثير على الإنسان والبيئة من حيث شدة خطرها.

الأفكار البيئية في روايته

يحاول سنان أنطون تحويل شجرة الرمان إلى شكل بشري الذي يعرف ويفهم آمال زميله المحبوب والآمل وأحزانه. ولهذا اختار «شجرة الرمان» اسماً لروايته. إن وجود هذه الشجرة طيلة أحداث القصة كشخصية هامة في جميع أنحاء، وتصوّر فيها تأثيرها بالإنسان لحل مشاكله بشكل غير مباشر بأسلوب جذاب. عندما يشعر جواد قاسم، الشخصية الرئيسية في هذه الرواية بالألم والكآبة، يلجأ إلى هذه الشجرة. يقول الكاتب إن الرمانة تحاول أن تفهم قلق قلبه وحزن فؤاده، كما تعطيه ثمارها ليتناول منها وتمنح ظلّها ليسكن إليها بعدما تسقى بالمياه الموت الملوثة من الصرف الصحي. وإليه تشار هذه العبارات: «خرجت إلى الحديقة الصغيرة الخلفية وتقرفصت أمام شجرة الرمان التي كان أبي يحبها كثيراً والتي شربت مياه الموت لعقود»^٢. ويذكر جواد قاسم ذكرياته الحلوة مع أبيه وتجرباته في صغر سنه: «كانت أزهار الرمان ذات الحمرة القانية قد بدأت تتفتح. في صغري كنت أكل ثمار هذه الشجرة حين يقطعها أبي ويعود بها إلى بيتنا بنهم»^٣.

أخيراً تسير أفكاره المنسقة حول الرمان حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من حياته ويتحول مثل عصفور ذي أجنحة متكسرة ويصوّرهما الكاتب في ألفاظه المليحة: «تعودت في الأشهر الأخيرة أن أجلس على الكرسي الذي

^١ Love, Glen A. Practical Eco criticism: Literature, Biology and the Environment. Charlottesville: University of Virginia Press, 2003. Print.

^٢ سنان أنطون، وحدها شجرة الرمان، منشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٣، ص: ٩٦

^٣ نفس المصدر، ص: ٩٦

وضعته أمامها لأحاورها، فهي أضحت أنيسي الوحيد في هذا العالم. كانت أزهارها الحمراء قد تفتحت على الأغصان كجراح تنففس وتنادي^١. ويتابع الكاتب أوصاف الشجرة التي أثرت بحياته تأثيرا كبيرا ومنحت الخيرات الغزيرة والمنافع الوفيرة برغم سقايتها من ماء ملوث: «عجيبة هذه الشجرة. تشرب ماء الموت منذ عقود لكنها تظل تورق كل ربيع وتزهو وتثمر. ألهذا كان أبي يحبها كثيرا؟ كان يقول إن في كل رمانة حبة من حبات الجنة»^٢. تدور القصة حول محور الرمانة حتى تنتهي أيضا بذكر الشجرة الحلوة: «لكن لا أحد يعرف. لا أحد. وحدها شجرة الرمان... تعرف»^٣.

إذا كثرت النباتات والأشجار والغابات تحسّن البيئة بأكملها. كان الكاتب يذكر منافع الشجرة ولا سيما النخل ومزرعها التي لها دور هام لحماية البيئة. «العراقيون والنخل: من يشبه من؟ ملايين العراقيين ومثلهم أو أقل من النخل. منهم من تفحمت سعفاته. منهم من قطع رأسه. منهم من كسر ظهره الدهر، لكنه مازال يحاول الوقوف. منهم من يبست أعذاقه. منهم من اقتلع ومثل به ونفى من بستانه. منهم من سمح للغازي أن يتكئ على جذعه. منهم من يقف بصمت. منهم من سقط. ومنهم من يشمخ ويرفع رأسه بالرغم من كل شيء في هذا البستان الكبير»^٤. «كان هناك حوض أبيض كبير تعلوه حنيفة ماء نحاسية اللون اصطفت تحتها طاسات نحاسية وسراحيه ودلاء وأجانات معدنية. كان أبي يرفض رفضا قاطعا استخدام البلاستيك الذي أصبح شائعا. إن القول المذكور أنفا أن أباه لا يستخدم البلاستيك من أهم الأشياء في مجال حماية البيئة، لأن النفايات البلاستيكية تبقى فترة طويلة جدا على الأرض دون أن تتحلل، وعليه فإنها ستكون سببا للمشاكل الصحية الخطيرة، والحيوانات التي تتناولها ستعرض للفتنة. تنص الرواية بقوة على ضرورة تجنب استخدام البلاستيك واستخراجها من حياة الإنسان بشكل كامل.

كما أنه يصور المشاكل البيئية الخطيرة التي تنجم عن الحرب، لأن الحرب هي مصدر خطير لمعظم القضايا البيئية ومركز مهم لكل التلوث البيئي. وهي تدمر المباني والجبال والشوارع وبسببها تكثر الغازات المسمومة في الجو والكيمائيات في البر والبحر، كما يرسم سنان أنطون في روايته: «ذات فجر صحننا على دوي انفجار قوي هزّ المعمل. تبعه انفجاران آخران هزّا الأرض ثم صوت تساقط حجارة وحصى على السقوف والنوافذ وأزيز طائرة تبتعد»^٥. والحرب تحرق الأشجار الخضرة والغابات الكثيفة والزراعات الوسيمة، بل الكائنات جميعها. ويواصل الكاتب شرحه المألوم: «كانت أغصان الأشجار المحيطة بقاعدة الصواريخ تحترق. تبينت الشاحنة التي تحمل الصواريخ المضادة للطائرات وكانت قد أصبحت كتلة من أسنة اللهب المتصاعدة وكان بعض الجنود قد أخذوا يحاولون إخمادها بالطفاية وبالتراب. كانت القطع المعدنية والشظايا متناثرة في كل مكان»^٦.

١ نفس المصدر، ص: ٢٥٣

٢ نفس المصدر، ص: ٢٥٤

٣ نفس المصدر، ص: ٢٥٥

٤ سنان أنطون، وحدها شجرة الرمان، منشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٣، ص: ١٣٧

٥ نفس المصدر، ص: ٨٧

٦ نفس المصدر، ص: ٨٨

من جهة أخرى إن عدم إدارة النفايات يسبب تلوث الهواء والمياه بل البيئة جميعها. وإن بيان الكاتب عن كثرة النفايات في بغداد خلال الحرب، تحريض إلى الإنتباه وضرورة العمل على إزالتها: «كانت تلال الأتبال قد تكومت في الشوارع تاركة رائحة نتنة»^١. فيما أصيبت الحيوانات والأسماك في الأنهار بخطر وسموم المواد الكيميائية مثل اليورانيوم التي استعملت في الحرب: «عندما استعملت عن السبب قال لي إن سمك النهر ملوث وخطر بسبب اليورانيوم المنضّب وإنه كان قد سمع وقرأ بأن المجاري والقاذورات تقذف في دجلة مباشرة بدون تصفية»^٢. فالكاتب يلوم ويعاتب الإنسان الذي يعيش ويتمتع في هذه البيئة كالبهيمة، لا يعقل ولا يفكر عن مستقبله، ويستغل ويهاجم بيئته ومسكنه بلا خوف ولا حد: «إن البشر انحدروا إلى الدرك الأسفل يكتشف أن هناك درك أوطأ. قال إن عدد الجثث التي تلقى في المزابل وفي أطراف بغداد، والتي يصطادها الناس من النهر كالمسمك الميت تضاعف في الشهور الأخيرة. إن استخدام الأسلحة الكيميائية وكثرة النفايات تسبب للمشاكل الصحية والأمراض الخطيرة كما تصور هنا: «قالت الطبيبة في بغداد إن نسب السرطان تضاعفت في السنين الأخيرة وربما يكون السبب اليورانيوم المنضّب»^٣.

إن الكاتب قد صوّر أهوال الحرب وكيف تسبب في تلوث البيئة الخطير وكيف غيرت الحرب نواحي العراق الجميلة إلى مناطق ملوثة جداً: «صدمة. البلد تعبان والناس تعبان هلكانة. يعني حتى هاي الكرامة مو جانت أحلى منطقة؟ شوفه شلون صايرة. بعدين الزبل والطوز والأسلاك الشائكة والدبابات. نسوان ماكو تمشي بالشارع. هاي مو بغداد اللي جنت أتصورهه. حتى النخل المسكين تعبان ومحد مداريه»^٤. تمتص الحرب الدماء من عروق العراق حتى استهلكته كما يبين هنا: «بعد أسابيع من القصف استيقظنا ذات صباح لنجد السماء سوداء. كان دخان آبار الكويت المحترقة يغطي السماء. سقط مطر أسود بعدها بلل كل شيء بالسحام كأنه كان ينبئنا بما سيأتي». ويستمر الكاتب ببيانهِ الوجيع عن مروّعات الحرب: «فكرة موسى بالخروج عن الطريق الرئيسي هي التي أنقذت حياتنا وإلاّ لكننا تفحّمنا مثل كل ألك الذين رأيتم يحترقون في مقاعد السيارات والذين تناثرت أشلاؤهم حولها. رائحة اللحم والشعر المحترقين أصابتني بالغثيان وظلت تعذبني في كوابيسي لأشهر بعدها. لن أنسى أبداً تلك الرائحة ولا منظر الكلاب السائبة التي كانت تهش جثث الجنود قرب البصرة».

حاول الكاتب أن يجذب قلوب القراء إلى مصادر المياه التي هي عماد البيئة. ومنح فيها صورة نهيرة «ساوى» وأوضح تاريخها الجغرافي هو الذي دلني على بحيرة ساوة حين أخذني إليها بسيارته في أول شهر من الخدمة. كنت قد قرأت اسمها في دروس الجغرافيا، لكن دون أن أعرف التفاصيل المثيرة والغريبة التي أخبرني عنها. ظننت أنها تهنا لأول وهلة فلما أبصر الأزرق ولم أصدّق أن بحيرة بهذه الحجم يمكن أن تزهر في خضم هذه الصحراء. لم أر شيئاً في الأفق، لكنه قال لي إنه من الصعب رؤيتها عن بعد لأنها ترفع خمسة أمتار عن كل ما حولها وإنها محاطة بجدار كلسي

١ نفس المصدر، ص: ١٠٤

٢ نفس المصدر، ص: ١٣٤

٣ نفس المصدر، ص: ١٦٠

٤ نفس المصدر، ص: ١٣٥

طبيعي. ولم يكن هناك نهر يغذّيها بل كان مصدر مياهها باطن الأرض وكانت تغذّي الفرات عبر نهر العطشان الذي يصرف مياهها. ويخبر الكاتب أنها البحيرة الوحيدة في العالم التي تتغذى كلياً على المياه الجوفية. وأضاف إنها مذكورة في معجم البلدان للحموي وأنها مذكورة في وثائق العثمانيين وكانت أيامها قرية تقع على نهر العطشان قبل أن يغير مجرى بعد فيضان كبير عام ١٧٠٠. ويصف جمالها الخلاب دون أن يتسرب قط «كان جمال البحيرة خلابة ووقع زرقتها بلسم للروح التي تعطش قسوة الصحراء التي كانت تحيط بنا ليل نهار. كان جرفها غريباً تغطيه تكلّسات تشبه نبات القرنابيط وتجاويف تحفرها الأملاح التي تملأ ماء البحيرة تكوّن ما يشبه سياجا يحيط بها من كل مكان بفعل الأمواج».

الخاتمة

قام الكاتب بشكل جيداً بدوره نحوي البيئة وضرورة المحافظة عليها عن طريق تأليفه الرواية الرائعة حيث وصلت رسالته العميقة إلى البشرية العالمية وأثرت تأثيراً عميقاً في قلوب القراء ومشاعرهم. شكلت الرواية مرآة صادقة عكست جميع الأحداث والمشاكل خصوصاً القضايا البيئية التي تجرى في العراق إضافة إلى مشكلات غرب آسيا. إن وجود الشجرة الرمان طيلة أحداث القصة كشخصية يبرز إهتمام النباتات والأشجار والزراعة ودورها الهام لحماية البيئة. حاول الروائي أن يعالج في روايته الرشاقة معظم المشاكل البيئية الخطيرة. وينذر عن استعمال البلاستيك وعدم إدارة النفايات التي يسبب تلوث الهواء والمياه والتربة وانتشار الأمراض الخطيرة. والكاتب يعاتب الإنسان الطاغى عن عيشه الشنيعة والمخيفة، كما أنه يرسم جيداً أحوال الحرب الذي يصدر منها معظم القضايا البيئية.

المصادر والمراجع:

١. راتب سلامة السعود، الإنسان والبيئة دراسة في التربية البيئية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٦م.
٢. رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
٣. سنان أنطون، وحدها شجرة الرمان، منشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٣م.
٤. محمد صابر، الإنسان وتلوث البيئة، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ٢٠٠٠م.
٥. محمد فائق عبد الحميد، تلوث البيئة الحضرية، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد التاسع، ١٩٩١م.



إسهامات ناصر الظاهري؛ صالون الأدب والثقافة والإعلام

السيد/ ياشد ماتاي^١

الدكتور/ محمد عابد. يو. بي^٢

الملخص:

هذا البحث يقوم بدراسة عن الأديب الإماراتي والإعلامي الشهير ناصر الظاهري، شخصية العام الثقافية ٢٠١٠-٢٠١١ من قبل «مؤسسة هماليل للإعلام» ليعكس إسهاماته الفعالية في الحقل الأدبي الثقافي والإعلامي. أنجبته الإمارات العربية المتحدة في تربتها الثمينة، وترعرع فيها قد ظهر نور فن الثقافة منذ صغره، وله عدة أعمال في مجال الأدب لأن مؤلفاته مرآة خضرة للقراء حول تجاربه. أنه لمس أخيراً السينما، أنه مخرج مشهور ومنتج نابغ في مجال السينما شرقاً وغرباً، وحصل على جائزة لأفضل مخرج في مهرجان دبي السينمائي الدولي ٢٠١٥ م.

ناصر الظاهري:

ولد في مدينة 'العين' بالإمارات العربية المتحدة في سنة ١٩٦٠ م. نشأ يتيماً وكفل نفسه في الفقر والمشقة، وتحمل المسؤولية وعبء الحياة في صغره، وهذا اليتيم والفقر والعزلة والوحدة التي درب نفسه عليه هي تربة الأدب عنده. تلقى دراسات الابتدائية من مسقط رأسه 'العين'. ثم تابع دراسته في إمارة أبو ظبي، وطلع الظاهري الأدب الروسي و الأدب الفرنسي وأدب أمريكا اللاتينية، وحصل شهادة البكالورية في الإعلام والأدب الفرنسي من جامعة الإمارات في سنة ١٩٨٤ م. ثم التحق بمعهد الصحافة الفرنسية بجامعة السوربون بباريس. وفي عام ١٩٨١ م دخل في كتابة القصة وكان محوراً بعض اليوميات في مدينة العين، وشرع رحلته وأحس في رحلاته التجارب المختلفة، وهذه التجارب المتنوعة تؤدي إلى الكتابة، دخل ناصر الظاهري أكثر من خمسين مدينة لكل مدينة شمس وملاح وأصوات وألوان وكل مدينة ستكشف له أسرارها وتعطيه قصصها. حيث كتب مشاهداته لأكثر من ٢٢ بلداً في العالم عبر مقالات شهرية تحت عنوان «تذكرة سفر»^٣، فهو يتذوق الأمكنة ثم يكتب عنها ويمتلك رؤية إنسانية شاملة فكتاباته تلامس الشعر وهي تعتبر أفضل كتابه لديه قصصه هي الخزنة الفكرية التي يحملها وعاشها ويعيشها خلال رحلاته بين الماضي والحاضر.

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٣ والرابط: <http://www.adab.com/literature/modules.php>

هو أديب ماهر له تجربة رحلة كثيرة ، وهي التي جعلته يتفوق إلى المرتبة العليا بين كتاب الإمارات. وكان يصور ما لقيه أثناء رحلته في أفاصيحه. بدت ملامح الكتابة لديه عبر محاولات قصصية إلى أن نشر أول قصة له بعنوان «حسون الحواري»، وكانت تدور أحداثها في المدينة التي رأى فيها النور - العين - حيث سجل بعض اليوميات لبطل الشخصية الخارجة من قلب المدينة، نشر قصته الأولى في عام ١٩٨٦ م. قد حصل الإعلامي الشهير الظاهري على الأدب وذاع صيته في الإمارات غربا وشرقا حتى وصل اختياره مؤسسة هماليل للإعلام شخصية العام الثقافية. وقد أثر إسهاماته الفعالة في الحقل الثقافي والإعلامي ليعكس دوره الفعال في الحقل الثقافي والإعلامي في ظل ما يملكه من نتاج أدبي أهله لينال هذا اللقب (شخصية العام الثقافية) كونه واحدا من أهم الأقلام الإماراتية المؤثرة. وحقا أنه متأهل بهذا اللقب لأنه أحد أهم رواد المشهد الثقافي بكتابته المتميز وحضوره المتواصل وتفاعله مع القضايا الثقافية والاجتماعية والوطنية والإنسانية وطرحه الجريء من خلال كتاباته المتعددة في منابر عدة ولعطاءاته المتنوعة بين النص القصصي والعمل الإعلامي المختلف.

أسلوبه وتقنيته

ناصر الظاهري اسم سجل مميزا في تاريخ أدب الإمارات. وله أسلوب خاص الذي يجذب وعي القارئ إلى نص المقروء، ويجعله يتماشى مع أحداث الكتابة. وعندما نقرأ إنجازاته نفهم منها أنه كاتب فائز في اختيار أسلوب مناسب لموضوع القصة. وتتميز نصوصه بسهولة الألفاظ وحسن التعبير وسلاسة الكلمات وجمال الأسلوب، ويكتب نصوصه بدون تكلف ولا يقيد أعماله كثيرا باستعمالات التقنيات. فهو يتمتع بالأماكن ثم يكتب عنها و يمتلك رؤية إنسانية شاملة. فكتاباته تلامس شعور القارئ. وقصصه هي الذخائر الفكرية التي يحملها الكاتب وعاشها ويعيشها خلال رحلاته. تتميز قصصه بالتصوير الذي لا يخلو من الذكاء والدقة التي تجعل الشخصية ترسم في ذهن المتلقي فيظل مشدودا مع السرد حتى نهايته وتعتبر كتاباته جزء من التنوير المسبق من المجتمع الذي يعيش فيه ويعايشه ويعاين تجولاته. ومعظم كتابة الظاهري تهتم بالموضوعات الإنسانية. واتخذ محيطه وبيئته وحياته و حياة مجتمعه محورا لإبداعاته.

مخرج سينما

ليس الأديب أديبا فقط بل أنه مخرج مشهور ومنتج نابغ في مجال السينما شرقا وغربا، وإنه حاصل على جائزة لأفضل مخرج في مهرجان دبي السينمائي الدولي. وإنه مخرج الفيلم أصبح منتجا ومخرجا وكاتب السيناريو لفيلمه الأول. وهذا الفيلم يروي تاريخ الإمارات منذ أقدم الاكتشافات إلى يومنا هذا. وكذلك هذا الفيلم سجل تكلفة عالية بإنتاج شخص وصلت إلى مليون ونصف مليون يورو، عكس بسخاء روح الانتماء والإيمان بالأهل والوطن، ليسجل سيرة عامرة بالتفاصيل الموثقة لحياة الإمارات ماضيا وحاضرا. وفاز فيلمه «في سيرة الماء.. والنخل.. والأهل» بجائزة أفضل مخرج في مهرجان دبي السينمائي الدولي سنة ٢٠١٥ م.

مؤلفات الظاهري:

- عندما تدفن النخيل (مجموعة قصصية)
- هذا الكتاب يحتوي على إحدى عشرة قصة. وهي: إتهاد..كليج..بيان، التعويض، العرصة، النعش المكسور، النفق، الهروب، ثلاث حقائب على الرصيف، حصون الحواري، سفر الأسفار، سنة الدبي، شغب القائلة، عندما تدفن النخيل.
- خطوة للحياة .. خطوتان للموت (مجموعة قصصية)
- هذا الكتاب يحتوي على عشر قصص . هي: طويرة الجنة، العويد، روبية أم نخلة، غائب، جهانجير خان، أقاصيص من الجهة الخامسة، المهدي تفاصيل باريسية، خطوة للحياة.. خطوتان للموت، وجري الأحرار.
- حالات من الليل يغشاها النهار (مجموعة قصصية)
- هذا الكتاب يحتوي على إثنتي عشرة قصة. هي : إتهاد.. كليج.. بيان ، التعويض، النفق، ثلاث حقائب على الرصيف، شغب القائلة، طويرة الجنة، العويد، جهانجير خان، المهدي، تفاصيل باريسية، خطوة للحياة.. خطوتان للموت، وجري الأحرار.
- منتعلاً الملح.. وكفاه رماد (مجموعة قصصية)
- هذا الكتاب يحتوي على سبعة عشر قصة . وهي : منتعلاً الملح وكفاه رماد، يمشي على أربع!، ليلة ما حلم بموته، وكر المستعرضين!، نومة (أبوسليم)، ليس بالضرورة شاي الخامسة إنجليزيا، قلب عصفور ملون الطائر .. بجناح أبعد منه (رواية وحيدة لناصر الظاهري)
- على سفر .. نذهب بعيداً .. نذهب عميقاً (مقالات)
- ما تركه البحر لليابسة (مقالات)
- أصواتهم (كتاب عن القصاصين في الخليج) إعداد مشترك مع بدر عبد الملك.
- أصواتهن (كتاب عن القصاصات في الخليج) إعداد مشترك مع بدر عبد الملك
- القوات المسلحة في الإمارات.. سجل الشرف والإنجازات الإنسانية
- «خلف ظلالهم البيضاء» (كتاب صور فوتوغرافية)
- العمود الثامن (١٤ جزء) (مقالات) هذه المقالات انعكاس لحياة شعب الإمارات والشعوب الأخرى.

مكانته بين كتاب الإمارات:

أنه كان حمل كثيراً من المناصب ومنها: كان يعمل رئيساً لتحرير مجلة درع الوطن، وعمل أيضاً كمدير تحرير جريدة الإتحاد، ومدير عام ورئيس تحرير مطبوعات المؤسسة العربية للصحافة والإعلام «مجلة المرأة اليوم، الرجل اليوم، الرياضة اليوم، أطفال اليوم، شباب اليوم» وعمل أيضاً كرئيس تحرير مطبوعات «ديزني - وورنر برذر - بي بي سي» النسخ العربية للأطفال. أنه عد رئيس إتحاد كتاب والأدباء الإمارات.

عمل ناصر الظاهري صحافياً له شخصية متميزة لامعة في مجال الصحافة، حيث انه أنتخب عضواً في منظمة الصحفيين العامة. وعمل عضواً في الهيئة الاستشارية لمشروع «كتاب في جريدة» اليونسكو. وعمل

رئيساً للإعلام العسكري، وكان عضواً في مجلس أمناء جائزة العويس الثقافية وعمل عضواً في مجلس أمناء جائزة الشيخ زايد للكتاب، وكان عضواً في مجلس أمناء جائزة دبي للصحافة، وعمل عضواً في اللجنة التنفيذية في المجلس الوطني للإعلام. وعمل ككاتب مقال أسبوعي في المجلات التالية: «زهرة الخليج» الإماراتية، «حياة الناس» الإماراتية، «نصف الدنيا» المصرية، «فيروز» لبنانية. وعمل رئيس التحرير التنفيذي لإصدارات دار الصياد اللبنانية: «مجلة فيروز»، «مجلة الإداري»، «مجلة الفارس»، «مجلة الشبكة». وزين منصب الناشر ورئيس تحرير صحيفة الهدى الدولية التي تصدر بخمس لغات عالمية في لندن «العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والفارسية».

الخاتمة:

إن تجربة الكاتب في التأليف وسرد القصص كانت لامعة، وقصصه كانت موهبة بسعة الخيال وحسن الصياغة وجمال التعبير وروعة الحبكة ودقة الوصف وجزالة الألفاظ واستطاع أن يلمع على الرغم من وجود العديد من القصاصين والكتاب حيث تمكن من أن يوجد لنفسه مكاناً بجوارهم. وله مكانة عظيمة بين الأدباء والكتاب في الإمارات وعضويته في منظمة الصحفيين العالمية ومشاركته في كثيرة من المؤتمرات والندوات الدولية.

المصادر والمراجع:

١. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر المعاصر في الخليج العربي، محاضرات الموسم الثقافي الثالث، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٨٩-١٩٩٠م.
٢. نجم، محمد يسف، فن القصة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦.
٣. ناصر الظاهري، منتعلا الملح وكفاه رماد، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع واتحاد كتاب وأدباء الإمارات- ٢٠١١.
٤. ناصر الظاهري، حالات من الليل يغشاها النهار، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٥.
٥. <http://www.alkhaleej.ae>



موقف الإسلام من الشعر والشعراء

السيد / شفيق حسن بن علي حسن^١

الملخص:

إن الشعر من الفنون العربية الأولى عند العرب وله مساهمات هامة في العالم، وهذا الفن الشهير في التاريخ الأدبي العربي منذ أقدم العصور إلى أن أصبح وثيقة يمكن من خلالها التعرف على أوضاع العرب، وثقافتهم، وأحوالهم، وتاريخهم، إذ حاول العرب تمييز الشعر عن غيره من أنواع الكلام المختلف، من خلال استخدام الوزن الشعري والقافية، فأصبح الشعر عندهم كلاماً موزوناً يعتمد على وجود قافية مناسبة لأبياته وغير كل من من الفنون النثرية بما أن النثر هو كلام غير موزون أو مقفى ونتيجة لذلك ظهرت العديد من الكتب الشعرية، والثقافية العربية التي بينت كيفية ضبط أوزان الشعر، وقوافيه، وأشكاله البلاغية والفصاحية التي ينبغي اتباعها واعتمادها عند الاستعارة، والتشبيه، وصنوف البديع والكناية في الكتابة الشعرية. ليس هناك اختلاف بين المؤرخين أن العرب ما قبل الإسلام كانوا يمجدون الشعر والشعراء، وكانت القبيلة تحتفل بظهور شاعر فيها يساعدهم على الفخر بقبيلتهم ويهجو أعداءهم كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصبح منه^٢. قال ابن منظور في لسان العرب: والشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كلعلم شعراً من حيث تغلب الفقه على علم الشرع، وقال: وهو كلام العرب. وقال الفيومي: «والشعر العربي هو: النظم الموزون، وحده ما تركب تركباً متعاضداً، وكان مقفى موزوناً مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعراً ولا يسمى قائله شاعراً»^٣.

الشعر قبل الإسلام

وكان للشعر والشعراء علاقة عميقة ومكانة كبيرة وانتشار واسع قبل ظهور الإسلام، لا يعرف تاريخ النشأة الأولى للشعر الجاهلي، وإنما ما يظهر من هذا الشعر خاصة المعلقات. وكانت القبيلة تحتفل بظهور شاعر فيها يؤازرهم على الفخر ويهجو أعداءهم بقبيلتهم. وقد كان الشاعر أعظم درجة عند الأمراء، وكان بمثابة السفير القبلي، تحترمه القبائل الأخرى وتقدم له الحصانة الدبلوماسية اتقاء لسانه الذي قد يكون سليطاً في هجائهم. وكل هذه الأهمية التي حباها بها الشعر ترجع لتفشي الأمية في القبائل

١ أستاذ الضيف، كلية الأنصار العربية

٢ طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمعي، شرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١/٢٤

٣ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، كتاب الشين. ص ٤٠

العربية وخاصة البدوية منها. أن الشعر و الشعراء مكانة مرموقة في المجتمع والدولة، لذا قال ابن سلام الجمعي: «وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به، به يأخذون وإليه يصيرون»^١

يذكر القيرواني في كتابه العمدة «أن القبيلة العربية إذا نبغ فيها اسم شاعر محدد فإن القبائل الأخرى تأتي لتهنأها، فتقام الولائم، وتجتمع النساء كما في الأعراس»^٢ أن الشاعر يأخذ مكانة مميزة تكسب الحب والحماية من البقية، وتكون وظيفته الأساسية هي أن يصبح لسان القبيلة، يدافع عنها ويحميها ويتغنى بأمجادها وأنسابها، ويخلد جميل أعمالها ويحمي شرفها وكانوا يتميزون في هذا العصر بالذكاء الحاد، وفصاحة القول، وسرعة البديهة والفراسة والتي تنوعت أغراضها كالهجاء والمدح والفخر والثناء والغزل والوصف والحكمة والموعظة والاعتذار. ولقد كان المدح والهجاء من أهم الأغراض الشعرية في ذلك العصر. نفهم من كتب التاريخ والنقد أن الشاعر وهو قائد والعالم وسلطان القبيلة وسفير ولسان القبيلة والملجأ والتاريخ وهو عاشق ومرشد وأيضا ضليل وهكذا ...

موقف الشعر والشعراء في القرآن

القرآن معجزة كبرى والحديث نعمة من نعمات الله، الشعر فن من فنون الأدب. ونرى من دلائل الإسلام أن الإسلام يكره الشعر والشعراء ولذلك لا يجوز عقلا أن يكون النبي شاعرا وأن الإسلام يكره الشعراء. فنزلت الآيات المكية تباعا تنفي أن يكون النبي شاعرا أو كاهنا، فنزلت سورة الشعراء تحكي قصص الأنبياء من موسى ونوح وغيرهم، وبها ثلاثة آيات فقط تذكر الشعراء: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون» (٢٦: ٢٢٤، ٢٢٦) فالله عز وجل يخبرنا أن الشعراء يتبعهم أهل الغي والغفلة والهوى، لا أهل العلم والعقل والهدى، ومع ذلك سميت السورة باسم الشعراء لتؤكد كراهية الإسلام للشعر والشعراء، وفقا لذلك ما رؤي قط من أبيات الشعر في سور القرآن. إن الإسلام يتنكر للشعر والشعراء ككل، لكن هذا ليس تفسيرا دقيقا وصحيحا للقرآن، إن غالبية الدارسين يعتقدون ويقرون بأن هذه الآية قصدت الشعراء الكافرين فقط ما معناه الشعراء الذين سخرُوا من الرسول وأساءوا إليه، الطبري مثلا في كتابه جامع البيان في تفسير القرآن يشرح أن الشياطين تتبع الشعراء ولكنه يؤكد باستثناء الآية ٢٢٧ التي تستثني الشعراء الصالحين المؤمنين مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وأمثالهما. يفسر الشوكاني بأن الله يحمي الشعراء الصالحين المؤمنين ويقف حازما بجانب الحق والإخلاص. وكذلك نجد: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» (يس ٦٩). وكذلك: «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» (الأنبياء: ٥). وكذلك: «فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نربص به ريب المنون» (الطور: ٢٩). و «وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون» (الحاقة: ٤١).

١ طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمعي ، شرحه محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة، ١/٢٤

٢ بتصرف عن كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيقي القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص ١٥٣

الشعر والشعراء في القرآن في الحديث الشريف

روى أهل الحديث أحاديث كثيرة عن النبي في رد الشعر والشعراء. فقد روي مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حثيثا وخير من أن يمتلئ شعرا) وفي الصحيح أيضا عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: (خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا) (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي). وروى الطبراني في معجمه الكبير: «حدثنا علي بن إسحاق الوزير الأصبهاني ثنا محمد بن منصور الجواز المكي ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا أبو صخر واصل بن يزيد السلمي ثم الناصري حدثني أبي وعمومتي عن جدي مالك بن عمير أنه شهد مع النبي ﷺ يوم الفتح وخيبر والطائف وكان رجلا شاعرا فقال يا رسول الله أفنتي في الشعر فقال لأن يمتلئ ما بين لبتك إلى عاتقك قيحا خير من أن يمتلئ شعرا قلت يا رسول الله امسح على رأسي فوضع يده على رأسي فما قلت بعد ذلك بيت شعر».

إن النبي ﷺ استحسن شعر أمية، واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيرهم، وأن المذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالبا على الإنسان. فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟ قلت: نعم قال: هيه فأنشدته بيتا، فقال: هيه ثم أنشدته بيتا فقال: هيه حتى أنشدته مائة بيت قال: إن كاد ليسلم وفي رواية: (فلقد كاد يسلم في شعره). عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

يبحث الناس على النظر فيه قائلا: «إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي». وهو القائل: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه»^١. الأديب والناقد العربي الشهير ابن رشيق في كتابه العمدة يقول بأن الآية: والشعراء يتبعهم الغاؤون... تقصد الكافرين الذين تهجموا على النبي وشككوا فيه وتستثني المؤمنين: فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى، والشعراء يتبعهم الغاؤون فهو غلط وسوء تأويل. لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله بالهجاء ومسه بالأذى. فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك.

الشعر والشعراء في عصر الإسلام

قلت رواية وقول الشعر منذ ظهور الرسالة الإسلامية لأسباب عدة أهمها انشغال المسلمين بالقرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ، وإحساس بعض الشعراء بضعفه أمام عظمة لغة وأسلوب القرآن الكريم، كما أن

١ تحفة الأحوذ: عبد الرحمن المباركفوري، ص ١١٦

٢ تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٠

الكثير منهم آنذاك اتجهوا إلى الجهاد في سبيل الله عز وجل مبتعدين عن كتابة الشعر. تأثر الشعر في عهد الإسلام تأثراً واضحاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث وجه الشعراء شعرهم نحو مدح الإسلام والدعوة إليه وتعظيم الرسول ﷺ وإظهار محاسنه ومناقبه، واستمدوا أفكارهم الشعرية من مبادئ الإسلام، وخلق الرسول الكريم وصفاته، فتحوّل وظيفته من وظيفة ذاتية قبلية إلى وظيفة تدعو الناس إلى الهداية وإرشادهم وتعريفهم بخالقهم ومدى قوته وما أعدّه للمحسنين الأتقياء والصلاحية. وقد انبرى شعراء ذلك العصر للجهاد بشعرهم دفاعاً عن الدين الجديد، ومحاربة لأعدائهم بالشعر، ومدح النبي عليه السلام وهجاء مشركي قريش وتأريخ الغزوات والفتوحات. ومن أشهر هؤلاء الشعراء المخضرمين: الشاعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة والحطيئة وكعب بن زهير.

موقف الإسلام من الشعر

قال الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون* ألم تر أنّهم في كل وادٍ يهيمون* وأنهم يقولون ما لا يفعلون) سورة الشعراء. آية ٢٢٤، (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) سورة يس آية ٦٩. قال رسول الله: «إن من الشعر حكمة» «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان «هاجهم وجبريل معك»^١ ودل هذه الدلائل الشعر والشعراء مكان بارزاً في الإعلام الإسلامي. وأحل رسول الله ﷺ الشعر، والشعراء يرفعون صوتهم بالدعوة إلى الله و يرمون بشعرهم على أعداء الإسلامية، فالشعراء الإسلاميون هم الذين يحيون تحت مظلة الاستثناء القرآن الكريم: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). فالقرآن الكريم لم يذم الشعر بإطلاقه ولم يذم الشعراء بعامتهم. إذن فقد اهتم الإسلام بوظيفة الشعر، واعتنى بتوجيه مضمونه، فأراد بذلك أن يسمو بالشعر والشعراء وأن يجعلهم أداة بناء وإسعاد بعد أن كانوا من قبل أداة هدم وشقاء. ولم يقتصر شعرهم على الهجاء أو المدح أو الرثاء فقط بل تطرّقوا لشعر الغزل أيضاً فقد روى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل يوماً على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة فراءها تستاك بعود الأراك فأراد مداعبتها فقال هذه الأبيات:

لقد فزت يا عود الأراك بثغرها أما خفت يا عود الأراك أراك

لو كنت من أهل القتال قتلتكما فات مني يا سواك سواك

خصائص الشعر الإسلامي

تأثر الشعر في عهد الإسلام تأثراً واضحاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث وجه الشعراء شعرهم نحو مدح الإسلام والدعوة إليه وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وإظهار محاسنه ومناقبه، واستمدوا أفكارهم الشعرية من مبادئ الإسلام، وخلق الرسول الكريم وصفاته، فتحوّل وظيفته من وظيفة ذاتية قبلية إلى

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري / كتاب المغازي / رقم الحديث ٣٨٣٩

وظيفة تدعو الناس إلى الهداية وإرشادهم وتعريفهم بخالقهم ومدى قوته وما أعده للمحسنين والأنقياء. اختلف تمسك الشعراء في العصر الإسلامي بالدين؛ لذلك تنوعت تجاربهم، ورؤيتهم، وأساليبهم الشعرية، ولكن بقي لديهم مجموعة من السمات المشتركة التي ميزتهم عن غيرهم من الشعراء في العصور الأخرى، كان أهمها الالتزام، والصدق الفني، والشعور بالإنسان، إضافة إلى الدعوة للتوحيد وتجنب الألفاظ البديئة والصور الفنية الخارجة عن أحكام الدين الإسلامي، وإلى جانب هذه السمات يوجد العديد من الخصائص الفنية التي ظهرت بشكل وأسلوب واضح في شعرهم. وبعدهم عن التقليد، ويثبت عمق إحساس شعرائهم واستقلاليتهم في التعبير،

ومن خصائص الشعر في عصر صدر الإسلام على المستوى اللغوي، وضوح اللغة المستخدمة فهي لغة سهلة لينة، بعيدة عن الغموض والغرابية والرموز المهمة، ونجد كذلك التأثير الواضح لكلمات ومعاني ومفاهيم القرآن الكريم على قصائد شعراء تلك الفترة وكثرة تناولهم للموضوعات الأخلاقية والدعوية ويبقى موضوع الحماسة والحث على الجهاد كأحد أهم موضوعات قصائدهم نظرا لمشهدته هذه الفترة من غزوات عديدة وفتوحات كثيرة. ومن الأمثلة الشهيرة على أشعار ذلك العصر ما قاله حسان بن ثابت والذي كان يعرف بشاعر الرسول لكثرة ما قاله من مدح في رسول الله ﷺ.

الشعر في هذا العصر ناحيتين

أولا - ناحية الشكل: استمر الشعراء عن أغراض متنوعة منها ما هو تقليدي، بقواعده القديمة في النظم القائم على وحدة التفعيلة التي اكتشفها الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما بعد وأسماء «بحور الشعر» أثرت الآيات القرآنية في الشعر العربي بالكثير من الألفاظ والكلمات الجديدة والتشبيهات والاستعارات، فشاعت ألفاظ مختلفة ومتنوعة، كما رقت الألفاظ التي استعملها شعراء الحضر خاصة، وأصبحت تراكيهم وأساليبهم أكثر حلاوة وسلاسة، وقلت المفردات الغريبة.

ثانيا - ناحية الموضوع: تميزت معاني الشعر في العصر الإسلامي بدعوتها إلى المثل العليا، والأخلاق الحسنة والحميدة، والابتعاد عن المدح المزيّف والمبالغ فيه، وقد اكتسبت هذه المعاني بفضل الإسلام إشراقا واتساعا وعمقا كبيرا. فالشاعر يدافع عن الرسول ومن آمن معهم، اشتهر شعراء المخضرمون في هذا المجال ومن أهمهم حسان بن ثابت شاعر الرسول.

الخاتمة

وقالت عائشة: الشعر يحتوي على كلمات حسنة وكلمات سيئة، خذ ما هو حسن واترك ما هو سيئ أو رديء. أبرز آثار الإسلام على الشعر والشعراء قلّت الفنون الأدبية التي كانت منتشرة قبل الإسلام وتطوّرت بعض الفنون الأخرى وظهرت فنون جديدة، وظهر سجع جديد مرتبط بالدين الإسلامي يستخدمه الخطباء في خطبهم. بدأ الشعراء يدعون في شعرهم ما تعلموه من الإسلام وبدأت تظهر أنماط جديدة من الشعر. وفي هذه الدراسة علينا أن نؤكد الحقيقة بأن هناك كثيرا من القصائد لعدة شعراء ممن امتدحوا الرسول ومن هم شعراء

المخضرمين. كل ما ذكر أعلاه يشير بأن القرآن يعارض بعض أنواع الشعر لكن ليس الشعر بمجمله. حسب وجهة النظر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم اختار حسن بن ثابت ليكون شاعره وألهمه ليدافع عن الإسلام من أعدائه، للإجمال يتضح بأن الرسول محمد خاصة والإسلام عامة لا يرفض الشعر بمجمله بل يتنكر للنمط الشعري الذي لا يتمشى أو يناسب روح الإسلام. هذا ما قصده القرآن وهذا ما قصده الرسول نفسه.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن عبد ربه، عقد الفريد / الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٢٨
٣. ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الخامسة، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م
٤. تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، الطبعة الرابعة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٨م
٥. حافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، المكتبة البولاق، مصر، ١٨٩٨م
٦. طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمعي، شرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ٢٠١٤م



القصة القصيرة : مميزاتها وخصائصها

السيدة/رجينة .تي .كي^١
الدكتور/ يو .سيد علوي^٢

الملخص:

تعد القصة القصيرة من أهم الأجناس الأدبية الحديثة التي ارتبطت بالتحولات المعاصرة. وفي هذا القرن أي القرن العشرين بدأ الانسان حياة متقدمة سريعة بفضل التطور في شتى مجالات العيش العلمي والتقني والصناعي والرقمي وغيرها، فترك الانسان حياة متجانسة من قبل، وليس عنده وقت طويل لشيء ما حتي القراءة والكتابة، فتخلى عن قراءة النصوص المسترسلة والروايات الطويلة ، حتى صار أن يقرأ النصوص الأدبية القصيرة وعناوين المقالات والصحف بغير أن يدخل الى المحتوى . فانصرف القراء أيضا الى القصة القصيرة، ومن هنا نسلط الضوء على هذا الفن الادبي بتعريفه وبيان عناصره وخصائصه ومميزاته .

يحسب الإنسان منذ قديم الزمان بغير جدل أن لكل شيء في الدنيا قصة. كل شيء له بداية ولا نهاية ..كل شيء له سيرة حياة... للجنين في بطن أمه قصة ، ولذرة المطر قصة، والنبته لها قصة، والماء له قصة وهكذا كل شيء مرتبط بالقصة . القصة أولا يستخدمها الإنسان للمتعة وقضية وقت الفراغ، ثم لمحاولة إعادة الماضي، فأصبحت القصة أنيسه وصاحبه بالليل والنهار وبدلها ميراثا يخلفه لأحفاده أن يقص بعده .حتى أعطى الاسلام لها مكانة عظيمة. يقول الله تعالى في سورة الأعراف (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) أي يسلمهم بالقصص عن احوال البشر السابقين ، ولا بالشعر أو بالمسرحية أو الخطب أو غيرها من ألوان الفن .لأن الله تعالى خالقنا أعطى حب الاستطلاع سمة أساسية في جوهر التكوين الإنساني. وقبل أن ندخل الى مميزات القصة القصيرة وخصائصها نبعث عن تعريف القصة لغة واصطلاحا.

القص في اللغة: «هي لفظ من فعل (قص) يقال: قص القصة؛ أي حكاها ورواها لهم وأخبرهم بها . يقصد بالقص أيضا قص الأثر أي تتبع مساره ورصد حركة أصحابه، والتقاط بعض أخبارهم .ومن هذا المعنى قول الله تعالى في سورة الكهف (قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا)، وفي سورة القصص في آية ١١ يقول الله تعالى (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) ويقال اقتص أثره، وتقصص أثره»^٣.

١ باحثة، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية الفاروق، كاليكوت

٢ مشرف البحث، وعميد كلية مليبار للدراسات العليا بوينغارا، ملايرم

٣ تعريف ومعنى قص في معجم المعاني الجامع ، www.almaany.com

والمعنى الثاني هو الإخبار والرواية. فالقصة هي تتبع لأثار شخص أو أشخاص وتلمس أخباره ورواية ذلك أو قصه، ويقال أيضا: استقص: أي طلب منه أن يقص عليه قصة

ونحن نعلم أن معنى القصة في الإنجليزية story ترتبط ارتباطا اشتقاقيا واضحة بكلمة «تاريخ» history في اللغة ذاتها، ومثل ذلك في اللغة اليونانية^١، وهكذا فإنها تعني في مجمل المقصود منها تتبع آثار الأشخاص وسيرهم خلال فترة زمنية معينة. وقد ورد الفعل «قص» في نحو عشرين موضعا بالقرآن الكريم وكلها معنى (أخبر)، مثل قوله تعالى (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف) سورة القصص ٢٥، (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) سورة يوسف ٥، (قد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) سورة يوسف ١١١.

القصة القصيرة الفنية :

قد تعددت التعريفات للقصة القصيرة الفنية من قبل الباحثين، لكنهم قبل ذلك اتفقوا على الأسس العامة وهي أن القصة القصيرة فن أدبي نثري يتناول بالسرود حدثا وقع أو يمكن أن يقع. وهناك رأي على أنه نص أدبي نثري يصور موقفا أو شعورا إنسانيا تصويرا مكثفا له أثر أو مغزى. وفي رأي آخر هي عبارة عن سرد حكاية نثري أقصر من الرواية^٢. يعرفها مصطفى فاسي على أنها «عمل أدبي مركز مكثف، يصور حياة شخصية أو أكثر في مرحلة حماسة من حياتها»^٣. يري الكاتب أحمد إبراهيم رحمه الله في كتابه «الأدب والنقد عند العرب» هي تعالج جانبا واحدا من جوانب حياة الفرد أو زاوية واحدة من زوايا الشخصية الانسانية^٤. وهي تعبر واقعة أو حادثة واحدة التي تقع في حياة واحد أو بعض الأفراد في موعد خاص أو وقت معين حتى يستطيع للقارئ أن يقرأ خلال نصف ساعة أو في جلسة واحدة. وهذا اللون الأدبي يعالج مواضيع واقعية ومواضيع خيالية بشكل مشوق.

أما الأقصوصة اصطلاح الأدباء تسميتها على القصة التي تقل عن خمس صفحات، وهي نوع أدبي شاع خلال ربع القرن الأخير ليناسب المساحات التي تضاءلت في الصحف والمجلات، والحق أن الأقصوصة هي قصة قصيرة بلغت درجة عالية من التركيز والتكثيف بحيث فقدت الكثير من شحمها القديم^٥ وفي رأي الكاتب فؤاد قنديل لا يسع تسمية القصة القصيرة بالأقصوصة بدرجة كافية ولا يتناسب، الغالبية تذهب على تسمية النص القصصي المنثور قصة قصيرة أي كان طوله. ولا بد أن نعرف عن عناصر القصة القصيرة لأن نحقق تعريفها جيدا. ولأي عمل فني عناصر وأجزاء، وتتوافر هذه العناصر يجعل في أفضل صورة وأجمل تشكيل. عناصر القصة القصيرة ستة وهي: الرؤية، الموضوع، اللغة، الشخصية، البناء، والأسلوب الفني.

الرؤية: هو العنصر الوحيد غير المرئي في الفن القصصي ولا نستطيع أن يحددها لأنها وراء العمل الفني، وهي جوهر العمل ونواته الفكرية، والرؤية أو المضمون رأي فكري للموقف. ولا بد للكاتب من رؤية لأنه صاحب فكر

١ فؤاد قنديل ، فن كتابة القصة ، ص: ٢٧

٢ المرجع السابق ، ص: ٣٥

٣ <https://mawdoo3.com> ، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٢٢

٤ د. أحمد إبراهيم رحمه الله ، الأدب والنقد عند العرب ، ص: ١٢٣

٥ فؤاد قنديل ، فن كتابة القصة ، ص: ٣٩

يفكر ويعبره وليس وصافاً ولا مؤرخاً.

الموضوع: هو الحدث أو الحادثة الشعورية التي تتجسد من خلالها الرؤية. وهو مادة القصة حدثاً كان أو موقفاً أو حالة أو لحظة شعورية، وهو الهيكل العظمى لهذا المخلوق الأدبي.

اللغة: البناء أساسه لغة، والتصوير المكثف الشخصية والحدث يتكئ على اللغة. وفي القصة اللغة أشد تركيزاً وتكثيفاً وذات قدرات عالية على الإيحاء والإيحاء.

الشخصية: المقصود بالشخصية هو محرك الحدث أي كانت طبيعته، وهي صاحبة الفعل والدافعة إلى الحدث، وهي مصدر المشاعر التي تمثل لباب القصة الأساسي. وهي التي تنتج الحدث وتدفعه وتبنيه وبدون الشخصية لا يستطيع المرء أن يكتب قصة جيدة.

البناء: هو الشكل أو المعمار الفني الذي يميز هندسة عن أخرى وبيت عن بيت ولوحة عن لوحة.. وهو الصورة العامة للتشكيل الجسماني، وهو لقلب الذي يختاره الفنان أو يختاره الموضوع. وهو أيضاً الملامح المعمارية الظاهرية أو الإجمالية للنص الأدبي.

الأسلوب: هو التقنية الفنية أو الطريقة التي يتم بها تصوير الحدث أو الحالة، وهو طريقة المعالجة ووسيلة التناول.

ظهور القصة القصيرة وتطورها

هي لون أدبي ظهر متأخراً ومن أكثر الأجناس الأدبية شيوعاً عبر التاريخ ولا يتجاوز عمرها في أحسن الأحوال مائة وخمسين عاماً. ظهرت القصة القصيرة الحديثة التي عرفت بدقة إحكامها في القرن التاسع عشر على أيدي أديب ألمان بوجي دي موباسان، حتى يقال «إن القصة القصيرة هي موباسان-وموباسان هو القصة القصيرة»^١. ومن أشهر كتاب القصة القصيرة انطون تشيخوف، وبرت هارت، وأوهنري، وارسنت هيمنجواي، وبلزك، وليو بولستوى، وهنري حميس، وفوكنر وغيرهم^٢.

وفي الأدب العربي قد أدت حركة الترجمة في مطلع القرن العشرين لنمو فن القصة القصيرة. ولم يستطع تحديد بدايتها دقيقاً، ولكن النقاد اكدوا بغير شك أنها بدأت عن طريق ترجمة قصص الكتاب الفرنسيين والانجليز والروس والأمريكان. ولا يزال يبدعها آلاف الكتاب في كل زمان ومكان منذ تجربتها أيدي المصريين، حيث ولد هذا الفن على يد محمد تيمور بقصته المشهورة «في القطار» سنة ١٩١٧م. وقد نما عقب ثورة ١٩١٩م فيها ونضج ثم صار فناً، ونشأ طائفة من كتاب القصة القصيرة في مصر، ومن أبرز هؤلاء عيسى عبيد، شحاتة عبيد، محمود طاهر لاشين، يحيى حقي، توفيق الحكيم، محمود بدوي، ويوسف إدريس وغيرهم كثيرون. وهناك رأي آخر هو أن أول من كتب قصة قصيرة هو ميخائيل نعيمة اللبناني حين كتب قصة «سنتها الجديدة» التي نشرت

١. د. رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ص: ١٠

٢. د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص: ٤٦٤

في بيروت سنة ١٩١٤م^١. ثم نشأت القصة القصيرة العربية في كل انحاء البلاد العربية، واشتهر فيها كثير من الكتاب. وصارت القصة القصيرة تطورا على يد يوسف إدريس في مصر، ومحمد بوزفور في المغرب، وزكريا تامر في سوريا. ومن أبرزهم محمود شقير، إبراهيم المازني، فخري قعوار، بدرية البشر، جميلة عميرة، سارة الجروان، سلوى بكر، فاطمة يوسف العلي، ولطيفا باقا وغيرهم. ان فن القصة ليس جديدا في الادب العربي فمعروف من القصص منذ فترات ما قبل الاسلام وما بعده. وظهرت قصصا مختلفة إبان ازدهار الحضارة العربية والإسلامية مثل مقامات الهمداني والحري، ورسالة الغفران للمعري ورسالة النوايع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ورسالة حي بن يقظان لابن طفيل وغيرها كلها انتشرت باللغة الفصحى،

خصائص القصة القصيرة ومميزاتها

للقصة القصيرة ثلاث خصائص، الوحدة، التكثيف، والدراما، ولها أهمية كبرى بحيث إن افتقد أي قصة واحدا من هذه الخصائص لم يعتبرها قصة. والخصائص دون العناصر، بل جميع العناصر تشترك في تشكيل الخصائص للقصة.

الوحدة: هي مبدأ جوهري من مبادئ الصياغة الفنية للقصة القصيرة. ومبدأ الوحدة يعنى بها الوحدية أي أن كل شيء فيما يكاد يكون واحدا.. فالقصة تشتمل على فكرة واحدة وتتضمن حدثا واحدا، وشخصية رئيسية واحدة وتستخدم في الأغلب تقنية واحدة.

التكثيف: لتحقيق أعلى قدر من النجاح للقصة القصيرة لا بد أن يتضمن فيها التكثيف الشديد مع أول كلمة فيها، وهو التوجه بشكل مباشر إلى هدف القصة، من خلال أول كلمة فيها، ومن بعد يكثر الكاتب فيها من الجمل القصيرة ذات الدلالات الكثيرة.

الدراما: يقصد بالدراما في القصة القصيرة خلق الإحساس بالحيوية والديناميكية والحرارة، حتى لو لم هناك صراع خارجي، ولم تكن هناك غير شخصية واحدة. يجب أن تثير القصة في القارئ منذ أول كلمة شهوته للاستطلاع ومعرفة ما يجري، وأن يترقب لمطالعة السطور التالية على أمل اكتشاف جديد هذا العالم القصصي^٢.

تتميز القصة القصيرة عن باقي الأعمال الأدبية بسمات كثيرة ومنها: من أهم مميزات القصة القصيرة أنها قصيرة بحيث يمكن قراءتها في جلسة واحدة، وموجزة بحيث تكون المعلومات المقدمة ذات صلة بالحكاية بأكملها. يمكن أن تستوعبها الصحيفة اليومية والأسبوعية والمجلة. وتترك تأثيرا واحدا على القارئ، وكذلك عدد شخصيات قليل بحيث يتقدم القاص شخصية ثم يضيف معلومات حولها ووصف قصير. وغالبا تكون نهاية القصة مفاجئة، فتنتهي القصة بعد ذروة الأحداث، أما الرواية تصل للذروة ثم تكمل لفصل آخر أو فصلين للتمكن من ربط النهايات معا. وفي هذا العصر يختار أكثر القراء القصة القصيرة بحيث أنها تتضمن كل الدوريات- الصحيفة والأسبوعية والمجلة - في أحد أعدادها قصة قصيرة، ومع ذلك إنها تحتل عينا ماليا خاصا، وإذا كانت مجموعة قصصية فثمنها في الغالب متوسطة، ولا يبلغ ثمنها ما يبلغه ثمن تذكرة السينما ولا ربع ثمن تذكرة

١ د.سيد حامد النساج، اتجاهات القصة المصرية الحديثة ص: ٩

٢ فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، ص: ٥٥-٥٩

المسرح. وليس حاجة الى جهاز خاص لمطالعتها، ويمكن أن يقبل عليها أي قارئ أيا كان مستواه الثقافي لأن لغتها بسيطة في الغالب مع ما أصابها من تغيير بسير هذا العصر المتقدم.

مع إظهار هذه المميزات الخاصة للقصة القصيرة لازم علينا أن نبحث عن العلاقة بينها وبين الرواية، إذ أنهما من أشكال النثر الأدبي، وأن كلاهما يقص حكايات ويروي أحداثا، وأن الرواية أقرب الأجناس الأدبية الى القصة، ومع هذا فهناك أوجه وملامح فروق كثيرة بينهما، وهي في العلامات الآتية: الطول، الرؤية، الزمن، الشخصيات، الأحداث، البناء، اللغة، المكان، والأسلوب. وأنهما يستمدان من منبع واحد هو فن القص، لكنهما بطريقة مختلفة. يستطيع ان يقول أن الروائي إنسان يمشى على طريق متسع، والقاص يمشى على سور مرتفع ضيق يحذر الوقوع.

الخاتمة

بخلاصة القول القصة القصيرة واحدة من أحسن الفنون، ونص أدبي بديع يتسم بطبيعة خاصة كما ذكرنا من قبل تتناسب وظروف العصر، وأقبل عدد كبير من الكتاب على كتابتها في أغلب أقطار العربية ومارسوا الإبداع فيها. ولا شك في أنها شديد الأهمية بين أنواع الأدب الأخرى، وبالعالم الأهمية لإصلاح سلوك المجتمعات ومعالجة قضاياها. ومع هذا أنها من ملازمات العصر الحديث بحيث انتشار محطات البث المرئي والمسموع التي تعرض مختلف أشكال الدراما بالإضافة الى السينما يتعين أن يكون هناك عدد ضخم من كتاب القصة القصيرة. ومعظم القاصين يعتمدون بكتابتها على قراءة أعمال السابقين، ولكن حاجة مهمة لهم مطالعة أصول هذا الفن وقواعده الأساسية ومع ذلك أن الكتب التي تعالجها ندرة مقارنة الى غيرها من الفنون. ويشوب الجدل والاحتدام حول قضايا الشكل والمضمون والبناء القصصي والسرد والحوار والصدق الواقعي وغيرها من مقومات هذا القصة القصيرة، فلزام على من يحب القصة القصيرة أن يحاول لتطور القواعد الأساسية لهذا الفن الجديد.

المصادر والمراجع :

١. د.أحمد إبراهيم رحمه الله، الأدب والنقد عند العرب، مكتبة الهدى، كاليكوت ٢٠٠٥ م
٢. د.رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الانجلوالمصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م
٣. د. سيد حامد النساج، اتجاهات القصة المصرية القصيرة، دار المعارف، القاهرة
٤. د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ م
٥. فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، منتدى سور الأثرية ٢٠٠٢ م
٦. <https://weziwezi.com>
٧. <https://mawdoo3.com>
٨. www.almaany.com



الأدب العربي والنقد الحديث عند الاستاذ احمد ابراهيم رحمة الله

الدكتور/ عبد المجيد أ. أي

الملخص:

الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله كاتب ومفكر وناقد أدبي. وهو صاحب افكار مستقلة قائمة على الرسالة الاسلام السمحة. ولد الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله سنة ١٩٥١ م في قرية بارينغادي في مقاطعة ملايرم كيرالا الهند. كان والده عبد الرحمن كوتي موظفا في الحكومة المركزية. كانت امه ربة البيت. الاستاذ رحمة الله تلقى علومه الأساسية من أمه. وبعد الدراسة الابتدائية والثانوية التحق بكلية فاروق ودرس فيها إلى تخرج بالمجستير في اللغة العربية سنة ١٩٧٣ م. وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كاليكوت. وكان موضوع بحثه «تطور النقد الأدبي العربي في العصر الحديث: دراسة عن مناهجه واتجاهاته». كان محاضرا في كلية فاروق. وبعد ذلك عين محاضرا في قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت. ثم صار رئيسا في قسم اللغة العربية في جامعة كاليكوت. وتقاعد منها. أشرف على العديد من رسائل الماجستير ويشرف على الدكتوراه. وقد خدم الدكتور رحمة الله في معاهد العربية في شتى أنحاء العالم مثل زامبيا ونيجيريا ودولة قطر والمملكة العربية السعودية في الخليج وغيرها. واهم ما يتميز به الدكتور رحمة الله وضوح الرؤية ووفرة الطموح وقوة العزم. لقد ساهم الأستاذ رحمة الله مساهمة لا مثيل لها في تطوير مناهج تدريس اللغة العربية وادائها في الجامعات. والتقى بالادباء من شتى دول العربية والإسلامية وتناقش معهم. واشترك مئات من المؤتمرات والندوات الدولية والوطنية داخل الهند وخارجه. وشارك في حفلة افتتاح مكتبة بابطين للشعر العربي في الكويت وفي الندوة العالمية عقدتها المجلة الكويتية «العربي» وكم من الندوات والورشات عمل التي استضافتها قسم اللغة العربية تحت إشرافه ورئاسته. مثل الندوة الدولية على مساهمة الهند الادب العربي. وحاز على جائزة فخامة الرئيس الهند لمساهمته الشاملة للغة العربية. يكتب اشرف ابو يزيد^٢ عن الأستاذ رحمة الله: وفي كل مكان حل فيه الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله وجد قلبا محبا واذنا صاغية وقارنا شغوفاً هي ثمار رحلة دؤوبة تابع فيها الباحث النشط والاكاديمي والخلوق الطريق العلمي، فمهد الباحثين في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت كيرالا دروبا وافاقا مثلما أفاض عليهم من علمه فبث فيهم حب اللغة العربية.»

١ استاذ مساعد كلية الانصار العربية ولونور
٢ اديب مصري ومحرر مجلة العربي دولة الكويت

انتاجاته الأدبية

الدكتور دائما يهتم بكتابة حسب مقتضى الحال. الطلاب والباحثون كانوا يعتمدون على كتاب احمد امين في النقد الأدبي العربي. فلما فهم الدكتور رحمة الله هذا النقص كتب كتابا في النقد باسم، ومضات على النقد الحديث. وكتاب اخر باسم الادب والنقد عند العرب. وبعد، قدم الدكتور رحمة الله كتابه الاخر باسم تيسير الاطلاع في الأدب والنقد يتضمن مقالات أدبية. جمع الدكتور بعض الاقاصيص من مجلات مختلفة. ويضيف إليها مسرحية شمس النهار لتوفيق الحكيم. وهي مسرحية صغيرة لكن ممتعة وسهلة. كتب كتابا باسم العربية في المواقف الحديثة. وله كتاب باسم العربية للتجارة. كتابه رحلة إلى الغد يتضمن مقالات أدبية.

دراسة تحليلية عن كتاب الادب والنقد عند العرب

الادب والنقد عند العرب ل احمد ابراهيم رحمة الله كتاب شامل وجامع في فن النقد الادبي العربي الحديث. هذه المحاولة تسهل دراسة النقد الأدبي في الجامعات والكليات. توجد كتب كثيرة في هذا الفن لكن الأساليب المعقدة تبعد وتنفر القراء. الادب والنقد عند العرب يتضمن سبعة ابواب وهي مبادئ النقد الادبي الحديث والنقد الأدبي في العربية الحديثة والنقد التطبيقي العربية وتعارف النقاد والنقاد من المحدثين والحركات الحديثة في الأدب العربي والادب والنقد في المنظور الإسلامي. وفي الباب الاول الكاتب يناقش عن مفهوم اللغة والأدب وكلمة النقد لغة واصطلاحا. المؤلف يكتب: «اللغة فهي الوسيلة لتعبير ما لدى الإنسان من الأفكار والآراء العقلية وما لديه من مشاهير الافراح والأحزان بواسطة الألفاظ والكلمات في احسن تنسيقها وترتيبها»^١ وفي هذا الباب الأستاذ رحمة الله يحلل كلمة الادب بدقة وعمق مستدلا بالاقوال الأدباء والنقاد. يكتب المؤلف عن الادب الرفيع: «الادب الرفيع يتطلب التجربة الواسعة من جميع انواعها من التجارب الشخصية والتجارب التاريخية والتجارب الأسطورية والتجربة الاجتماعية فيصير الادب اكثر ممتعا وأعظم صدقا»^٢.

هذا الباب يناقش من جديد عن الذوق الأدبي والمناهج والنظريات الحديثة في النقد. ثم يدخل الى عناصر الادب ويناقش العاطفة والخيال والاسلوب والمعنى بشكل جامع. و يبحث عن انواع الشعر واهم الفروق بين الشعر والنثر. وهو يؤكد ويعتمد على تعريف وردس ورت^٣ للشعر: «الشعر فيضان من شعور قوي نبع من عواطف تجمعت في هدوء»^٤ و يبحث نشأة الصحافة وتطورها ويلقى الضوء على الجرائد العربية قديمة وجديدة. ولا يترك فيه نثر الإذاعة. الباب الاول من كتاب الادب والنقد عند العرب يناقش أهمية الرواية في الأدب العربي الحديث وعن عناصر الرواية. الكاتب يؤكد على النقطة: أن الرواية اول ما تهتم بالحياة يستطيع الروائي للنقد الحياة عبر سطره واشخاصه. وبعد، يعالج فيه الدراما والقصة والاقصوصة. مناقشة عن الادب وفلسفة الحياة تؤدي إلى أفكار جديدة تجاه الحياة. وفي الصفحات الأخيرة من هذا الباب يكتب المؤلف عن المؤهلات للنقاد ومشكلة تقدير

١ الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله- الادب والنقد عند العرب- ص ١٢ الطبعة الثانية مكتبة الهدى ١٣ ٢٠

٢ الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله- الادب والنقد عند العرب- ص ١٥ الطبعة الثانية مكتبة الهدى ١٣ ٢٠

٣ wordsworth

٤ Poetry is the spontaneous overflow of powerful feelings and imotion s recollected in tranquility

الادب والاختلافات في القائمة بين الأحكام الشخصية. المدارس الأدبية الحديثة فصل علمي يتضمن الباب الاول من كتاب الادب والنقد عند العرب. يعالج الكلاسيكية والرومانيزمية والكلاسيكية الحديثة الواقعية والطبيعية و الأخلاقية والرمزية. تعريف الفن للفن موضوع نقاش حار في هذا الكتاب.

النقد الأدبي في العربية الحديثة هذا هو عنوان الباب الثاني. يبحث هذا الباب عن مزايا اللغة العربية. والاشتقاق والنضوج. ويناقش إسهامات النقاد القدماء. النقد التطبيقي في العربية موضوع آخر الذي يناقش هذا الباب. يتضمن هذا الباب عددا من المقالات النقدية. مثل مقالة عودة الله منيع القيسي و سامح كريم. يكتب سامح كريم في مقالة فنان تعادلية الدين والحياة لتوفيق الحكيم: «ليس غريبا أن يكون توفيق الحكيم أول عربي مسلم يتصدى للدفاع عن الإسلام ونبى الاسلام ضد افتراءات، مواتير، بنفس بطريقة التناول التي تتبعها هذا المفكر الفرنسي في الكتابة عن النبي الكريم وهو العمل المسرحي»^١ يتضمن هذا الباب مقالة د. رجاء عيد باسم الايمان بين العلم والدين وعباس محمود عقاد وانو الجندي ود. شوقي ضيف وسينا البيسي ود. نصر محمد ابراهيم عباس. تعارف النقاد باب آخر من أبواب كتاب الادب والنقد عند العرب. يتضمن هذا الباب فصلين رئيسيين. هما النقاد من السابقين والنقاد من المحدثين. هذه الدراسة عن النقاد تشير إلى عمق بحث الكاتب. المؤلف يذكر أولا انتجات نقدية من النقاد السابقين. ومنهم ابن سلام الجمحي وابن قتيبة وعبد الله بن المعتز وقدامة بن جعفر وابن رشيق القيرواني وابو هلال العسكري وابن الأثير والجاحظ وعبد القاه. والجرجاني. ولكثيهم مكانة مرموقة في تاريخ النقد العربي.

يذكر المؤلف تحت عنوان النقاد من المحدثين كل من د. طه حسين، إبراهيم عبد القادر المازني وأحمد امين، وسيد قطب وأحمد احمد وبدويوي طبانة وأحمد شايب ومحمد غنيمي هلال وعمر الدسوقي ومحمد منذور وتوفيق الحكيم وعبد المنعم خفاجي وانور الجندي وسامح كريم وشوقي ضيف، هؤلاء النقاد والأدباء كانوا نجوما في أفق الادب العربي والنقد. الحركات الحديثة في الأدب العربي باب آخر. يناقش فيه عن المدارس الفكرية والأدبية. مثل الديوان، جماعة ابولوا، الرابطة القلمية، العصبة الأندلسية، الحركات المذكورة تأثرت على تطور الادب العربي والفن النقد.

الادب والنقد في المنظور الإسلامي

وفي هذا الباب المؤلف يؤكد على موقفه الجريئة نحو الادب والنقد في العصر الحديث. وهو يقف في المنصة الإسلامية العالية. ما هو الادب في منظور إسلام؟ يطرح هذا السؤال ويجيب. المؤلف يكتب عن أسس جمال الادب الإسلامي. ويستدل بها الآيات القرآنية. المؤلف يبين وجهة نظره عن الادب الاسلامي. يتساءل الناس هل هناك أدب إسلامي. ويضعون معادلة صعبة حين يقولون وهل ما عدا الأدب الإسلامي أدب كافر؟ ولهؤلاء نقول إن تاريخ الأدب العالمي قد عرف ما سمي بالأدب الوجودي من خلال الروايات التي كتبها الفيلسوف سارتر وفي أدب العربي بعض روايات أنيس منصور، وكذلك عرف التاريخ الأدب الاشتراكي من خلال منظريه المنتشرين

١ سامح كريم -افكار اسلامية- الدار المصرية ١٩٩٩ م

في أرجاء العالم. وعرف التاريخ أنواعاً أخرى من الأدب التي تدعو إلى فكر معين. ذلك لأن الأدب بشقّيه ضروري: رواية، شعر، نقد.. الخ يعتبر من أهم وسائل نقل الفكرة وتوصيلها إلى أكبر عدد من الناس على اختلاف ميولهم وأذواقهم ولا شك أن الإسلام من أرسخ العقائد في النفوس لأنه دين الفطرة فلماذا لا يكون هنالك أدب يدعو إلى هذه الفكرة دون أن يخلطها بغيرها من الأفكار.

يخطئ الكثيرون حين يفهمون أن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يتحدث عن الميراث ويتكلم عن مصارف الزكاة ونحو ذلك من أمور الفقه أو حين يفهمون أنه هو الأدب الذي يلعن شارب الخمر ويشتم مدمني المخدرات ويسب المتبرجات، ولا يدرون أن خارطة الأدب الإسلامي أكبر وأوسع من ذلك بكثير وأن ميدانها فسيح رحيب يسع الدنيا والآخرة ويشمل الحياة بشقّي مجلاتها، فالأدب الإسلامي يتحدث عن الطبيعة ولا يفهم الطبيعة على أنها القمر والبحر والشاطئ بل كما قال الأديب معاوية محمد نور^١ «ففي الطبيعة خلاف الشواطئ التي وقفت عندها سفن البحارة، أشياء أخرى أرق، وربما كانت الصق وأجدر بالفتات الشاعر فالحجر الصلد الذي يقف في طريقك والشارع الذي تصقله مصلحة التنظيم حيث يعمل جماعة المهندسين والفار الهارب من سفينة خربة والذباب الذي يطن على جيفة وقطعة الحديد التي أكلها الصدا والخشب الذي نأكل عليه والزرع الذي نلّسه ثياباً، والعصفور الوحيد الذي ينتقل من بيت لآخر، والنمل والنحل وصوت الباخرة وضجيج الترام وخلافها من الأجزاء الحية في الطبيعة، الالتفات إليها أدل على فهم

الطبيعة من آلاف القصائد عن البحر والشفق والنجوم»^٢. والأدب الإسلامي عميق عمق النفس البشرية لذلك يتحدث عنها بخيرها وشرها يدعو إلى الخير.. ويحارب الشر، يعاضد الصالح ويهدي الطالح. فالأدب الإسلامي يتخفى خلف شخصية المؤمن التقي كما يتخفى خلف شخصية الفاجر العصي، الأولى ليؤيد نهجها، ويدعم صفها، والثانية ليقوي ضعفها ويبين خطرها أو ليعرض مشكلتها أو ليحلل أسباب وجودها.

مميزات الأدب الإسلامي: يتميز الأدب الإسلامي عن غيره بأنه:

أدب رسالي: فالأديب المسلم يعلم أنه صاحب رسالة، وطالب غاية، ولا يؤمن بالمقولة الشائعة الأدب لأجل الأدب وإنما الأدب وما للأدب لله ولهذا تنتفي عنه الإباحية ومسايرة الأهواء. وأدب إنساني: إذ أن محور خطابه هو الإنسان روحاً وعقلاً، فكراً وعاطفة، لذلك يعمل الأدب الإسلامي على انتقاء المواقف التي تنمي رصيد الفكر الإنساني البناء.

أدب شمولي: إذ أنه لا يحده قالب من قوالب الأدب المعروفة في القصة أو الشعر أو غيرها وإنما يخوض كل الفنون الأدبية لذلك لم يقف الشعر الإسلامي عند أوزان الخليل^٣. فحسب وإنما اقتحم ما يسمى بشعر التفعيلة وفي

١ معاوية محمد نور قاص وباحث وصحفي وناقد أدبي سوداني يعتبر من رواد القصة في السودان.
٢ أصدقاني الشعراء: هذا لا يؤدي - معاوية محمد نور - مجلة الرسالة العدد ٦٧/٦٨ - ١٥ و ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٤م - نقلاً عن من أثار معاوية محمد نور - جمع د. الطاهر محمد علي البشير - الدار السودانية للطباعة الأولى ١٩٧٠م - ص ٢٥٧.
٣ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي

مجال القصة اخترق مجال التاريخ والواقع المعاصر والخيال المبدع والتجارب الشخصية والعقل الباطن وغيرها من مصادر التجارب الإنسانية وكذلك فالأدب الإسلامي لا تحده مدرسة من مدارس الأدب كلاسيكية كانت أو رمزية أو واقعية بل يضرب في كل غنيمة بسهم ولا يعني هذا أن يتخلى عن الأساس الذي يجعل الأدب أدبا.

أدب عالمي: فالأدب الإسلامي عالمي المنزع والوجهة، يعمل على تقريب الفوارق بين بني الإنسان، ويسعى لمخاطبة كل الجماعات البشرية. أدب متنوع: ذلك أن الأدب الإسلامي يتنوع تنوعاً يروي ظمأ الروحانيين. ويشفي غلة المفكرين. ويستوعب طاقة الرياضيين. يسد حاجة الفقراء. ويرضي تطلعات الأغنياء، يخاطب الروح والعقل والجوارح. يجتذب الشعراء والأدباء والتشكيليين ويبين مظاهر الجمال والزينة في أرجاء الكون. إذ أن خالق الكون جميل يحب الجمال. خلق فأحسن. وصور فأبدع. وقدر فهدى. كما لا يغفل الأدب الإسلامي العلماء والأكاديميين والمشاكل المعاصرة. أدب وسطي: ذلك أن الأدب الإسلامي يراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، بين الحقوق والواجبات، بين الفردية والجماعية. وأدب إيجابي: لأنه يعرف دوره في الوجود ويرى الإسلام منهج حياة، يلخص المؤلف هذه النقاط المهمة في الباب الأخير. المؤلف يعبر وجهة نظره: أما الادب الاسلامي فهو الادب الملتزم بالإسلام ومهمته عظيمة ومسؤولياته كبيرة مع أنه واجب علينا ان نقدم صورة جديدة لأدب كله وليس الادب الذي يبين القرآن الكريم وتفسيره أو الأحاديث الشريفة أو التعاليم الإسلامية فقط. لان القرآن ينظر إلى جميع جوانب حياة البشر كوحدة مجتمعة واحدة لا يتجزأ جانب عن جانب^١.

الخاتمة

الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله يركز على هذه النقطة: فما هو دور الاديب الذي يؤمن بالله والآخرة. فمهمته الاثبات للعالم انه صاحب رسالة حق لا باطل فيها و أن العالم كله يحتاج إلى هذه الرسالة لتنسيق الامور فيه ولتنظيم الحياة فيه ولتنقية المجتمع الإنساني من الشرور والظلم وعدم العدالة و لإنقاذهم من الكابوس الخطير عن هبوطهم الاخير. ومهمته كذلك تنقية الادب من الأفكار الفائدة ومن العواطف الضالة من العصبية الجاهلية^٢.

المصادر والمراجع

١. ابن قتيبة - الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م
٢. د/ احمد ابراهيم رحمة الله- الادب والنقد عند العرب- الطبعة الثانية مكتبة الهدى ٢٠١٣
٣. د/ محمد عب.د الحي، معاوية نور ونقد الرومانتيكيين العرب في الثلاثينات مجلة الدوحة، السنة الرابعة العدد ٤٠، أبريل ١٩٧٩م
٤. محمد منذور- النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، مصر، ١٩٩٦م
٥. معاوية محمد نور -أصدقائي الشعراء: هذا لا يؤدي مجلة الرسالة العدد ٦٨/٦٧ - ١٥ و ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٤م
٦. مجلة كاليكوت المجلد الثاني العدد الرابع ٢٠١٢

١ الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله- الادب والنقد عند العرب- ص ٩ الطبعة الثانية مكتبة الهدى ٢٠١٣
٢ الدكتور احمد ابراهيم رحمة الله- الادب والنقد عند العرب- ص ٧ الطبعة الثانية مكتبة الهدى ٢٠١٣

الأدبيات وخصائصها لسلطان القاسمي في كتابة التاريخ

السيد/جمشير بي. كي^١

الدكتور/ محمد عابد. يو. بي^٢

الملخص:

أن الأدب العربي قد شهد اتساعا كبيرا في العصر المعاصر. تعددت فنونه وأعراضه وتنوعت أساليبه وأجناسه حتى أصبح الأدب مزدهرا وملتزما بقيم الأمة وشملها. ورافعا مستوى الشعب ومكانته. الكاتب الأديب المؤرخ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي شخصية متميزة من سائر الحكام في العالم العربي، صاحب مؤلفات ضخمة وابداعات متميزة في الأدب العربي والتاريخ والجغرافيا، أول حاكم ذوا سيرة ذاتية تاريخية مسجلة في المجلد الكبير، حاكم شغوف بالفن والأدب والثقافة.

أدبيات سلطان القاسمي

يتميز شيخ القاسمي بكونه صاحب الإبداعات والمؤلفات العلمية التاريخية المكثفة بمعلومات نادرة وبحوث عميقة على الإطلاق. كما يوصف بأنه رجل الأدب والتاريخ والثقافة، هو لا يزال يكرس جهوده ومساعيه في دوحة الأدب وأوساط التاريخ والتراث. قد صدرت له زمرة من الكتب في مجالات متنوعة. تتنوع مؤلفاته الرائعة إلى أنواع ثلاثة عموما. الأول المؤلفات التاريخية والثاني المؤلفات الأدبية والثالث المؤلفات المسرحية. إلى جانب إسهامات الدكتور سلطان بن محمد القاسمي في توثيق التاريخ العربي، يوجد لديه اهتمام وافر وعناية عظيمة بالكتابة الأدبية والإبداعية. وفي رصيده الأدبي صدر كتاب عديدة زاهية بالروعة والدقة والرفعة. هو بلا شك أديب متبحر تجل بالقصائد والروايات والمسرحيات المزخرفة بأسرار التاريخ والثقافة. وقد عرفت ونالت اعمال الدكتور الأدبية قبولا عظيما بين فئات عريضة من المهتمين والباحثين والأكاديمين والطلاب، وذلك بما فيها من تميز لغوي ومضمون عذب وأسلوب السرد الرهين وجمعه بين الفكر والثقافة والعلم والمعرفة.

الأعمال الأدبية للدكتور سلطان القاسمي نموذجا

١. عبد الله هو الذي بطل هذه الرواية ويبدأ سرد قصة منذ العام ١٨٠٠ م. هذه الرواية قد ترجمت الى كثير من اللغات الشهيرة لما تحتوي من خيال رائع وحكمة ممتازة.^٣

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٣ أ.د. شاسنكانت. دي، كارنيل. سلطان قائد حقيقي في زماننا. منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٤ م، ص ٤١.

٢. الأمير الثائر: يكتفى هذا بقول الدكتور نفسه تعريفا لهذه الرواية، وهو يقول في مقدمة هذا الكتاب «أن قصّة الأمير الثائر قصّة حقيقية. كل ما جاء فيها من أحداث وأسماء وشخصيات ومواقع موثوقة توثيقا صحيحا، ولا يوجد فيها أي نوع من نسخ الخيال أو زخرف الكلام. يستلهم الكاتب نصه الروائي في قالب قصّة رائعة حول حياة وكفاح وموت أمير عربي ثائر، هو الأمير مهنا الذي تمكن له أن يهزم أقوى الّول مع رفاقه.^١ ٣. نسيج الوداع: هي مجموعة من القصائد الأخيرة للشيخ سلطان ن صقر بن خالد القاسمي، التي جمعها وحققها الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. كان صقر القاسمي حاكم الشارقة في الفترة من عام ١٩٢٤م - ١٩٥١م.^٢

٤. فرائد البيان: تندرج هذه النخبة المختارة من خطب وكلمات وأحاديث، عبر سنين من معاشة لمتغيرات وظروف زلزلت العالم، مروراً من الشأن المحلي الإماراتي، إلى المحيط الخليجي، فالعربي، فالدولي وذلك أن المشاغل متداخلة متشابكة، متكاملة، من منظور إستراتيجي، فكري، سياسي، ثقافي، حضاري، يسعى إلى أنسنة والى بناء منظومة تعاونية عالمية،

خصائص الكتابة التاريخية

ليس سرّاً أن الدكتور سلطان القاسمي اعتمد في كتابته تاريخ المنطقة على منهج متميز، وعبر فيه وبه بأدواته الخاصّة. يبين الدكتور مني بو نعامة في كتابة عن اسلوب الدكتور وخصائصه «أن الدكتور سلطان بن محمد القاسمي له أسلوب خاصّة في تأليفه جم الفائدة، شريف الغاية، صحب المرات والدراية. يدور في الرصد والتدقيق والمقارنة والتحقيق في الأحداث المعروضة والوقائع المرفوعة والمخفوضة، وأبان فيها عن منهج واضح المعالم، قائم على متركزات قويمّة، أضفت على قراءته واستقرائه بعدا تاريخيا وتحليليا، يبحث في التعليل والتفسير متسلحا بعده المؤرّخ وعتاد المنهج، ومتّشحا بالصدق والحياد، وأرّخ في أعماله التاريخية لتحوّلات البني السياسية والثقافية والإقتصادية والإجتماعية في منطقة الخليج العربي بعامة والإمارات العربية بخاصّة. وذلك ما تحبل إليه عناوين المدوّنة التاريخية، التي ألّفها وأتحف بها المكتبة العربية، التي كانت إلى أمد قريب خلوا من مثل هذه المعارف الثمينة وتلك الأحداث الجسيمة العظيمة. أما الخصائص والسمات الفارقة التي بنيت عليها الكتابة التاريخية وأسست. فهي خصائص لا نعالي إذا قلنا إنها لا تقل أهمية. من الناحية العلمية والمعرفية. عمّا اعتمده كبار المؤرّخين العرب في كتاباتهم في القرون

الأخيرة. من قواعد ومعابير صادمة في الكتابة. تتوخى الحذر، وتبعد عن الهذر، صونا للنص التاريخي من التشويه والتشويش، كما تلتزم الحياد والموضوعية، وتنشد الصدق.

ويمكننا إجمال أبرز الخصائص التي يمكن استخلاصها من كتابات أدبي سلطان القاسمي في النقاط

التالية:

١ د. سلطان بن محمد القاسمي، الأمير الثائر، منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠١٢م، ص. ٢
٢ الموقع الخاص لصاحب الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، أعماله

- (١) التنوع والشمول
- (٢) الدقة والتمحيص
- (٣) التسلسل الزمني والموضوعاتي
- (٤) البعد العربي القومي.

التنوع والشمول

يشير الكاتب بوقامة «من الصعب بمكان، ان يقرّر كاتب أو باحث، أن يخوض غمار البحث والدّراسة والتمحيص في تاريخ إشكاليّ عويص، أخرى أن يكون ذلك الباحث منشغلاً بالسياسة والحكم، مما يزيد مضاعفة صعوبة المهمة عليه، فتشغل كاهله، لكننا إذا تفحصنا سيرة مؤرخنا ومسيرته العلمية والمعرفية التي أوردنا ملامح منها، ذلك أن مؤرخنا يتمتع بدائقة أدبية رفيعة وحتى تاريخي مرهف - كما تقدم - حفزه ودفعه إلى كتابة تاريخ بلده وأهله ووطنه. غيرة عليه، وخشية أن تطاله أيادي الضياع والنسيان، فبذهب أدراج الرياح. «هذه الغاية النبيلة والرغبة العارمة، يفصح عنهما سلطان القاسمي في مقدمة كتابة سرد الذات حينما يقول: «كتبت هذا الكتاب لأوثق فيه تاريخ أهلي وبلدي، في تسعة وعشرين عاماً، بعدما أزلت منه الغث أو ما اختلط به»^١. كما يجسدهما في أعماله، ويصرّح بهما في لقاءاته وحواراته الثقافية والفكرية متى ما عنّ له ذلك.

وإذا تفحصنا هذا القول، فإننا نلاحظ أن الغاية من الكتابة التاريخية في نظر مؤرخنا ورؤيته، لا تمكن في تقديس حدث أو بمجيد حقبة، بقدر ما هي نابعة من رغبته الجامحة في التوثيق ثمّ التمهّص والتدقيق، فليس كلّ ما يروي ويحكى يكتب أو صالحاً للكتابة، حتى تتمّ تنقيته من الشوائب والدسائس والتزييف، ليكون تاريخاً صحيحاً قابلاً للقراءة والتداول. فلذا نرى كتاباته الاجنبية بالدليل والبرهان بعيداً عن العواطف والحساسيات.^٢

الدقة والتمحيص

اتسمت كتابات الكاتب بالدقة في الرصد والسرد والعرض، ساعياً إلى تمحيص الأخبار، وتدقيق الوقائع، وتنقيتها ممّا علق بها من شوائب ودسائس، وهو صحّح بعض الأخبار من تشويه أو تزييف ومن جعلها ما ذكر عن البحار أحمد ماجد أنه هو من دلّ البرتغاليين إلى الهند، وقد أفرد الكاتب دراسة خاصّة، بيّن فيها مجانية ذلك للحق وبعده عن الصواب، وبرّاً فيها ابن ماجد ممّا اتهم به، مستظهراً بما حوته الوثائق التاريخية التي تعود إلى تلك المرحلة. كتب الكاتب سلطان بن محمد القاسمي مدوّنته التاريخية في مراحل مختلفة، إلّا أن ذلك لم يحل دون متابعتها وتناسقها زميناً وموضوعاتياً.

البعد العربي القومي: من يقرأ أعمال القاسمي، يكتشف ذلك البعد العربي القومي الأصيل، الذي تجدر في وعيه، واستقرّ في خلدّه. ووجه رؤيته وتفكيره منذ أن كان في المهيد صبيّاً، وتتجلّى مظاهر ذلك الوعي ومعالجه الرئيسية، في ما كتبه عن القضايا العربية الكبرى، التي شغلت باله، وحازت جزء كبيراً من تفكيره.

١ الدكتور منّي بو نعمة، مؤرّخ العصر، مقارنة في مرتكزات الكتابة التاريخية عند سلطان القاسمي، معهد الشارقة للتراث، ٢٠١٦م. ص ٢١٠.

٢ سلطان محمد القاسمي: سرد الذات. منشورات القاسمي، الشارقة، ٢٠٠٩م، ص ٥

الخاتمة

كشف النقاب عن مرتكزات الكتابة التاريخية عند سلطان القاسمي، وأوضح مصامين الأعمال التاريخية وما اشتملت عليه من قضايا وموضوعات. وأتأكدت كتابات القاسمي على المنهج التاريخي الرحيم، والبحث العلمي الأصيل، والنقل الأمين، مضيفاً إلى رؤيته النقدية التاريخية الذاتية والأدبية الأصلية إلى قراءته للمصادر التاريخية.

المصادر والمراجع

١. أحمد الشربين. سلطان بن محمد القاسمي أمير من هذا الزمان. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. مطبعة المدني. القاهرة. ٢٠١٠م.
٢. القاسمي، سلطان بن محمد. الحقد الدفين. مركز الشارقة للإبداع العربي، الشارقة الطبعة الأولى. ٢٠٠٤م.
٣. القاسمي، سلطان بن محمد. حديث الذاكرة. الجزء الثالث. منشورات القاسمي. الشارقة. دولة الإمارات العربية المتحدة. ٢٠١٣. ISBN ٩٧٨-٩٩٤٨-١٦-٣
٤. القاسمي، سلطان بن محمد. سرد الذات. منشورات القاسمي. الشارقة. دولة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الخامسة. ٢٠١٢. الشارقة ISBN ٩٧٨-٩٩٤٨-١٦-٨٥١
٥. القاسمي، سلطان بن محمد. بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد. مداد، الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٦. بونعام، مكي. مؤرخ العصر مقارنة في مرتكزات الكتابة التاريخية عند سلطان القاسمي، إصدارات معهد الشارقة للتراث. ٢٠١٦. الشارقة. ISBN ٩٧٨-٩٩٤٨-٠٢-٢٦٨
٧. مجلة الصباح للبحوث. مجلة بحثية محكمة منوية. المجلد ١ يناير ٢٠١٦، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها، كلية فاروق (حكم ذاتي) كيرالا. الهند
٨. مجلة كالكوت. ٧(٣) سبتمبر ٢٠١٧م. قسم اللغة العربية بجامعة كالكوت. ISSN ٢٢٧٨-٧٦٤X
٩. <http://sheikhdrsultan.ae/portal/en/home.aspx>



نشر الرسائل الجامعية- الأصول والمبادئ

السيد/محمد شاه بن عبد الحي^١

الملخص:

يعتبر معظم الرسائل الجامعية ذات صفات قيمة لا تصلح لنشرها الي شكل الكتب التي تنتفع جمهوره الناس بها خارج نطاق الجامعة إلا اذا اعتدلت فيها بعض التعديلات القيمة والتقلبات المفيدة والمراجعات النافعة. نشر الكتاب لم تعد مسألة أكاديمية قط وإنه أصبح عمل تجاري منذ سنوات. و إضافة الي ذلك هناك تطورات ذات ابعاد كبيرة شهدت في ميدان التجارة النشورية. ان مشروع نشر الكتاب قد أصبح من احتياجات الظروف الموجودة من حين الي حين في الأسواق الدولية اكثر مما هو من تسائلات الناشر كما هو في الماضي. و يتقدر أي كتاب من حيث مقدرة محتوياته لمقابلة متطلبات الحوائج العصرية والمعاصرة للقراء.

هناك عدة خطوات مهمة وقضايا عظيمة في سبيل نشر الأطروحة الجامعية الي كتاب مفيد للقارئ والكاتب والناشر جميعا سواء كان المادية و المعنوية. و خطواته تبدأ من اختيار الناشر حتي تفاوض عقد النشر والعمل مع قسم التسويق للناشر. وبين هتين المرحلتين هناك خطوات عدة من تعديل الأطروحة في شكل الكتاب أو في شكل بعض المقالات واستعداد مشروع التحول من الأطروحة الي الكتاب وتقديمه حتي تكوين المراجعات الكافية والإيجابية ما قبل النشر وتفاوض عقد النشر.

التحولات الجديدة في عالم النشر الأكاديمي

قد تحول عالم النشر الأكاديمي بتحولات سريعة منذ بضع سنين وتغيرت ادارة العالم العلمي بالمتطورات الثورية. ان قواعد حقوق التأليف لم تكتفي بحفاظة تسويق الكتب الأكاديمية. ان تطورات عظيمة في ادارة المعلومات منذ ثلاثين سنوات قد غيرت عقلية نشر الكتب الأكاديمية من وجه استخدام حاسوب شخصي وحيد في مكتبة ما او الساعات المطولة المتعبة المبدولة في مكتبة الجامعة حيث تبحث المراجع التي كانت موجودة منذ سنين الي لقاء عالم المعلومات الجادة الراحنة لها ذات اهمية بالغة معاصرة من مختلف اوجه المراجع^٢.

في حين لما أدرك المجتمع ثمة التغيرات التي حدثت في هذا السبيل، إنه أثار اتفاق الرأي الجماعي علي وفاة الكتاب^٣ منذ الثمانينات من القرن العشرين الا ان فيها شيء من المبالغة كما لم يكن شاذا في مثل هذه

١ الأستاذ المساعد في العربية ، كلية آتغل الحكومية

٢ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتور- مطبعة سيج ، نيودلبي - الهند ٢٠٠٩. ص ٢

٣ نفس المرجع . الباحث لا يتفق علي رأي المؤلف بأنه هناك اتفاق جمهوره العلماء علي وفاة الكتاب حيث انه تصريح يحمل شيء من المبالغة.

التقارير التي تجعل التنبؤات حول مستقبل النشر، فتتصور عالما ولن يعد الكتاب فيه شكلا مركزيا أو شكلا مهيمنًا، بل يكون أحد الأشكال المختلفة التي تتقدم عبرها المحتويات العلمية. فإن تعددية الأشكال والتنسيقات المختلفة لنشر المعلومات خارج نطاق الكتاب الذي كان هو الشكل الأول الوحيد من قبل، قد أدت إلى تكوين هذا الميدان ميدانا تجاريا أكثر مما كان هو ميدانا أكاديميا خالصا. هناك شركات كبيرة تستثمر مبالغ ضخمة في هذا الحقل الجديد و تنجب أرباح عظيمة من جانب وهناك بعض المنشورات الجامعية التقليدية تضع الكتب القيمة بالعناية من جانب آخر. أما الكتب المنتجة من قبل الصناعة تتلقى القبول الواسع أحسن من الكتب من قبل المنشورات الجامعية. وهنا نلاحظ مدي حجم الانتاج التجاري الذي يسوق إلى تحويل ثقافة النشر التقليدي إلى ثقافة النشر المعاصر. وتتولد تسائلات عديدة من هذا الأمر الوحيد في وسعة المؤسسات للنشر. ان عرض المعلومات والافكار ونشرهما وكيفية الوصول اليهما والتنظيم بها، تحولت تماما بتطورات النشر الإلكتروني (E-Publishing) و خاصة بظهور انترنت.

ولقد توسعت طرق جديدة متنوعة في تقديم المواد الأكاديمية أمثال المجلات الإلكترونية (E-journals) والدوريات على الإنترنت ومراكز الموارد عبر الإنترنت. وجميعها متوفرة للقارئ حسب اشتراك شخصي أو باشتراك معي و يمكن اشتراء المواد الأكاديمية في صورة الكترونية أو في صورة عادية مادية حتى ولو بحجم قصير أو بضع الصفحات فقط فلا ضرورة شراء الكتاب كاملا. على سبيل المثال هكذا نجد فرصة في شراء Amazon Paper . وبحجم العظيم نجد Google Print library وما إلى ذلك. إنها وسعت مجالها بإحدى المشاريع لديها في ترقية نصوص الكتب المتوفرة عندها. و حتي «أعلنت شركة مايكروسوفت اشتراكها الاستراتيجية بالكتب البريطانية في ترقية ٢٥ مليار كتابا غير محفوظة تحت حقوق النشر»^١، وتوفرها جميعا للقراء لرسوم دارجة وحدها. وكذلك تستثمر بعض المكتبات البحثية الغنية في العالم ملايين من الدولارات في تطوير المكتبات الافتراضية (Virtual libraries)^٢.

ان التخويف من قبل الشركات مثلها من حيث انها متوفرة المعلومات، لم يكن محدودا في نطاق مقصور فحسب بل كان منتشرا في جميع مناحي المعلومات في العصر الراحن لأن العوامل هذه تنتشر ولم يمتنع، سوف يفقد هذا الاعتدال بين شكل النشر التقليدي و الأشكال المتطورة. و في هذا التفقد التطور هناك نفع و خسارة معا. أما النفع هو زيادة اختيار القارئ و تخفيض الرسوم للكتب. وأما الضرر على المدى البعيد هو هيمنة بعض الشركات الكبيرة أو المؤسسات التجارية الكبيرة في هذا الميدان على المعلومات اجماليًا و على جميع الوسائل إليها عالميا. فنتيجتها هيمنة عدد قليل من التجار على تعريف المعلومات وتوليدها وتطورها ونشرها والقبض عليها. إن هذه التحديات من جانب اسواق جديدة للنشر تنتج إلى ديمقراطية التعليم والتعلم، من حيث أنها قد قصرت أو كسرت المصافاة بين الطالب والمعاهد العلمية و التعليمية من بعيد. وأنتجت هذه التطورات في هذا المجال أيضا

١ جون تومسون: العصر الرقمي - تحميل النشر الأكاديمي و النشر التربوي العليا في بريطانيا وفي الولايات المتحدة ، مطبعة بوليتي ٢٠٠٥.

٢ بل كوب و انغس فيلبس (التحرير): مستقبل الكتاب في العصر الرقمي، مطبعة تشاندوس، عليكره ٢٠٠٦.

في ازدياد استعمال التقنيات الشاملة في هذا المجال. شجعت هذه التطورات قراء هذه المعلومات المتوفرة لديهم عبر الوسائل الإلكترونية لبحثهم عن اكتشاف الحقائق الخاصة و الفكرات ذات النضج، وهذه المعرفة قد أحرهم من قيود القسوة الوثقي للعلوم العادية والفنون الموروثة.

ومن ثم كيف هذه التطورات تتعلق بنشر الرسائل الجامعية والأطروحات. وعلي الباحث أن يفكر أولا انه سيتبادر بميدان تجاري أكثر مما انه سيتبادر بميدان أكاديمي. وهو الذي يواجه التحويل السريع ، وهو الذي يواجه التحديات العريضة والفرص العديد معا. وعليه أن يفكر ثانيا أن هناك طرقا واسعا ومفيدا في نشر أطروحته و أن يختار منها أية طريقة مناسبة خاصة له.

هل الكتاب أو المقالة؟ هذه مسألة مهمة ابتدائية التي لم يستطع الباحث أن يخطو فيها خطوة إلا بالاستشارة مع استاذاه أو المشرف أو الاشخاص الذين لهم خبرة واسعة في هذا الميدان. ماذا يجوز له؟ هل هو ينشر أطروحته لكتاب واحد؟ أو ينشر عدة مقالات منها؟ كما اننا نعرف معظم الباحثين، كانوا قائمين بالبحث قصدا للحصول علي شهادة الدكتوراة فقط و ما كانوا معتقدين بأنهم يتجهون الي سبيلهم لتأسيس الحجرالعمادية لحياته الأكاديمية للمستقبل. فاذا يعتزم الباحث أن يقوم في الحقل الاكاديمي قياما خالصا مستقلا لأجل تنمية حياته الأكاديمية، وعليه ان يختار سبيل نشر أطروحته وإن لم يقصد اليه بالاعتزام فلننصحه أن لا يضع أوقاته الثمينة. لأن في هذا السبيل هناك مهنة شاقة واستهلاك الأوقات و الاموال.

فإذا اعتزم الباحث أن يقوم بنشر أطروحته، وعليه ان يفكر كيف ينفع هذا النشر له و لمستقبله و ما يضيف الي سيرته الذاتية. ربما يجاهد الباحث، عليه ان لا ينسي انه لا يستطيع ان يخفي اصلية كتابه بأنها منقولة من محتويات أطروحته وامتدادها. فلن يجلب اليه أي تقدير له باسم كتابه ان لم تكن أطروحته أصيلة علي عمل مستقل و متميز. وهكذا علي الباحث أن يصور إمكانية قراء كتابه الجديد المتحول من الأطروحة. ومع ذلك أن الكتاب جيدا جدا وان لم يكن مخصوصا حادا ولم يجد التسويق الحقيقي له. ان من الممكن ان يكون عنوان الأطروحة غير ملائم، وأما للكتاب يجب أن يكون عنوانه ملائما قدرما أنه يدهش القراء علي الأقل. فلذلك لا يوجز موضوع الأطروحة نفسه لموضوع الكتاب الا نادرا.^١

ومن الممكن أن هناك كتب تتجانس بمحتويات اطروحة الباحث في السوق، فعليه أن يقارنها بمحتويات اطروحته طولا وعرضا وأن يلاحظ الي أي حد يستحق كتابه للتسويق. فإذا لاحظ الباحث أن كتابه لم يستحق قدرا عاليا مستقلا عن الكتب الموفرة في السوق وعليه أن يخطو خطوة جديدة. وهو عليه اما أن يفرق محتويات أطروحته الي مقالتين او ثلاث مقالات أو أن يلخصها الي المقالة المطولة وينشرها في المجلات الأكاديمية ذات مقدرة عالية في الحقل الأكاديمي، وهناك طرق جديدة أيضا في نشر أطروحته ومن الممكن أن ينشرها عبر الشبكة العالمية (انترنت) أو نشرها لجزء في كتاب متحرر أو في المجلة التي يريدها.^٢ وهناك بضع من الإرشادات الهامة

١ بت لوي: دليل للمؤلفين الأكاديميين مطبعة جامعة كيمبريدج ٢٠٠٢ - كما وجد في كتاب صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتوراة ، ونقل بتصرف.
٢ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتوراة . ، مطبعة سيج ، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩ - نقل الأفكار من الكتاب بمزيد من الإضافات من جانب الباحث . صفحات من ١٠ الي ٢٧

- للباحث في هذا المضمار. ويجب للباحث أن يلاحظ تلك الإرشادات وعليه أن يتبع ما يناسبه من التالية^١.
- أ. علي الباحث أن يلاحظ طبيعة محتويات كتابه، وأن يفكر هل هي رقيقة الشعور وإذا نشرها في كتاب، أي تخلق المناظرة الجدلية فمن ثم انها لا يجوز نشرها. وعلي الباحث أن يلاحظ محتويات كتابه هل أنها هي النظريات فقط أم تجريبية معا.
- ب. إختير الوصلة الملائمة للباحث في نشر أطروحته بين الكتاب والمجلة حسب الوقت القريب للنشر. بعض المجلات ذات مكانة رفيعة تستغرق مدة طويلة في نشر عدددها، فسيكون الكتاب مناسبا له.
- ت. حفاظا علي تقدير مكانة المجلات، أي رفيعة أم دارجة فإختير المجلات ذات مكانة رفيعة. وعلي الباحث أن يكون واقعيًا يتعلق بالمسائل بنشر المقالة في المجلات ذات مكانة رفيعة. وان لم يقدر الباحث نفسه بمقالته علي قابليتها بالنشر في مجلات ذات مكانة رفيعة، فلا يحاول تجاهها أبدا.
- ث. ولا تنسي أن ميزة المحتويات مفضلة. لو لم ينجح الباحث في نشر مقالته في المرة الأولى وعليه الا يئس منها وله فرصة ذهبية إذ انه يصحح محتويات مقالته مرة بعد مرة حتي أنه يجد مكانة لنشرها.
- تعديل الأطروحة تعمل الأطروحة عملا مخصوصا لذاتها. إنها تختلف عن الكتاب أوالمجلة. ولسبب ذلك، تعديل الأطروحة وتحويلها الي صورة تناسب الكتاب أو المقالة ضرورية. إن الأطروحة شيء قدمت في إحدي الجامعات لنيل شهادة الدكتوراة، لها جمهرة قصيرة من القراء. وهم الذين كانوا خبراء وهم اللذين يعلمون أكثر مما يعلم الباحث نفسه في مجال واسع للموضوع. وكذلك المقالة في المجلات، ومؤلفها يعتبر أنه خبير في الموضوع الذي ينشر مقالته فيه.
- وكذلك هناك إختلاف ضيقا بين مختلف اشكال مواد الأكاديمية في حين وإختلافا حادا بينها في حين آخر. وإن من ملاحظات الباحث في تعديل الأطروحة^٢.
١. الباحث، عليه أن يعرف الخصائص الأسلوبية والتركيبية وإختلافهما بالكتاب وبالأشكال الأخرى.
 ٢. وعليه أن يكتشف الخصائص المهمة المتعلقة لأطروحته ومتجانسها بالكتاب الذي يريد أن ينشره.
 ٣. وعليه أن يزيد المتجانسات ويقصر المختلفات والمتخالفات.
 ٤. وعليه أن يختصر في المقالة، وأن لايعبر كل ما خطر بباليه لأن قراء المجلات يجب للباحث أن لا ينقل النظرية والمواد البيانية والمنهج من الأطروحة الي الكتاب او المقالة، وبدل ذلك يمكن له ان يدمجها جميعا الي نص الكتاب فلا يشرحها تماما.
 ٥. وعليه أن يجمع مزيد من المعلومات أو ان يقوم بالبحث الجديد لأكتشاف المواد المطلوبة لكتابه.
 ٦. ولا يعتقد الباحث أبدا أن ينقل كل م جمعه في أطروحته الي الكتاب تماما.
 ٧. ولا يضيع وقته علي الطول، في تنسيق الأطروحة كثير لأن يبدلها الي الكتاب حتي ان يجد ناشرا له وحصلت منه الميثاق به.
 ٨. ولا يعتمد الباحث علي الأقوال والمذاهب من النقاد الآخرين أو العلماء الأكاديمية. ولا ينقل المقتبسات

١ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتوراة .. مطبعة سيج ، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩ ص ٢٧-٢٨

٢ نفس المرجع. ص ٤٨

المباشرة في الكتاب وانه سيجعل فكرته مهمة وضيقة.

إختيار الناشر

عند اختيار الناشر، علي الباحث أن يقوم بطلب بعض المراجعة من المحبين والأصدقاء في حقل الأكاديمية عن كيفية الناشرين لديهم. وقبيل اختيار الناشر نهائيا عليه أن يفحص مواقع الناشرين وقائمة الكتب لديهم وفهارسهم وهكذا أن يزور معارض الكتب لتلك الناشرين. يجوز له ان يقوم بالمشاورة مع الأصدقاء والمحبين من الحقل الأكاديمي ليكتشف آرائهم في هذا الأمر. وعليه ان يلاحظ بعض الأشياء المهمة التالية^١.

- أ. مستقبل تسويق الكتاب عند مختلف الناشرين واكتشاف الناشر الملائم. ولهذا علي الباحث أن يشاور بمختلف الناشرين في آن واحد بنسخات نص الكتابلكي
- ب. جودة الإخراج في نشر الكتاب. فلا يستيقن الباحث كل ما يقول الناس عن تجربتهم في نشر الكتاب حتي ييقن الباحث نفسه بها.
- ج. وعليه أن يتبع الناشر بشمولية خدماته النشرية وأن يقدم الإقتراحات الي الناشر يشرح فيه كل ما يري الباحث مهما في سبيل نشر كتابه بأكمل وأجل صورة.

إعداد الإقتراح وتقديمه

- هذه مرحلة مهمة في سبيل نشر الأطروحة كتابا مستقلا. تشتمل هذه الخطوة المهمة لكي يزود الناشر المعلومات الشاملة حتي مستوي تفاصيلها من استعمال الأوراق الملائمة والخط الذي يريد الباحث للطباعة.
١. علي الباحث أن يفحص مواقع الشبكة العالمية للناشرين الذين سوف يتصل بهم الباحث بالنسبة الي تقديم الإقتراح لإستكشاف متطلباتهم وأعلام المحررين الذين يتعلقون بكتاب الباحث.
 ٢. وعلي الباحث أن يقوم باستعداد رسالة التقديم مع الإقتراح بأدق وأجل شكل إيجابي.
 ٣. وعليه أن يراجع رسالة التقديم والإقتراح مرة بعد مرة وعليه أن يحقق أنها رسالة صالحة من الأخطاء والإقتراح المفيد الي المحرر.
 ٤. وعليه أن يكون مراسلاته مع المحرر ايجابيا ولا سلبيا وأن يكون سهلا يسيرا.
 ٥. فلا ييئس من عدم التعليقات عن كتابكم المتحررين وعليه أن ينتظر منها بالثابرة والصبر.
 ٦. فلا يستعد الباحث مراسلاته بالأوراق الملونة وحجم الخطوط أن يكون معتدلا فلا يستخدم الخطوط المتزينة شديدا ولا يتزايد بالتنسيق

مراجعة الخبراء

ان هذه المرحلة مرحلة مهمة من حيث عملية المراجعة من الخبراء تستفيد للناشر والباحث معا في أن يقدر قيمة النص بين يديهما في طرفي الأكاديمية والتسويقية. يستخدم الناشر مراجعة الخبراء حق الإستخدام قبل ان يقوم بنشر الكتاب.

١ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتور. ، مطبعة سيج ، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩ ص. ٦٦

١. علي الباحث ان يقدم الإرشادات للمراجعين الوافرين وأصحاب التعليقات مع تقديم الرسالة والإقتراح للناشر.
٢. وعليه أن يقيم هيكل غير نظامي لعملية التعليقات والمراجعة وعليه ان يتصل بالمحرر مرار وعليه أن يقبل التعليقات المهمة وآرائهم اقبالا حارا واجابيا حسب إمكانية الباحث.
٣. ولورفض المشروع علي الإطلاق عليه أن يرحب هذا الظرف المخيب ويستخدمه كفرصة ان يراجع مشروعه مرة ثانية وتعديلها إذا يحتاج اليه.
٤. اذ يعتقد الباحث ان مشروعه يستحق النشر بدون التعديل ممكن أن يقدم الباحث مشروعه الي الناشرين الآخرين قبل ان يضع التعديل ان رُفض مشروعه من قبل ناشر.
٥. لا يصح للباحث أن يضطر المحرر دائما لإستجابة المراجعات والتعليقات. وعليه ان لا يرد الي التعليقات فورا. وهو سيستفيد الأوقات الشاملة عن دراسة التعليقات ويناقش تفاصيلها مع الأصدقاء والزلاء.
٦. وعليه ان لا يقوم بالتنقيد الحاد علي آراء سلبيات للمراجعين. وبدلا عن ذلك وعليه ان يقدم اقتراحاته القيمة بالصبر والمثابرة اليهم. ولا يتبع آرائهم وتنقيدهم علي الباحث وعلي شخصيته.

تفاوض معاهدة نشر الكتاب

- معاهدات مشروع نشر الكتاب معقدة جدا . هناك عدة من الشروط والتسائلات عند مفاوضة العهود في سبيل نشر الكتاب. وعلي صاحب البحث أن يكون معتدلا فيم بين الأماني الحقيقية والتقدير المعرف عن كيفية مفاوضات العهود هل أنها تعمل أم لا. ان من مبادئ المفاوضات في معاهدة نشر الكتاب ، هي الدفعة والحقوق الثانوية والإجازات والفهارس وحقوق النشر والتاريخ الموعد لإفراج الكتاب وما الي ذلك.^١
١. وعلي صاحب البحث أن يكون واقعيًا ولا مثاليًا في تفويض العقد. ولا يحصل الباحث مبلغًا كبيرًا من المال في مشروعه الأول. فلا ينتظر الباحث أكثر مما يستحق به عن المادة أو المال. ولا يحصل مبلغًا شاملاً في محنته الأولى، فلا ينظر الي قدر ما بذل جهده .
 ٢. وللباحث أن يتفكر عن الشروط والقوانين في مشروع عقده قبل ان يدخل الي العقد. ومن واجبه ان يكون لديه حق الوضوح، علي انه هل سيريد أن ينشر كتابه بهذا الناشر الذي معه معاهدة النشر. ثم عليه أن يقوم بمفاوضات تجديدية مع الناشر. ولا يقبل الباحث الشروط والقوانين التي لا يستطيع أن يكون أمينًا بهما ولا يأديهما، ولو في حالة الوعدة من قبل الناشر عن المعاهدة سوف تجري مدة طويلة. وعليه أن يكون أمينًا صادقًا بالشروط والقوانين في المعاهدة.
 ٣. وعلي الباحث أن يطلب من الناشر مشروع العقد وعليه أن يستشار الي الأحابب والزلاء الكبار ليقدر كيفية المنافع المادية للأطروحات المتحولة الي الكتب في ميدان الذي تخصص فيه كتابه.
 ٤. ولا يترك عمله الثمين عند الناشر الذي لم يتم مفاوضة العهد تماما معه.
- تسويق الباحث نفسه وكتابه

ولا ينتهي الجهد المتعب للباحث بحصول المعاهدة من قبل الناشر واعطاء مخطوط الكتاب

١ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتور. ، مطبعة سيج ، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩ ص ١١٧

لناشر فحسب، وعليه أن يستعد استعدادا اكادمية تاما لاجل كتابه في تسويقه. والباحث سيخلق الظروف الهنيئة في ازدياد فرص النجاح لكتابه أمثال العلاقة الوثيقة العملية مع قسم التسويق للناسر راجيا الي حصول الفرص لتشجيع الكتاب خلال تقديمات في المؤتمرات والورش والندوات واعلاها جميعا بين اصدقائه وزملائه^١.

تسويق الكتب الأكاديمية غالبا يتضمن اربع خطوات.

١. إخراج قائمة البيانات في جميع من بطاقة البيانات (Catalogues) والمواقع الشبكة العالمية وفي سائر أشكال المواد الإعلانية. هي التي تزود المعلومات الشاملة الصحيحة الضابطة علي محتويات الكتاب وحجمه وطوله وعلي خصائصه أمثال الخرائط والرسوم والصور والقوائم والتفاصيل الصورية والسعر الموعود وتاريخ تطريح الكتاب.
٢. استعداد قائمة المراجعات خاصة من الخبراء والمتخصصين والمجلات الأكاديمية والأشخاص الأخرى لكي يستعد الباحث نفسه بالإتصال بهم وليزودهم بنسخ الكتاب عندما ينشر الكتاب. ممكن أن يحصل الباحث كلمة التعريف او كلمتين في صفحات المجلات والدوريات والصحف في أقسامها للكتب الجديد.
٣. التسويق المباشر عبر الشبكة العالمية واعلانات في المجلات المختارة الرئيسية والمجلات العلمية المعرفية وفي الدوريات المخصصة وفي بعض اليوميات المتقدمة.
٤. تشجيع الكتاب المؤتمرات والمعارض، يُتعرّف فيها الكتاب.

تطريح الكتاب

لا يحاول معظم الناشرين ان يضمن تطريح الكتاب في مشروعهم التسويق. ولكن في الحقيقة هم يقومون بها لعدة من المؤلفين البارزين والعابرة من الأدباء. ولكن الطباعة العامة لا تقوم للنصوص المتخصصة للتأليفات الباكرة.

إذا اراد الباحث أن يصل نفسه وكتابه الي جمهوره من القراء ذي الولع الي القراءة، ممكن ان يسأل الناشر ان يقوم باعلان كتابه في أي حشد من السيدات والسادات لتطريح الكتاب فيه. ومع ذلك اذا يريد ان يقوم بمثل ذلك من الاجتماع، ممكن انه سينعقد إجتماعا خاصا في حرم الجامعة او الكلية او بالتعلق الي المكتبة المجاورة مشاورة الي شيخ الجامعة او عميد الكلية او صاحب المكتبة. ولا يصح للباحث ان يشتكي عن مشروع التسويق، بدلا انه سيساهم الي اتم الإستعداد في اختتام ناجح لجهده المضنية ومساعدته الكريمة في تطوير العلم وأهل العلم.^٢

الخاتمة

أصبح نشر الكتاب عمل تجاري منذ سنوات اكثر من انه عمل اكاديمي مع تطورات ذات ابعاد كبيرة في ميدان التجارة النشيرة. ان مشروع نشر الكتاب اليوم من احتياجات الأسواق الدولية اكثر مما هو من تساؤلات الناشر كما هو في الماضي. لقد توسعت مؤسسات النشر. بتطورات النشر الإلكتروني (E-Publishing) وخاصة

١ صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتور. . مطبعة سيج، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩ ص ١١٨-١٣٢. نقل عن أفكار الكتاب بتصرف.

٢ وليم جرمانو: جعله منشورا- منيچ للطلبة والباحثين والمهتمين به ، مطبعة جامعة تشيكاغو ٢٠٠١

بظهور انترنت. وهذه الظروف تجعل تحويل المنتوجات الذهنية الجامعية من الأطروحات من قبل الباحثين عملاً غير يسير. خطوات نشر الأطروحة الجامعية إلى كتاب مفيد للقارئ والكاتب والناشر جميعاً تبدأ من اختيار الناشر حتى تفاوض عقد النشر والعمل مع قسم التسويق للناشر. وبين هتئين المرحلتين هناك خطوات عدة من تعديل الأطروحة في شكل الكتاب أو في شكل بعض المقالات واستعداد مشروع التحول من الأطروحة إلى الكتاب وتقديمه حتى تكوين المراجعات الكافية والإيجابية ما قبل النشر وتفاوض عقد النشر.

حسب محتويات كتابه:- اختر الوصيعة الملائمة للباحث في نشر أطروحته بين الكتاب والمجلة. بعض المجلات ذات مكانة رفيعة تستغرق مدة طويلة في نشر عددتها إذا كان الباحث محتاجاً إلى إضافة مراتبه الأكاديمية سريعاً، فسيكون الكتاب مناسباً له. حفاظاً على نشر المقالات في المجلات ذات مكانة رفيعة إذا كان الباحث محتاجاً إلى إضافة مراتبه الأكاديمية مخصوصاً ومستقلاً. وأن لم يقدر الباحث نفسه بمقالته على قابليتها بالنشر في مجلات ذات مكانة رفيعة، فلا يحاول تجاهها أبداً فسيكون الكتاب مناسباً له. الباحث بالنسبة إلى تعديل الأطروحة، عليه أن يعرف الخصائص الأسلوبية والتركيبية واختلافهما بالكتاب وبالأشكال الأخرى. وأن يكتشف الخصائص المهمة المتعلقة لأطروحته و متجانسها بالكتاب الذي يريد أن ينشره وأن يزيد المتجانسات ويقصر المختلفات ولا ينقل النظريات والمواد البيانية والمنهج إلى الكتاب أو المقالة، وبدل ذلك أن يدمجها جميعاً إلى نص الكتاب فلا يشرحها تماماً ويخير له أن يختصر في المقالة. وعليه أن يجمع مزيد من المعلومات أو أن يقوم بالبحث الجديد لأكتشاف المواد المطلوبة لكتابته. عند اختيار الناشر، على الباحث أن يشاور بمختلف الناشرين في أن واحد بنسخات نص الكتاب لكي يختار منهم الناشر الذي يلائم بمتطلباته. وتشتمل خطوة إعداد الإقتراح لكي يزود الناشر المعلومات الشاملة، حتى مستوى تفاصيلها من استعمال الأوراق الملائمة والخط الذي يريد الباحث للطباعة. على الباحث أن يتقدم الإقتراح بأدق وأجل شكل إيجابي لإستكشاف متطلبات المحررين الذين يتعلقون بكتاب الباحث. وأن يراجع رسالة التقديم والإقتراح مرة بعد مرة. وحجم الخطوط أن يكون معتدلاً فلا يستخدم الخطوط المتزينة شديداً ولا يتزايد بالتنسيق. والباحث أن يرحب بالتنقييدات الإستنتاجية من غيره ولا يميل إليها كل الميل. فلا يئس من عدم التعليقات عن كتابك من المحررين.

عملية المراجعة من الخبراء تستفيد للناشر والباحث معا في أن يقدر قيمة النص بين يديهما في طرفي الأكاديمية والتسويقية. على الباحث أن يسترشد من المراجعين وأن يقيم هيكل غير نظامي لعملية التعليقات والمراجعة وعليه أن يتصل بالمحرر مرار وتكراراً وأن يقبل التعليقات المهمة وآرائهم اقبالا حاراً وإيجابياً حسب إمكانية الباحث. وعليه أن لا يقوم بالتنقيد الحاد على آراء سلبية للمراجعين. عند معاهدة نشر الكتاب وعلى صاحب البحث أن يكون واقعياً ولا مثالياً فيها ولا يحصل مبلغاً كريماً من المال في مشروعه الأول. وللباحث أن يتفكر عن الشروط والقوانين في مشروع عقده قبل أن يدخل إلى العقد. تسويق الكتب الأكاديمية غالباً يتضمن أربع خطوات. إخراج قائمة بطاقة البيانات والمواقع الشبكة العالمية وفي سائر أشكال المواد الإعلانية. هي التي تزود المعلومات الشاملة الصحيحة الضابطة على محتويات الكتاب. واستعداد قائمة المراجعات خاصة من

الخبراء والمتخصصين والمجلات الأكاديمية والأشخاص الأخرى لكي يستعد الباحث نفسه بالإتصال اليهم والتسويق المباشر عبر الشبكة العالمية واعلانات في المجلات المختارة الرئيسية وتشجيع الكتاب في المؤتمرات والمعارض. ممكن انه سينعقد إجتماعا خاصا لتطريح الكتاب. والله الموفق لمن بذل جهده في سبيل نشر العلم وتشرف به.

المصادر والمراجع

١. بت لوبي: دليل للمؤلفين الأكاديمين مطبعة جامعة كيمبريدج ٢٠٠٢.
٢. بل كوب وانغس فيليبس (التحرير): مستقبل الكتاب في العصر الرقمي، مطبعة تشاندوس، عليكره ٢٠٠٦.
٣. جون تومسون: العصر الرقمي - تحميل النشر الأكاديمي والنشر التربوي العليا في بريطانيا في الولايات المتحدة ، مطبعة بوليبي ٢٠٠٥.
٤. صراح كارو: كيف تنشر أطروحتك الدكتوراة- مطبعة سيج ، نيودلهي - الهند ٢٠٠٩.
٥. وليم جرمانو: جعله منشورا- منهج للطلبة والباحثين والمهتمين به ، مطبعة جامعة تشيكاغو ٢٠٠١.



النقد الأدبي ووظائفه

السيد/توصيف الرحمن ضياء الرحمن^١

الملخص:

هذا المقال يلقي الضوء على النقد الأدبي ووظائفه، ويهدف إلى إبراز ما تحمله كلمة النقد من المعاني اللغوية المختلفة وتوضيح الرابط بينها وبين المعنى الاصطلاحي، وتوضيح المشاكل في تحديد النقد علماً أو فناً. ويعدد المقال فوائد النقد ووظائفه في نقاط عدة، كما يهدف إلى بيان الدور الذي يؤديه النقد، علماً بأن كثيراً من الطلاب والمبتدئين في هذا الفن الجميل يحسبونه عبثاً لا يجدي شيئاً، ومشكلة مقحمة عليهم. والنقد لكونه عملاً جليلاً سواء كان في الآداب أو في غيرها يجب على صاحبه أن يمتاز بصفات العدالة والتنوع في الثقافة مع الغزارة والسعة، وأن يراعي بهذه الأمور في مهنته فلا يغض النظر عنها ليكون في عمله صادقاً مخلصاً. والمقال دراسة على المنهج الوصفي التحليلي تشمل هذه الجوانب وتبينها بتفصيل موجز. وعلى الرغم من أن الكتابة حول هذا الموضوع كثيرة إلا أن معظم المؤلفات طويلة ضخمة تستوعب كل رطب ويابس، ولذا حاولت أن أقدم دراسة في هذا الموضوع ملخصاً من تلك الكتب بين الإيجاز والتفصيل في صورة نقاط ليتضح النقد الأدبي أمام القراء والمبتدئين ويتعرفوا على وظائفه المختلفة وفوائده العديدة، ودوره الهام في نشر وتطوير النصوص الأدبية والقطع الفنية. النقد كلمة لها دلالات مختلفة في اللغة أبرزها التمييز وتمحيص الجيد من الرديء. ويكون النقد في كل عمل سواء كان يتعلق بالأقوال أو الأفعال أو الملابس أو الأطعمة أو أشياء أخرى. أما النقد الأدبي فهو ما يميز بين الأعمال الأدبية ويفضل بعضها على بعض من حيث المعايير المختلفة في كل أدب وفي كل زمان. وهذه الدراسة تفصل القول في النقد الأدبي ووظائفه وفي الميزات التي يمتاز بها الناقد من غيره.

□ **النقد في اللغة:** النقد كلمة لها دلالات مختلفة في اللغة، أبرزها التمييز بين الحق والباطل أو الصحيح والسقيم، ذكرها ابن منظور في «لسان العرب» يلي ذكرها بقدر من التفصيل.^٢

□ **النقد:** خلاف النسبة.

□ **والنقد والتنقاد:** «تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها». أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف

□ **والنقد والانتقاد:** إعطاء النقود وقبضها؛ وقد نقدها ينقدها نقداً وانتقدها وتنقدها

١ الباحث في مرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وأدائها بالجامعة الملكية الإسلامية نيو دلهي.

٢ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، المجلد الثالث، ص ٤٢٥-٤٢٦.

ونقده إياها نقداً: أعطاه فانتقدها أي قبضها. وفي حديث جابر وجمله، قال: «فتقنني ثمنه أي أعطانيه نقداً معجلاً».

- والنقد: الضرب؛ نقد الصبي أرنبته بإصبعه إذا ضربها.
 - والنقد: النقر؛ نقد الطائر الفخّ ينقده بمنقاره أي ينقره. وفي حديث أبي ذر: «فلما فرغوا جعل ينقد شيئاً من طعامهم أي يأكل شيئاً يسيراً».
 - والنقد: أكل الطائر الحبة واحدة بعد أخرى؛ نقد الطائر الحبة إذا كان يلقطه واحداً واحداً، وهو مثل النقر.
 - والنقد: النظر خلسة؛ نقد الشيء بنظره ونقد إليه: اختلس النظر نحوه، وفلان ينقد بصره إلى الشيء إذا لم يزل ينظر إليه.
 - والنقد: العيب؛ وفي حديث أبي الدرداء: «إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك» أي إن عبتهم قابلوك بمثله.
 - والنقد: اللدغ؛ يقال: «نقدته الحية» إذا لدغته.
 - النقد في الاصطلاح: هو «دراسة تحليلية دقيقة للنصوص الأدبية وتقديرها تقديراً صحيحاً مع بيان قيمتها الفنية ودرجتها الأدبية». وقد عرف العلماء النقد الأدبي بتعريفات عدة أذكر بعضها في السطور التالية:
- سيد قطب: النقد «تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية وقيمه التعبيرية والشعورية»^١.

محمد مندور: النقد هو «فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة»^٢.

أحمد الشايب: «تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية»^٣.

التوافق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية: يتوافق المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حيث أن تمييز النصوص وتفضيل بعضها على بعض مثل تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها ليبقى أمام الناس ما هو الأصيل سواء كان درهماً أو قطعة فنية. ومعنى «أكل الطائر حبة بعد أخرى» فيه أيضاً تمييز إذ يختار الطائر واحداً تلو الآخر ما هو الأفضل من الحبات. أما معنى «إعطاء النقود» فالنصوص الأدبية تنال شهرة ورواجاً بين الأوساط الأدبية والعلمية حينما يتجه إليها الناقد بكلامه ويتسبب لرواجها وذيوع صيتها مع شهرة الأديب الفنان ويكتسب كلاهما الناقد والأديب نقوداً. والعيب واحد من وجهي النقد حيث يعد الناقد عيوب الفنان في أدبه ويشير إليها فالنقد عيب، واللدغ والضرب على هذا السبيل. ومثال ذلك قصة عبد الله بن أبي إسحاق النحوي والفرزدق حيث كان ينتقده النحوي في أشعاره بالإقواء فيهجوه الفرزدق وقد قال فيه مرة: «أين هذا الذي يجرّ في المسجد خصيه ولا يصلحه؟» وذلك لأنه كان يضيق ذرعاً بانتقادات ابن أبي إسحاق^٤.

١ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م)، ص ٧.

٢ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٦م)، ص ١٤.

٣ أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م)، ص ١١٨.

٤ محمد ابن سلام الجم محمد ابن سلام الجمي، طبقات فحول الشعراء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ص ٣١. حي، طبقات فحول الشعراء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ص ٣١.

بداية النقد في الأدب العربي: كانت بداية النقد في الأدب العربي مع بداية الأدب ونشأته مع نشأته كذلك، فحيثما وجد شاعر أو أديب وجد معه ناقد كذلك، إلا أن النقد يتأخر من الأدب في وظيفته فينشأ بعد حدوث الأدب من إنشاد الشعر وكتابة القصة وغيرها. وليس من الصحيح القول بأن النقد العربي نشأ متأخرا من الأدب إلى قرن أو قرون فإنه قرين الأدب ينشأ معه. وكما أن تاريخ بداية الشعر العربي لا يعرف بالتحديد^١ فإن ما وصل إلينا كان في عصر النضج وشبابه^٢، ولا يرق ذلك الشعر إلا إلى قرن ونصف أو قرنين على الأكثر منذ عهد الإسلام كما قال الجاحظ^٣، وكذلك تاريخ النقد يصل إلينا بالأدب العربي الناضج^٤.

أساس النقد الأدبي: النقد الأدبي عمل يتأسس على الذوق الصرف (الذي لا يتأتى إلا بطول الممارسة الأدبية قراءة كانت أو إنتاجا) أو ما يسمى بالتجربة الشخصية^٥ وأصول فضفاضة تتغير حسب الظروف والدواعي. ولا يتقيد النقد الأدبي بالأصول الصارمة ولا الأحكام الثابتة فإن طبيعة الفنون غير طبيعة العلوم، والأدب من الفنون التي تقتضي طبيعتها السعة والتغير وترفض الثبوت والاستقرار، ومع ذلك لا تنشأ هذه الأصول بغتة بل تنشأ عبر العصور بالتدريج.

ولم يكن النقد في البداية (المعروفة عندنا) على هذا الأساس من الذوق والأصول معا، بل كان على أساس الذوق المحض للناقد حينما لم تكن العلوم مدونة في عصر الجاهلية وصدر الإسلام^٦. وعلى هذا الأساس يوصف النقد بالنقد الذوقي الذي يحصل بالبيئة وبممارسة العمل الأدبي زمنا طويلا. ثم يسمى النقد بالنقد التأثري لأن النقد في الأصل ملاحظات تأثرية يدلها الناقد إثر انفعاله بشيء سيئا كان أو حسنا^٧، وكذلك بالنقد العلمي إذا كان يعتمد على مقاييس الأصول والأحكام وليس فيه للذوق أي تدخل.

النقد علم أو فن: اختلف أهل العلم في تحديد النقد علما أو فنا مع علم اليقين أن طبيعتهما متباينة تباينا تاما فالفن كما سبق الذكر يتأسس بناؤه على أساس الذوق الذي يختلف لدى الناس اختلافا كبيرا؛ بينما العلم يعتمد على حقائق ثابتة ومبادئ صارمة لا تتغير أبدا بتغير الزمان أو المكان. ومع هذا الاختلاف البارز في طبيعة كل واحد من العلم والفن هناك فروق أخرى تفرق بينهما، ومنها أن الفن يتجه إلى القلوب والوجدان دون العقل الذي يخاطبه العلم ويحتاج إليه لإثبات حقائقه. وكما أن مقاييس الوجدان ليس لها حدود ولا عدد خلاف مبادئ العلم التي يمكن تحديدها كما يكون في الرياضيات. وتسبب اختلاف هذه الطبيعة في الفنون والعلوم للاختلاف بين العلماء أنه فن هو أو علم بحت. وظيفه النقد: ليس النقد ينحصر في التمييز والتمحيص فحسب، بل هناك محاسن عظيمة ووظائف عديدة للنقد الأدبي الذي يتبلور به الأدب والأديب في مهنته، ويلى بيان أهمها بالإيجاز:

١ محمد الصادق سالم الخازمي، أثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية، (القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠٠٨م)، ص ١٢٨.

٢ المصدر السابق، ص ١٢٨.

٣ عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ٧٤.

٤ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، (مكة المكرمة: مكتبة الفيصلية، ٢٠٠٤م)، ص ٢٤-٢٥.

٥ محمد مندور، النقد المهجي عند العرب، (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٦م)، ص ١١.

٦ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، (مكة المكرمة: مكتبة الفيصلية، ٢٠٠٤م)، ص ٢٤.

٧ محمد مندور، في الأدب والنقد، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ٩.

- النقد يحدد الأدب زماناً ومكاناً فإن بعض النصوص الأدبية تكون رهينة لوقت محدد.
- النقد يدل على الجمال والمحاسن الخفية في نص الأديب الفنان.
- النقد يرشد إلى المسار الصحيح في طريقة الإنتاجات.
- النقد يكشف عن العوامل النفسية والخارجية التي اشتركت في تكوين العمل الأدبي^١.
- النقد مرآة ينعكس فيها سمات الفنان وخصائصه الشعورية والتعبيرية.
- النقد يقوم بتيسير النصوص للقارئ.
- النقد يحرض الفنان على الإبداعات، كما يدفعه إلى تكثير الإنتاجات.
- النقد يتسبب لشهرة الفنان فإنه لولا النقاد لضاع الفنانون^٢.
- النقد يحمل القراء على قراءة النصوص والقطع الأدبية ويرغبهم فيها.
- النقد يمنع الفنان عن الإخطاء.
- النقد يزود بالزاد الثقافي إذا كان الفنان قليلاً، والقارئ إذا كان حريماً، فإن الناقد لا بد أن يكون أكثر ثقافة منهما.
- النقد يصنف الفنانين حسب إبداعاتهم.
- النقد يكسب النقاد أموالاً ويتسبب لشهرتهم مثل الأدباء إن لم يكونوا ذائعي الصيت.
- النقد يوجه الفنانين إلى النظريات الأدبية الحديثة ويعرفهم عليها.
- النقد يُطلع الأديب والقارئ كذلك على ما يخفى في الأديب من القدرة والقوة الإبداعية.
- النقد يحدد الأدب وصاحبه بالمدارس الأدبية وينسبهم إليها^٣.
- النقد يقوم بتطوير العمل الأدبي والأدب كذلك.
- **مميزات الناقد:** النقد عمل جليل وللقام به يحتاج المرء إلى ميزات وصفات ليتصف بها وأمور مما لا بد له منها حتى لا يكون النقد سوقياً رذيلاً أو مبنياً على الخطأ فيطيش بالناقد ويجعله عرضة لانتقادات الآخرين.
- **الموضوعية والذاتية:** أول وأكبر ما يجب على الناقد أن يتحلى به هو الموضوعية بمعنى التجرد عن أهواء الذاتية وميوله الشخصية، فإن الناقد إذا لم يتجرد عنها لأخطأ في نقده بتفضيل الرديء على الجيد أو بتضعيف الجيد والجميل على أساس حب المال وغيره أو الحقد الكامن في صدره الذي حرّضه على ذلك. ولا ينتهي الأمر بالناقد، بل يجر هو نفسه إلى الانتقادات لما فعل ميلاً عن الحق والأصل القويم. أما الذاتية التي يقوم على أساسه النقد فهي الفردية التي يتفرد بها كل أديب ويمتاز بها عن غيره، وبها يجيد أديب عملاً ويفشل في آخر، وهي التي على أساسها يقارن بين شاعرين أو أدبيين أن هذا يتفرد بهذه الميزات بينما ذاك يميل في إنتاجاته إلى تلك الخصائص الفنية. أما التعرض لذات الأديب وعبوبه في الجسم أو الدين فذاك أمر

١ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م)، ص ٧.

٢ أشهر مثال لهذه النقاط قصة سيد قطب ونجيب محفوظ إذ كان الأول سبباً لشهرة الثاني ونصبه روائياً عالمياً بمقالاته النقدية والفكرية في قصص نجيب محفوظ، وقد اعترف بذلك نجيب طول حياته رغم البعد الفكري بينهما في مسائل الشريعة والسياسة. كتب سيد قطب في قصة "كفاح طيبة" لنجيب محفوظ في مجلة الرسالة: "لو كان لي من الأمر شيء لجعلت هذه القصة في يد كل فتى وكل فتاة، ولطبعها ووزعتها على كل بيت بالمجان، ولأقمت لصاحبها - الذي لا أعرفه - حفلة من حفلات التكريم التي لا عداد لها في مصر للمستحقين وغير المستحقين!". انظر: "على هامش النقد"، مجلة الرسالة: العدد ٥٨٧/٥٨٨، ٢٠١٨/٩/٢٠م.

٣ محمد مندور، في الأدب والنقد، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م)، ص ٤٣.

لا يقبل في مجال النقد أبدا. أما ذاتية الناقد وفرديته فهي مقياسه الخاص الذي يستعمله لنقده نصوص الفنان، بعد الذوق السليم وسعة الاطلاع الذي سيأتي ببيانها فيما يلي.

□ **سعة الثقافة والتعمق فيها:** ولا بد للناقد أن يكون واسعا في ثقافته، فإنه لو كانت ثقافته قليلة من ثقافة الأديب لأخطأ في نقده وحمل كلام الفنان على ما لا يصح الحمل عليه. وكذلك لا بد له أن يكون متعمقا في ثقافته؛ فإن الزبد يذهب جفاء، ومتى لا يكون الناقد متعمقا في ثقافته ليأتي بما لم يقل به الأديب فلا بد أن يكون الناقد خبيرا في المصطلحات التي يستخدمها الفنان في عمله الأدبي.

□ **التنوع في الثقافة:** وأن يكون متنوع الثقافة؛ فإنه ربما يأتي الأديب بشيء من الفلسفة أو من اعتقاد ديني يصطلح به هو خاصة أو قوم دون قوم على سبيل المثال وليس لدى الناقد إلمام بهذا الصدد ليتحير هو في نص الأديب ويفسره بالخطأ الفاحش أحيانا فلا بد أن يكون متنوعا في ثقافته، ومزدوج الثقافات كذلك على وجه الخصوص في العصر المعاصر.

١. **التضلع في علوم الأدب:** وأكثر ما يجب على الناقد أن يكون ضليعا في اللغة غريقا في بحر الأدب وعلومه، فإنه لو لم يكن هو يدري الفروق اللغوية والبلاغية واستخدام الكلمات حسب المخاطب لما وسعت له أن يطلع على المحاسن والمساوئ وسرهما في نص الأديب. وأبسط مثال لذلك ما جرى بين طرفة بن العبد والمسيب بن علس حينما أخطأ الأخير في اختيار الكلمة الصحيحة للجمل في بيته:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
فقال طرفة: «إِسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ»، لأن «الصيعرية» سمة من سمات الناقة دون البعير.

الخاتمة

وفحوى القول أن النقد كلمة ذات دلالات لغوية مختلفة وهو عمل تحليل النصوص الأدبية وتعيين مكانتها في مجال الأدب حسب المعنى الاصطلاحي. ولهذا العمل طبيعة متفردة وميزات عجيبة يميل ببعضها إلى العلوم بينما بعض الميزات يجعله من بين الفنون فهو علم من ناحية وفن من ناحية أخرى. أما فوائد هذا العمل ووظائفها فهي كثيرة ومتنوعة تشمل الناقد والفنان والنص الأدبي جميعا، ولذلك يجب على من يمتحن هذا العمل أن يراعي بأمور العدالة والثقافة العميقة المتنوعة الفضفاضة ليبقى عمله رفيع المكان عظيم الشأن.

١ وردت القصة باختلاف الاسم بين المسيب بن علس والمتلمس خال طرفة، انظر: الضبي، المفضل، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٧٤.

المراجع والمصادر:

١. إبراهيم، طه أحمد، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، (نسخة إلكترونية)، مكة المكرمة: مكتبة الفيصلية، ٢٠٠٤م.
٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، (نسخة المكتبة الوقفية)، المجلد الثالث، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
٣. أبو عوف، عبد الرحمن، فصول في النقد والأدب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.
٤. الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٦٥م.
٥. الجمعي، محمد ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
٦. الخازمي، محمد الصادق سالم، أثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية، الطبعة الأولى، (نسخة إلكترونية)، القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠٠٨م.
٧. سيد قطب، «على هامش النقد»، مجلة الرسالة: العدد ٥٨٧، تاريخ آخر الزيارة ٢٠/٩/٢٠١٨م في ٧:٣٢ مساءً، متاح على www.ar.m.wikisource.org.
٨. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م.
٩. الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، (نسخة إلكترونية)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.
١٠. الضبي، المفضل بن محمد، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣م.
١١. مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، (نسخة إلكترونية)، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٦م.
١٢. مندور، محمد، في الأدب والنقد، (نسخة إلكترونية)، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.



جمال فايز ومميزاته الأدبية

السيد/شرف الدين^١

الدكتور/محمد عابد يو. بي^٢.

الملخص:

تعد هذه الدراسة محاولة للإشارة إلى إسهامات الروائي والقاص الشهير المعاصر جمال فايز السعيد في القصة القصيرة العربية في دولة قطر. وقد لعب هذا الكاتب الكبير دورا بارزا لا يستهان به في رفع الأدب العربي القطري إلى مصفات المستوى العالمي. وذلك كان من خلال إسهاماته في فن الأدب القصصي منذ بداية الثمانيات من القرن العشرين حتى الآن. وتسلط هذه الدراسة الضوء على إسهاماته في القصة القصيرة كما تقدم هذه الدراسة بيانا موجزا عن مجموعاته القصصية.

مولده ونشأته:

هو العلامة الأديب جمال فايز السعيد هو الكاتب الأديب العربي المعاصر المشهور في مجالي القصة القصيرة والرواية في الأدب العربي المعاصر. هو قطري. ولد بالدوحة في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٤م. نشأ وترعرع في أحضان والديه، رحاب عاصمة دولة قطر. «بدت عليه بوادر الفطنة والذكاء وأحب سماع القصص الخيالية والشعبية وخاصة تلك التي تتعلق بعالم الغيبات والجن والأرواح والصراع بين الإنسان والطبيعة، فوسعت هذه القصص مداركه العقلية والفكرية، وكانت والدته الملجأ لهذه الأساطير حيث كانت تسرد عليه مجموعة من الحكايات والخرافات والأساطير فتأثر بها وإشتاق إلى قراءتها ولكن الظروف الإقتصادية لم تسمح له باقتناء هذه الكتب ونمت علاقة بينه ودار الكتب القطرية للقراءة والإطلاع منذ نعومة أظفاره.. تزوج الفنان القاص الممثل جمال فايز من إحدى كريمات إحدى الأسر القطرية وله من الأبناء ريم، خلود، خالد، جاسم.

حياته العلمية والعملية:

بدأ دراسته في مدرسة الخليج العربي الابتدائية وساهم في عدد من الأنشطة التربوية وخاصة النشاط الصباحي في الإذاعة والصحافة المدرسية بجانب المسرح المدرسي، كل هذه المساهمات أثرت فيه فتوسعت مداركه الفكرية والعقلية^٣ وحصل على بكالوريوس جغرافيا تخطيط من جامعة قطر عام ١٩٨٨. وكان صحفيا في جريدة الراية و

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

٣ حسن حسين رحلة مبدع قطري، جمال فايز، بدأ ممثلا واستقر في عالم القصة القصيرة. جريدة الشرق القطرية، صفحة آداب وفنون، ٢٥-٢٠٠٤م

ترأس قسم الأنشطة الثقافية بإدارة الأنشطة والفعاليات الشبابية بوزارة الثقافة والفنون والتراث. وقد انحصر إنتاجه المطبوع في القصة القصيرة التي مارس كتابتها منذ عام ١٩٨٦ م. حاصل على قلادة العنقاء الذهبية الدولية من مهرجان العنقاء الذهبية الدولي الرحال في دورته الثانية ٢٠٠٨-٢٠١١. مُنح العضوية الشرفية من نادي الجسرة الثقافية الاجتماعي ١٩٩٦ م، وعضو في اللجنة التأسيسية بالجمعية القطرية للكتاب والأدباء. تولى منصب أمين السر بمركز الإبداع الثقافي من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٠. تدرس أعماله القصصية ضمن المنهج المدرسي للغة العربية في الكثير من المدارس القطرية في المرحلتين الإعدادية والثانوية.

ترجمت أعماله القصصية إلى لغات عديدة كالانجليزية والسويدية والروسية والفرنسية. أعدت أربعة من أعماله القصصية للمسلسل الإذاعي (قصص خليجية). اختارت الباحثة الأوكرانية لود ميللا سافارا جالي أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير وقد حصلت على دبلوم الدراسات العليا ودرجة التخصص في اللغة العربية وآدابها من جامعة تفريدا الوطنية قسم اللغات الشرقية عنوان البحث (تأثير الثقافة على الحياة الاجتماعية في أعمال جمال فايز). اختارت الباحثة التركية بتول شاهين أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير من جامعة استنبول، اعتمدت الرسالة في أكتوبر ٢٠٠٦، عنوان البحث (حياة جمال فايز، مؤلفاته وشخصيته الأدبية وتحليل مجموعته عناقيد البشر). اختار الباحث الهندي شرف الدين أربان أعماله القصصية بعنوان (القيم الإنسانية في قصص جمال فايز وتطور القصة القصيرة في دولة قطر). اختير جمال فايز ضمن (٦٠) أديباً عربياً معاصراً في مجالي القصة القصيرة والرواية العربية ضمن مختارات من الأدب العربي الحديث التي صدرت في كتاب بعنوان "القراءة الأدبية للمتقدمين في العربية" عن دار النشر البريطانية، من تحرير د. محمد علي عزيز، ود. جونس البستي الأستاذين في جامعة بيل الأمريكية عام ٢٠١٦، وذلك لتعريف الدارسين الأمريكيين والأوروبيين بنماذج مختارة من الأدب العربي الحديث، وإثراء معارفهم عن الأدب العربي. وكتب عديد من الأدباء والكتاب حول أعماله القصصية. وقدمت عن أعماله العديدة من الدراسات النقدية لعدد من النقاد العرب المعروفين ومنهم الدكتور مراد مبروك وحسين النجم وأنور جعفر وسيد الوكيل وشعبان يوسف وغيرهم. كما فازت بعض قصصه في بعض المسابقات وحصلت على درجات متقدمة أهلتها لنيل بعض الجوائز^١

مميزاته في الأدب

إن شوق الأديب وحنينه لأيام مضت من حياته وحيات مجتمعه قد ينعكس في أدبه، فتثيره الحالة الوجدانية التي تحتويه وتقوده إلى الكتابة عنها، فيفيض مداد محبته حباً ينقش ذلك الماضي في أدبه، فينقل لنا الصور الاجتماعية المحيطه الذي عاشه ويعيشه، فيكون أدبه بمثابة وثيقة اجتماعية. ويقول الكاتب عبد الرحيم كمال «يحيرني أمر الصديق الزميل المبدع جمال فايز فهو قاص جميل، يمتلئ روح فنان حقيقي، يختزل الكون داخله، لا يبوح بسرّه حتى يخرجّه كأننا أكثر جمالا وبريقا على الورق. وكثيرا ما أسأل نفسي: كيف يحتفظ جمال

١ خليل إبراهيم الفزيع، جمال فايز بين الرحيل والميلاد. من كتاب: في دائرة الإبداع، أدبيات و أدباء من قطر. دراسة نقدية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، مطابع الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والإعلام، السعودية، ص ١٢٥.

فايز داخل عقله ومشاعره بكل تلك الأحاسيس ويصنع لها شرنقة خاصة يحملها فيها أياما، وربما شهورا حبسية داخله»^١

والقصة القطرية وإن جاءت متأخرة عن فترة اجتماعية ما، إلا أن الأديب يمكنه أن يستدرك ذلك ويسترجع ما تختزنه ذاكرته، وقد يساورنا القلق من نسيان ماضينا، فنحاول الإمساك به بأي شيء يحييه أماننا أن يذكرنا به، ونجد في الأدب أملا، فيحضر الأديب في ماضيه وماضي مجتمعه، يرسم بكل سطر لوحة ويعلقها في صفحات كتبه، فيعتبرنا أطمئنان لتوثيق الماضي. أسلوب جمال فايز في قصصه - سلس بسيط وفصيح في الوقت نفسه وكعادة جمال فايز أيضاً، جاءت الصور البلاغية في القصة قريبة التناول مألوفة الاستعمال إلا أنها مختارة بعناية بحيث تخدم الجو العام للقصة ودلالاتها وأدب الكاتب جمال فايز صندوق مملوء وثائق اجتماعية، فعندما تقرأ له يعود بك إلى الماضي، ومن كنوز صندوقه الأدبي المجموعة القصصية الرحيل والميلاد التي صدرت عام ٢٠٠٣م. مجموعة جمال فايز الأخيرة «عندما يتسم الحزن» أدركت أن ثمة تطوراً فنياً واضحاً قد طرأ على تجربته السردية، رغم أنه لا يزال يسير ذلك الموروث الشعبي الذي لا تزال ملامحه تعيش في وجدان أبناء هذا الجيل، ولم تنجح مظاهر الحياة العصرية الحادة في إزاحة تلك الصور المتجذرة في وجدان كل من استقى إرثه النفسي من جيل ما قبل النفط، وهو إرث أسس لذائقة فنية متميزة، طبعت الأدب في دول الخليج العربي، بما لا يتوفر في الإنتاج الأدبي في البلدان العربية الأخرى، وخاصة في الفنون البصرية والصوتية، وحكايات وأهازيج الغوص، والعادات والتقاليد ذات النزعة الإنسانية الطاغية على سلوك مجتمعات دول الخليج العربية في بيئتها البدوية والحضرية وممنها التي يسيطر «الغوص» على أهم مفاصلها، وكاتبنا جمال فايز ليس استثناءً في هذا الأمر.

يقول الأستاذ شعبان يوسف عن أسلوب الفنان جمال فايز أنه «في بعض القصص يعالج الكاتب هموما اجتماعيا عديدة ليست بعيدة عن حالات الإحباط التي تدهم الأزواج وربما الأبناء وهي أيضا ليست غريبة عن الأجواء العامة الوجودية التي تنتشر في ثنايا القصص»^٢ نجد أن جمال فايز يبدو قلقا على الماضي من الحاضر، وأخذ الحنين إلى توثيق كل ما هو أصيل في الماضي انطلاقا من مشاعره، وخشيته من طمس ماضينا بما يأتي به هذا الحاضر، فلا يريد الرحيل للماضي العتيق بميلاد حاضر غريب. يطرح القاص جمال فايز وبأسلوب سلس وغير مباشر، بعض هموم وقضايا الحياة، بما في هذه الحياة من هزائم وانتصارات، ربما لا تسترعي انتباه الكثيرين، لكنها حتماً تعني الكثير للفنان، بما يشعر به حيالها من معاناة هي تجسيد لموقفه الفني حيالها، بل وموقفه الفكري أيضاً.

المجامع القصصية: سارة والجراد

المجموعة الأولى لجمال فايز السعيد، ظهرت السنة ١٩٩١م، عن وزارة الثقافة بدولة قطر في ١١١ صفحة. تضم المجموعة ١٢ قصة أشهرها: سارة والجراد، وبقي العلم مرفوعا، الأم وآمال، الحائرون. الرقص على حافة

١ عبد الرحيم كمال الرحيل والميلاد. جريدة الراية، العدد ٧٩٠١، ٢٥/١٢/٢٠٠٣ م، ٢٨ صفحة
٢ المرجع السابق

الجرح صدرت المجموعة القصصية «الرقص على حافة الجرح» لكاتب القصة جمال فايز وتقع المجموعة في (١٥٥) صفحة من القطع المتوسط وتضم (١٣) قصة قصيرة هي الترتيب: «الكهل الصغير، حطام المسافات البعيدة، فحيح العاصفة، تابوت من لحم، الرقص على حافة الجرح، الشرنقة، الركض في الوحل، المكافأة، يوم الحصاد، إظلام، في عرض الشارع، توحد، فئران وحجارة، الرحيل والميلاد».

صدرت المجموعة القصصية ٢٠٠٣م. تضم فيها ١٥ قصة قصيرة هي الترتيب : تبقى من شظايا المحار، دوبيات الباب الخشبي، يوم العيد، بشر من الأكفان، قرايين مياه البحر، الصقر، وباء الفؤاد الجمائم البيض، زهرة، ضجيج الصمت، أرواح البيوت، قطعة الصقر، تحت ظل النخيل، الرحيل والميلاد، جذور الكرسي المتحرك، آخر البشر من لحم ودم. عندما يبتسم الحزن مجموعة جمال فايز الأخيرة «عندما يبتسم الحزن» أدركت أن ثمة تطورا فنيا واضحا قد طرأ على تجربته السردية، قصص المجموعة هي: ليلة الكرنكعوه، عندما يبتسم الحزن، حصاد السنوات العجاف، أنين دموع نضرة، السير على حافة المنحدر، العائد، أكثر من الظل، أنفلونزا الطيور، تمثالنا البشري، أطول من قامة السم، الأقحوانة البيضاء، انبلاج الليل. عناقيد البشر

صدرت حديثا لكاتب القصة جمال فايز، المجموعة القصصية: «عناقيد البشر»، تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة قصيرة، هي على التوالي: إنها حياتنا، عناقيد البشر، العابرون إلى الداخل، البحر لا يبرح مكانه، رجل بلا ظل، الغمة، لوطني أغني، ترابي على صدري، البوعزيزي، الأحمر على الأبيض يتمدد، الباحث عن شيء آخر، كائنات بشرية. مجموعة «عناقيد البشر» تمثل المجموعة القصصية الخامسة للكاتب.

الخاتمة

هذه المقالة محاولة متواضعة للدراسة التحليلية عن الكاتب القطري الشهير جمال فايز السعيد ومميزاته في الفن الأدبي مركزة على مجموعة قصصه الشهيرة سارة والجراد، الرحيل والميلاد، عندما يبتسم الحزن، عناقيد البشر، الرقص على حافة الجرح. وجددير بالذكر هنا أن هذا الأديب الكبير كان يتناول في قصصه عن شوقه وحنينه الأيام مضت من حياته وحياة مجتمعه وعلى كل حال أن قصص الكاتب كلها نداء متكامل إلى الدفاع عن قيم المجتمع وتقاليد السامية .

المصادر والمراجع

١. د. صبري حافظ، القصة القصيرة في قطربيلوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، ج ١، وزارة الثقافة والرياضة قطر ٢٠١٦م.
٢. فايز صباغ، سبعة أصوات في القصة القطرية الحديثة، إدارة الثقافة والفنون قطر ١٩٨٣م.
٣. محمد عبد الحكم عبد البقي، القصة القصيرة في قطر نشاتها وأعلامها وملامحها الفنية، القاهرة طبعة خاصة، ١٩٩٢م.



حضور المرأة في حياة جبران خليل جبران

السيدة/جوهرة.بي.^١

الملخص:

وبهذه المقالة تريد الباحثة كشف حضور النساء اللاتي أثرن في حياة الكاتب اللبناني الكبير جبران خليل جبران. جبران خليل جبران هو من أبرز الأدباء المهجرين، نال مكانة عظيمة بين أدباء العربي في العصر الحديث، وطبع آثاره في مختلف مجالات الأدب نثرا وشعرا حيث اشتهر كشاعر وكاتب وروائي ورسام وقاص وفيلسوف، وصاحب رواية عربية مشهورة «الأجنحة المتكسرة». ونال شهرة واسعة في عالم الأدب الإنجليزي بكتابه المشهور «النبى». ومن النادر أن يكون الأديب معروفا باللغتين معا، وهذا هو واقع في شأن جبران إذ أنه اشتهر باللغتين العربية والإنجليزية في آن واحد.

نبذة عن حياة جبران خليل جبران

هو جبران بن خليل جبران بن ميخائيل بن سعد، ولد في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م في بلدة بشرى في شمال لبنان. وكان أبوه خليل يعمل في جباية الضرائب ولكنه اتهم بخلسة المال وقبض عليه. وكان أيضا كسولا يقضي جميع أوقاته في لعب القمار والخمر، وأما والدته كاملة كانت امرأة تقية، ذكية، وقوية الشخصية. واضطرت كاملة إلى حمل أولادها الأربعة والهجرة بهم إلى المهجر الشمالي تخلصا من العار الذي أحدثت زوجه بالسرقة والأخلاق السيئة.

وكانت والدته كئيبة جدا بتشدّد والده بها وأطفالها، وكثيرا ما رآه تسيل الدموع فيه. وأخذ جبران الرسم في سنه الصغير على الجدران بالفحم، وقد لاحظ المعلم أنه كان يرسم أشباح الأشياء بدلا من كتابتها في الدفاتر.

«وكان قبل ذلك بأيام قد دخل أبو جبران البيت فوجد ابنه وفي يده فحمة يرسم بها على الحائط أشكالا لم يفهم الوالد لها معنى – كأنها بيت وليست بيتا، وكأن أمام البيت فتاة كئيبة وليست فتاة كئيبة. فضربه وعنفه قائلا: أن خير له أن يدرس مثالته السريانية من أن يسود الحائط»^٢.

في الولايات المتحدة الأمريكية :- وقد تعلّم جبران مبادئ القراءة والكتابة من بلدته بشرى قبل الهجرة إلى بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية. ولما وصلت العائلة إلى بوسطن

١ باحثة في قسم اللغة العربية، جامعة كاليفورنيا تحت الإشراف: د/ عبد المجيد إرئيس قسم اللغة العربية – جامعة كاليفورنيا

٢ ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، نوفل، بيروت – لبنان، ط: ٢٠٠٩ م، ص: ٣٩، ٤٠

اشتغلت الأم في الأعمال اليدوية في أحياء بوسطن، وفتح أخوه الأكبر بطرس متجرًا صغيرًا ليساعد أمه في تربية العائلة. وألحق جبران بالمدرسة تختص لأطفال المهاجرين، وهناك ظهرت مواهبه في الرسم وأدركتها إحدى المدرّسة وأرسلته إلى هولند داي، رجلاً مثقفا غنيا ومشجعا للفنون والآداب. ومنذ ذلك أخذ داي يساعده ماديا، ويقرأه ويعبر له الكتب المؤثرة في توجيه جبران الفكري والروحي، وفي تطويره الفني^١.

تعلّمه

وفي أثناء ذلك، أقرّت أمه وأخوه أن يعيداه إلى لبنان لمتابعة دروسه هناك. وفي سنة ١٨٩٨ م ركب جبران إلى لبنان والتحق بمدرسة الحكمة في بيروت لتعلّم اللغة العربية وآدابها، وبدون اللغة العربية أتقن اللغة الفرنسية وآدابها. وهناك اطلع على بعض كتب أعلام النهضة وكتب الفلاسفة والشعراء الرومانطيين الإنجليز والفرس، وفضلا عن قرأ بعض آثار الصوفية العربية. ومع هذا قرأ جبران بعض الكتب المقدسة منها 'الإنجيل المقدس' و'رؤيا يوحنا' و'سفر أيوب' و'نشيدة الإنشاد' كما اطلع على بعض كتب التراث العربي القديم.

وفي أثناء إقامته في بيروت إذ تلقى يوما برقية من أخيه بطرس يخبر بأن داء السل قد عمّ الأسرة واختطف أخته الصغرى سلطانه وتغلب المرض أمه حتى أصبحت تمرّ في أيامها الأخيرة. فعاد جبران إلى بوسطن في نيسان ١٩٠٢ م، حزينا كئيبا على أخته بدون إلقاء نظرة الوداع الأخير عليها. ولما وصل إلى بوسطن رأى أمه في المستشفى تقاسي داء السل. وبعد قليل أصيب أخوه بطرس بنفس المرض وتوفي في آذار سنة ١٩٠٣ م. وبعد ثلاثة أشهر ماتت أمه ولم تبق له في الحياة إلا أخته مريانا تشتغل بالإبرة للكسب على تعليمه. وفي حالة مرض أخيه بطرس اضطرّ جبران إلى الحلول مكانه في الدكان. ولكن تركه جبران الدكان بعد موته إلى اشتغاله بالرسم والكتابة الأدبية. وفي هذه الفترة اشتدّت العلاقة بينه وبين جوزفين بيبودي وماري هاسكل.

في باريس ونيويورك

سافر جبران إلى باريس على نفقة ماري هاسكل للتخصّص في فن الرسم بها عام ١٩٠٨ م. وكانت بلاد باريس وقتئذ أرض حلم للفنانين لتطوير فنونهم، فدخل جبران في أكاديمي جوليان، وأقام في مكان 'مونبارنس'. وفي الوقت نفسها أخذ جبران يتردد إلى أكاديمية «كولاروس»، المعهد المخصص للرسم ومركز اجتماع الفنانين الأجانب. وهنا أتاحت له الفرصة للاختلاط مع كثير من الفنانين الكبار مثلما أتاحت الفرصة لرؤية المعرض بما فيها من الصور العظيمة التي رسمها الفنانون والرسامون الكبار. وعقب عودته من باريس إلى بوسطن زار جبران ماري هاسكل، وأظهر لها حبه لزوجها ولكنها رفضت، وأثرت هذه الحادثة تأثيرا عميقا فيه إذ ورث الحزن والأسى. وبدأ جبران أن يبحث وسيلا لمعيشته لئلا يعتمد دائما على ماري هاسكل. وأنداك كان انتاجه الكتابي باللغة العربية لم يربح شيئا، فأخذ أن يرسم لمن يدفع الأجور مقابلته، وفي سنة ١٩١١ م أنشأ جبران جمعية أدبية عربية باسم «الجمعية الذهبية» وانقطع إلى رسم صور المشاهير في عصره ليس بقصد المال ولكن للإعلان فقط. ورسم

١ الدكتور نازك سابا يارد، المؤلفات الكاملة جبران خليل جبران، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ص: ١٦

صورة أستاذه رودان وغيرها من صور الرائعة المشهورة.

وفي خريف ١٩١٢م غادر جبران بوسطن إلى نيويورك، وانعقد معرضا تعرض رسوماته ولوحاته لأول مرة في نيويورك. ثم أخذ يتقن اللغة الإنجليزية في نيويورك، وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ جبران الكتابة فيها تدريجيا حتى أصبح معظم نتاجه بعد سنة ١٩١٨م باللغة الإنجليزية. وكانت صديقته ماري هاسكل تصحح كل ما كان يكتب بهذه اللغة تصحيحا دقيقا. وفي سنة ١٩٢٠م أسس جبران حركة أدبية مشورة في المهاجر باسم «الرابطة القلمية» مع ميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي حيث يتولى منصب الرئيس لها.

وفاته: وصار جبران مريضا منذ سنة ١٩٢٨م، حيث أحس بالآلام شديدة في ساقيه. فلجأ إلى شرب الخمر للتخلص من آلام المرض واضطرابه، ولكن الخمر أساء صحته حتى لم يقدر على دفاع المرض، وانهل جسمه بوطأة داء السل وتوفي في مساء يوم العاشر في شهر نيسان عام ١٩٣١م.

مؤلفات جبران

وقد خلف جبران أثارا ضخمة باللغة العربية والإنجليزية. وقد بدأ جبران الكتابة باللغة العربية أولا ثم انتقل إلى الكتابة بالإنجليزية. ومن أهم آثاره:

باللغة العربية:	باللغة الإنجليزية:
١. الموسيقى	١. المجنون
٢. عرائس المروج	٢. السابق
٣. الأرواح المتمردة	٣. النبي
٤. الأجنحة المتكسرة	٤. رمل وزبد
٥. دمعة وابتسامة	٥. يسوع بن الإنسان
٦. المواكب	٦. آلهة الأرض
٧. العواصف	٧. التائه
٨. البدائع والطرائف	٨. حديقة النبي

المرأة في حياة جبران

وقد نرى جبران يحب المرأة ويقدر دورها العظيم في مختلف مراحل حياته «أنا مدين بكل ما هو أنا إلى المرأة منذ كنت طفلا حتى الساعة، والمرأة تفتح النوافذ في بصري والأبواب في روحي. ولولا المرأة الأم والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة، لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين الذين ينشدون سكينه العالم بغطيطهم»^١.

وهذا ما كتب جبران في إحدى رسائله إلى حبيبته مي زيادة ليخبرها لولا المرأة ما أصبح جبران هو جبران خليل جبران الأديب الفنان، وقد حملته أمه «كاملة» منذ كان طفلا مع إخوته إلى بوسطن واستمرت تشجعه على

١ مقالة بقلم أمين سعدي "ماري هاسكل... أم جبران ومعشوقته التي لا تنكر" ١٧ يونيو، ٢٠١٨، <http://shaamtimes.net> ٢٣٣٢

تعليمه الفني وتبثّ روح الطموح فيه. وتقصد بالمرأة الشقيقة أخته «ماريانا» التي انقطعت إلى الاشتغال بالإبرة لخدمته ورعايته حتى في أيام مرضه. والمرأة الصديقة هي السيّدة ماري هاسكل التي كانت تكبّره بعشرة أعوام، وكانت المساندة طول حياته حتى وفاته. وهكذا نرى حضور النساء في حياة جبران بداية من والدته كاملة التي كانت لها تأثير كبير في مسيرته ككاتب وفنان وأديب ماهر. وكذلك نرى نساء أخرى التي أثّرن جميعا في حياته تأثيرا بالغا. ويكشف هنا بعضها بالتفصيل المجمل.

الوالدة كاملة

ومن النساء اللاتي أثّرن في حياة جبران أولا هي أمه كاملة بنت خوري اسطفان التي تمتاز بالشخصية القوية وعزيزة النفس والذكاء الفاتن، وكانت ماهرة أيضا في الموسيقى كما كانت تحتلي بثقافة فاضلة محمودة خلافا لوالده الذي كان سارقا وكسولا ويحتلي بالأخلاق السيئة مثل شرب الخمر ولعب القمار وغيرها. وأثرت الأم في حياة جبران تأثيرا قويا عميقا حتى نمكن القول أنها هي الوحيدة التي دفعت طفلها جبران إلى عالم الخيال والكتابة والرسم بحيث ما لم تصنع أي والدة أخرى بولدها. وقد علّمت ابنها مبادئ التعليم، وسردت له القصص المختلفة مثل قصة هارون الرشيد وقصة ألف ليلة وليلة في طفولته، وتلت عليه الآيات الكريمة من الكتب المقدسة وعلمته الأدب والثقافة. وهكذا قامت هذه الأم بتربية هذا الطفل في أحسن صورة حتى يصير أديبا موهوبا معروفا في العالم.

وقد وصف جبران الأمومة في كتابته «إن أعذب ما تحدّثه الشفاه البشرية هو لفظة «الأم»، وأجمل مناداة هي: يا أمي. كلمة صغيرة كبيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدرا يسند إليه ويذا تباركه وعينا تحرسه»^١.

مريانا:- هي أخت جبران التي أحبها حبا بالغا، والوحيدة التي بقيت له من العائلة بعد أن خطف داء السل أولا أخته سلطانة ثم أخوه بطرس وأخيرا أمّه كاملة. ولم يبق له في الحياة سوى هذه الأخت تقف إلى جانبه تواسيه في العقبات وتشجّعه على حياته الفنية، واشتغلت بالإبرة للكسب على تعليمه ورعايته. وهي التي أفهمت معلّمته «فلورنس بيرس» مواهب جبران الرسمية، والتي بواسطتها وصل جبران إلى الفنان المشهور «فريد هولاند داي».

حلا الضاهر

وأثناء دراسته في بيروت فقد استهوته فتاة تدعى 'حلا الضاهر' وأحبها حبا عميقا، إلا أن ثروتها ومكانة أسرته حالت دون تلاقحها مع حبيبها الذي ينتمي إلى أسرة فقيرة بسيطة. فنقم جبران على المجتمع الذي يقسم البشر إلى طبقات مختلفة. «فحالت تقاليد الطبقات دون زواجها ولقي الحبيب كثيرا من قسوة الحرمان وظلم

١ د/ درويش الجويدي، موسوعة جبران خليل جبران العربية، الدار النموذجية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ط: ٢٠١٠م، ص: ١٨٤

الأهل»^١. ومن هذا الحب العميق استوحى روايته المشهورة 'الأجنحة المتكسرة'. وإن حزن جبران على فراق المحبوبة فقد منح للعالم أروع رواية. وقد بدل فيها اسم حلا الزاهر إلى «سلي كرامة»، ونراه يعبر لبطله هذه الرواية 'سلي كرامة' عن حزن الفراق وناموس طبقة الاجتماعية الذي يفرق بين المحبين باسم الشرائع في المجتمع إذ أنه كان فريسا له. وقد تزوجت حلا زاهر رجلا آخر غير جبران، ولكنها لم تمت قبله كما نراها في نهاية الرواية.

ماري هاسكل

وبعد النكبة التي ألمت بالعائلة انصرف جبران إلى فن الرسم والكتابة باللغة العربية. وفي إحدى معارض رسوماته عام ١٩٠٤م تعرّف جبران على امرأة أرسطقراطية هي «ماري اليزيث هاسكل» التي صارت فيما بعد صديقة له طول الحياة. وكانت امرأة مميزة التي تحمل شخصية قوية، وثقافة واسعة، وذكاء حاد. وكانت تعمل كرئيسة لمدرسة خاصة للبنات في بوسطن. وبعد أن زارت معرض رسوماته عقدت معرضا في مدرستها للعرض بها. ثم تحولت الصلة بينهما إلى صداقة وطيدة. وأرسلته ماري إلى باريس للتخصّص في فن الرسم على نفقتها. وبعد عودته من باريس زار جبران ماري وأبدى رغبته في زواجها، إلا أنها رفضت طلبه. وقد بيّن صديقه ميخائيل نعيمة هذا الموقف بأروع صورة.

«ماري»؟ أتمشين معي؟

فأجفلت ماري واستغربت الانقلاب السريع في صوت جبران وحركاته وأجابته مستفهمة، وهي لا تعلم لماذا سألها مثل هذا السؤال ولماذا تستفهم معناه:

«والى أين يا خليل؟»

«والى حيث تدعونا الحياة».

«أوتعني الزواج يا خليل؟»

«نعم. هل تقطعين معي الطريق حتى النهاية؟»^٢

وقد تعرّف جبران فتاة أخرى من خلال ماري هاسكل، هي املي ميشلين، فرنسية الأصل، تعمل مدرّسة في مدرسة ماري هاسكل. ولقد شعر جبران بالحب معها في أول نظرة ألقى إليها بما لها من الجمال والحسن حظ وافر. وزارت ميشلين جبران قبل سفره إلى باريس، تبدي رغبته في الزواج ولكنه رفض بسبب أنه لا يحب أن تكون بينهما علاقة زوجية، ويرضى لأن تكون عاشقة له طول الحياة. ونراه لجأ إلى هذا الجواب مخيفا من نفور الأصدقاء والأحباء لأنه كان يدرس على نفقتهم خصوصا ماري هاسكل. ولما تلقت هذا الجواب رفضت ميشلين لأن تبقى عاشقة له فغادرت المكان ثم لم ترجع إليه بعد. وهكذا انتهت قصة هذا الحب بينهما إلى الأبد قبل أن تصل

١ الدكتور فوزي عطوي، جبران خليل جبران: عبقري من لبنان، دار الفكر العربي، بيروت، ط: ١٩٨٩م، ص: ١٨

٢ ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، نوفل، بيروت - لبنان، ط: ٢٠٠٩م، ص: ١٦٣

إلى الكمال والنضج.

مي زيادة:- وهي شاعرة لبنانية وفلسطينية، ولدت في بلدة الناصرة بفلسطين من والد لبناني ووالدة فلسطينية. وقد أحبها جبران عشرون عاما بدون لقاءها لمرة واحدة. وفي أثناء إقامته في نيويورك تلقى جبران رسالة منها تتعرف بنفسها شاعرة لبنانية وأعمالها الأدبية، وبدأت العلاقة بينهما بالمراسلات تستمر سنوات طويلة. ومن النادر أن يتحابا رجل وامرأة بدون حدوث اللقاء بينهما لو لمرة واحدة. وهذا ما حدث في أمر جبران ومي زيادة إذ أنهما لم يلتقا طول حياتهما. وكان قلب مي زيادة مأخوذا منذ صغره بجبران خليل جبران وحده، رغم أنها لم يلتق ولو لمرة واحدة. ولذا أخذت أن تكتب رسالة له، وكتبت أولا تتعرف فيها بنفسها وأعمالها الأدبية وإعجابها بكتابات. وأرسل جبران الرسائل ردا عليها. واستمرت هذه المراسلات حتى قبيل وفاته سنة ١٩٣١ م.

الخاتمة:-

هذه المقالة تريد الباحثة كشف حضور النساء اللاتي أثرن في حياة الكاتب اللبناني الكبير جبران خليل جبران. جبران خليل جبران هو من أبرز الأدباء المهجرين، نال مكانة عظيمة بين أدباء العربي في العصر الحديث،

المصادر والمراجع:

١. جبران خليل جبران: حياته، موته، أدبه، وفنه، ميخائيل نعيمة، بيروت ١٩٤٤ م.
٢. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث، دار الجبل، بيروت - لبنان، ط: ٢٠٠٥ م.
٣. درويش الجويدي، موسوعة جبران خليل جبران العربية، الدار النموذجية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ط: ٢٠١٠ م.
٤. د/ درويش الجويدي، موسوعة جبران خليل جبران العربية، الدار النموذجية، صيدا - بيروت، ط: ٢٠١٠ م.
٥. د/ فوزي عطوي، جبران خليل جبران: عبقرى من لبنان، دار الفكر العربي، بيروت، ط: ١٩٨٩ م.
٦. د/ نازك سابا يارد، المؤلفات الكاملة جبران خليل جبران، مؤسسة بحسون، بيروت - لبنان.
٧. محمد يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، الجزء الثاني، دار حافظة للطباعة والنشر، مدراس، ط: ١٩٨٢ م.
٨. مقالة في انترنت بقلم أمين سعدي «ماري هاسكل.... أم جبران ومعشوقته التي لا تتكرر» ١٧ يونيو، ٢٠١٨، <http://shaamtimes.net>



الاتجاه النفسي في القرآن الكريم

الدكتور/ يونس سليم^١

الملخص:

أن القرآن الكريم كتاب سماوي لهداية الإنسان إلى الصراط السوي، وقد اعتمد القرآن في خطاب الإنسان بعلم النفس القرآني الخاص، ونستطيع أن نصوغ علم النفس القرآني بتتبع آياته المتعلقة بهذا الصدد، وتتخلص هذه المحاولة في الفقرات الآتية. أن منهج القرآن في علم النفس منهج تكاملي، وهو يخاطب العقل ويتجه اتجاهها عقلا، وتارة يتجه نحو العاطفة ويخاطب القلب، وأما الطريقة العاطفية التي تدعو العقل كي يتعمق في الفكر والتدبر سائدة وعامة في الآيات القرآنية، فالآيات القرآنية أمثال «فالىنظر الإنسان مم خلق»^٢ و «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»^٣ و «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت»^٤ وغيرها من الآيات تقوم على إثبات البراهين بالحجج العقلية الإنسانية.

و'النفس في القرآن الكريم' مادة مستفيضة بهذا الصدد، أن الإنسان متكون من جسد وروح ونفس، وهذا العناصر لا يشتغل وحيدا بمعزل عن غيره، وأن العلم حول الجسد لا يندرج تحت نقاشنا، وأما الروح فعلمها عند الله، وهو مرفوع ومطوي عن الخلاق، وأما النفس قد استفاد القرآن الكريم حولها، وذكر صفاتها وأنواعها، وقد أودع الله في الإنسان نفسا، وخص فيها القدرة الربانية التقية والقدرة الشيطانية الشريرة، أي أن في استطاعة الإنسان أن يختار خيرا وشرًا، وله الحرية في اختيار الخير والشر، وذلك صريح بالآية القرآنية «ونفس وما سواها، فآلهما فجورها وتقواها»^٥ وفي نفس الوقت علّمه عاقبة الفجور والتقوى، وهي من الإستطاعات الفطرية المتضمنة في النفس، ولا تجبر نفس ولا تحاسب إلا بقدر استطاعتها، وذلك حسب الآية القرآنية: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»^٦ وقوله تعالى أيضا «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^٧

١ أستاذ مساعد ومُشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا.

٢ سورة الطارق، الآية رقم: ٥

٣ سورة الأنبياء، الآية رقم: ٢٢

٤ سورة الغاشية، الآية رقم: ١٧

٥ سورة الشمس، الآيات رقم: ٦-٧

٦ سورة البقرة، الآية رقم: ٢٨٦

٧ سورة الأعراف، الآية رقم: ٤٢

وقد اتجه القرآن الكريم اتجاها نفسيا بأن وصف النفس الإنسانية وخصائصها وأنواعها، وأسباب أنواعها وانحرافها، وقد عالج القرآن الكريم مواصفات النفس بدقة متناهية وشمول تام، وقد أشار القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع من النفوس، وهي: النفس الأمارة والنفس اللوامة والنفس المطمئنة، فالنفس اللوامة هي استعمال قرآني تمتلأ باليأس والألم بالأعمال السيئة التي حدثت في حياة الفرد، وإذا حدث عند الفرد فجور تلومه النفس اللوامة. ويقول القرآن الكريم عنها: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»^١، فالنفس الأمارة هي النفس التي يوسوس في الإنسان للإنسياق وراء الملذات والشهوات والأهواء، أن كل نفس تأمر بالسوء حسب المعنى القرآني كما نراها في سورة يوسف في قوله تعالى: «وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ»^٢ وأما النفس المطمئنة هي النفس النموذجية المثلى، وهي التي تحكم تحكمًا كاملاً في أهوائه وشهواته، وقامت هذه النفس بتوجيه شهواته إلى النطاق الذي حدده الشرع فقط، ونراها في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّاتِي»^٣. وقد عالج القرآن الكريم علم النفس التطوري (Developmental Psychology) أيضاً، ونستطيع أن نقسم نمو الإنسان حسب القرآن الكريم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى – النمو قبل الميلاد والمرحلة الثانية – النمو بعد الميلاد، وهذا التقسيم جامع شامل بحيث يتضمن سيكولوجية الطفولة وسيكولوجية المراهقة وسيكولوجية الشيخوخة، وأما الآيات القرآنية بهذا الصدد كثيرة تبدأ بعلم الجنين القرآني وتنتهي بمرحلة أرذل العمر.

الدوافع النفسية موضوع مستفيض في علم النفس العام وفي علم النفس الحديث معاً، وقد عالج القرآن الكريم هذا الموضوع أيضاً من خلال آياته، والدوافع عبارة عن القوى الإنفعالية التي تدفع الإنسان وتوجهه إلى غرض أو هدف منشود، ويمكن أن نقسم الدوافع الإنسانية إلى قسمين رئيسيين، هما الدوافع الفسيولوجية والدوافع النفسية الروحية، أن جميع الدوافع النفسية قد نال شأواً عظيماً في علم النفس العام، ولكن الدوافع الروحية قد أهملها علم النفس الحديث، والقرآن الكريم يتكلم عنه ويقول أن الاعتراف بربوبية الله موجود ومتأصل في فطرة الإنسان وذلك استناداً إلى قوله تعالى «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^٤ وما تشابه تلك الآية من موضوعات مثل الدوافع اللاشعورية والسيطرة على الدوافع وانحراف الدوافع وغيرها موجودة في القرآن الكريم. وهذا لا يشك أحد في أن العواطف والإنفعالات جزء لا يتجزأ لعلم النفس أياً كان، قرآنياً أم حديثاً، وهذا القسم أيضاً مستفيض في القرآن الكريم وقد وصف القرآن الكريم كثيراً من الإنفعالات للإنسان مثل الغضب والخوف والكره والفرح والغيرة والحسد والحياء والندم وغيرها، وقد ناقش عن أنواعها والحاجة إلى السيطرة على الإنفعالات لتحقيق الشخصية السوية.

١ سورة القيامة، الآية رقم: ٢٠-١

٢ سورة يوسف، الآية رقم: ٥٣

٣ سورة الفجر، الآية رقم: ٢٧-٣٠

٤ سورة الأعراف، الآية رقم: ١٧٢

الخاتمة

يعالج القرآن موضوعا هاما يندرج تحت علم النفس هو شخصية الإنسان والشخصية النموذجية وما يتعلق بذلك من موضوعات مختلفة مثل الفروق الفردية والتوازن في الشخصية وأنماط الشخصية وغيرها، وأما الموضوع الذي لم يعالج البحث في هذا الصدد فهو خطاب القرآن للإنسان وجوانب علم النفس فيه،

المصادر والمراجع

١. الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، النفس في القرآن، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي القاهرة، (٢٠٠٤م)
٢. البيه الخولي: آدم عليه السلام. فلسفة تقويم الإنسان و خلافته . القاهرة : مكتبة وهبه (١٩٧٤م)
٣. الدكتورة أمينة محمد نصير، إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق ، القاهرة (١٩٨٩م)
٤. الدكتور فائز محمد علي الحاج، بحوث في علم النفس العام: المكتب الإسلامي، رياض، (١٩٧٦م).



أدب الغربية : مرآة تنعكس عن أدب المهجر في مليبار

السيدة/حسينة بيغم تشارشيري^١

الدكتور/ سيد علوي . يو^٢

الملخص:

يطرح تاريخ كيرالا عن العلاقة بين بلاد العربية وكيرالا التي بدأت منذ قديم الزمان ويعود تاريخها إلى القرون قبل الميلاد. هذه العلاقة بدأت بعلاقة تجارية منذ أمد بعيد لم يعرف تاريخها . ثم تطورت هذه العلاقات بعد ظهور الإسلام فيها علاقة دينية وثقافية وحضارية. وكان التجار يأتون إلى كيرالا من مختلف الجهات لاستغلال التوابل والإنتاجات الزراعية والجواهر والحيوان والعاج والأشجار وغيرها مما كانوا غريباً ولا يوجد إلا في هذه الأرض. يعود تاريخ العلاقات الثقافية والتجارية بين ديار مليبار والبلاد العربية إلى ألفي سنة قبل الميلاد على الأرجح الأقوال^٣، وتؤكد الوثائق التاريخية.

العلاقة التجارية بين الهند والعرب

أن العلاقة التجارية بين الهند والعرب ظلت ممتدة منذ عهد سليمان (ع). «وكانت سواحل كيرالا مزدهرة بمنازل بعض العرب الذين استوطنوها من القرن الثاني قبل الميلاد»^٤ وليست الروابط التجارية للعرب مع جنوب الهند كانت للعرب إستعمارات عديدة في سواحل مليبار قبل سنين لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم. و بعد بعثة النبوية إجتهد بعضهم في دعوة الإسلام أيضاً. وكانت القوافل التجارية في عهد سائر بين الجزيرة العربية ومليبار ذهاباً وإياباً. وبعض التجار العرب استوطنوا بعض سواحل مليبار وأكثرهم من أهل الحجاز واليمن والبحرين. ولم يزل يتتابع هذه الحالة إلى عدة قرون. يعتبر دخول العرب إلى هذه الولاية ناحيتين، الأولى الناحية التجارية والثانية هي الناحية الدينية. فالأولى كانت قبل مجيء الإسلام، لأنهم وجدوا بلدة فيها خير الله ونعماته، فشغفت عقولهم وأبصارهم بطبيعتها الجذابة فسموها «خير الله» والتي صارت بعد 'كيرالا'.

وقد قدم وفود عديدة إلى كيرالا في مختلف العصور وعاشوا فيها كدعاة الإسلام ينشر الهداية واللغة وفي مقدمتهم مالك بن دينار كودنغلور (Kodungallur) و أرسل ابن اخيه مالك بن حبيب لبناء المسجد فخرج

١ أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية بالكلية ذات حكومية أم إي أس ممباد وباحثة في قسم العربية في كلية فاروق
٢ عميد الكلية مالايرم للدراسة المتقدمة، فينغرا و مرشد الباحثة.

٣ شريدهارا مينون .أس. : تاريخ كيرالا ، ص ٧٨٠ . ٧٩٠ (مليالم) :

٤ دكتور تارا جند تأثير الإسلام في ثقافة الهند، صفحة ٣٠

إلى كولم (kollam) فبنى مسجدا ثم انتقل مع أسرته إلى منغلابرم، وشريكاندفرم، وابراملا، وكاسركود وعمرهوا بالتعليم الإسلامي وتلاوة القرآن والمواظب الحسنة وبدراسة الأخلاق المحمودة والقيم الإنسانية فتولدت ثقافة جديدة وحياة سليمة خالية من العقائد الفاسدة وتقاليده الدينية الباطنة. لاشك في أن الحقائق التاريخية والوثائق الخالدة تشير قوة العلاقة وتأثير الثقافة والحضارة بين هذين البلدين حتى تأثرت هذه العلاقة في كل مجال حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومحاولاتهم حتى نالوا معيشتهم من هذه البلاد المترامية الأطراف وغرسوا فيها حضارتهم القيمة.

منطقة الخليج العربي أو الدول العربية في الخليج العربي (Gulf Arab Emirates) هي منطقة جغرافية في جنوب الغربي من قارة آسيا التي تطل على الخليج العربي وتقع عموما في جزيرة العربي. ودولها شاملة كاملة بأجزاء من السعودية والإمارات وعمان والكويت والبحرين والقطر. واللغة العربية هي اللغة الرسمية لهذه الدول. معظم دول هذه المنطقة جزء من مجلس التعاون الخليجي. كان سكان منطقة الخليج العربي يعتمدون على البحر لاصطياد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، كانت التجارة هي المحطة الأولى للتجار العرب ولكن بعد البدء بالاستخراج التجاري للنفط ونشوء دول دخولها من النفط والغاز كبيرة. بدأت تطورات هائلة لبناء البنية التحتية. هذه الدول لديها تعداد سكان صغير مما أدى لارتفاع معدل دخل الفرد لمستويات أعلى من تلك الموجودة في الدول المجاورة، ولتعويض نقص العمالة في السوق العالمي فإن هذه الدول تستضيف عددا كبيرا من غير المواطنين الوافدين من جنوب وجنوب شرق آسيا صارت هذه البيئة فاتحة المجالات صناعية الحديثة وأعمال متواترة في البلاد العربية. اكتسب العرب بها أموالا طائلة وغناء محسودا ولكن كان هذا بمساعدة العمال والموظفين والبنائين الذين جاءوا إليهم من مختلف أنحاء العالم. وولاية كيرلا من أهم هذه المناطق هاجر منها أهاليا إلى البلاد العربية في هذه المناسبة. وقد قسم المهاجرين إلى ثلاثة، الماهرون (skilled) الماهرون نصفية (semi-skilled) الموظفون (officials)

إن العرب بعد ظهور النفط، وحاول أهالي البلاد العالمية شرقا وغربا إلى الإتصال مع العرب بامتلاكهم هذا الوقود المركبي الحديث احتاج العرب إلى تطورمادى من حيث المباني والمتاجر والأسواق وشركات. فاحتاجوا لهذه التوسيعات المادية إلى عمال وبنائين الماهرين. أهالي كيرلا استعملوا هذه الفرصة الذهبية فصاروا محتلين إلى الخليج بطرق السفن البحرية أولا في بداية بطريق مشروعة أو غير مشروعة. ولما سمع المليباريون هذا وفهموا تلك الفرص الموجودة في تلك البلاد النامية لكسب معاشهم فيها. وبدء المليباريون هجرتهم إلى الخليج العربي منذ منتصف القرن العشرين. كانت هذه الهجرة شبيهة بهجرة اللبنانيون و السوريون مهاجرون إلى ولاية المتحدة الأمريكية الشمالية والجنوبية. وكانت رحلة المغتربين في سنوات الأولى مليئا بالمشقات والإضطرابات. لأنهم كانوا يركبون سفنا صغيرة فوق مستوى العداد المطلوب. ازدادت هذه الرحلة من كيرلا شيدت سنة بعدة سنة. صوّر سليم أحمد (Salim Ahmed) هذه الرحلة المشقة في فيلمه بأحسن شكل. إن بلاد العربية لعبت دورا هاما في تطور الثقافة والحضارة كيرالا خاصة في مليبار. وبالجمله نستطيع أن نقول أن الدخل الوطني يعتمد إعتمادا كثيرا بمغتربين.

تأثير الهجرة في الأدب المليبار

النثر:- المغتربون من كيرالا يعملون بكمية كثيرة في الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت وسلطنة عمان وغيرها من البلاد العربية. نستطيع أن نرى شعورهم قد عُبر بشكل الشعر والنثر. و يصور الأدباء من كيرالا آمهم وأفكارهم في مجال الأدب. وهذه الأعمال او القطعة الأدبية يسمى أدب الغربة. هناك مثالان معروفان في النثر «حياة الماعز» (Goat Life) لبنيامين (Binyameen) وبرسة (Bharsah) لدكتورة خديجة ممتاز (Dr.Khadeeja Mumthaz). هما روايتان تصوران بصورة واضحة المشاكل اللاتي يعانها المغتربون في حياتهم في بلاد الغربة. وقد ترجم سهيل وافي رواية بنيامين Goat Life إلى اللغة العربية.

الشعر:- في مجال الشعر نرى الشعر الخطية (Kathu Pattu) في المليالية أو خط دبي (Dubai Kathu) التي تولدت من خيال الشاعر القدير أس-أي جميل (S.A.Jameel) وهو شاعر مشهور وطبيب ماهر في علم النفس. الشعر الخطية هي المسجل الشعري في الأدب المهجري في المليبار. هذه الأغنية تحتوي جزءين. الأول خط الزوجة إلى زوجها، تبدأ «يا زوجي المحترم» وفيها تطلب الزوجة العودة من زوجها من الخليج وهي تصور ألام الفراق التي تعانها في حياتها. والرسالة الثانية هي جواب تلك الرسالة، يكتب الزوج لزوجته عن الحياة المنفصلة من الزوجة في الخليج العربي، ويصف الشاعر العواطف والآلام والأحزان في الحياة المنفصلة اللاتي يواجهها المغتربون في البلاد العربية. الشاعر المليباري محمد ضياء الدين الفيضي شاعر موهوب قد قرض أشعارا وقصائد عديدة في شتى الموضوعات وقد نشرت له عدة قصائد ومقالات حول موضوعات متنوعة في دوريات مختلفة في العربية والمليالية. ينظم الشاعر في بعض الأغراض مثل الوصف والمدح والثناء، ونظم الشعر في الموضوعات الراهنة ومشاكل المجتمع خاصة المشاكل المغتربين^١ في الخليج العربي التي يواجهونها ووظائفهم في الحياة اليومية. و في قصيدته «الغربة» يصف الشاعر عيش العمال والأجانب الذين يقضون حياتهم في الدول الخليجية تحت ضيق وعناء، وعنّف بعض الكفلاء وسوء تعاملهم. ومطلعها:

يَشْتَاقُ عَيْشَ خَلِيجٍ مَنْ عَدَا طَمِعاً مَنْ ذَاقَ طَعْمَ خَلِيجٍ لَيْسَ يَشْتَاقُ
قَلْبُ الشَّبَابِ رَهِيْنٌ بِالْخَلِيجِ لَهُ تَشْتَدُّ أَشْوَاقُهُمْ تَمْتَدُّ أَعْنَاقُ

الخاتمة

السينما هي أفضل وسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر والآراء والحجج بين الشعب الجديد. بدأت الأفلام تعرض في المدن الكبرى الهندية منذ أوائل القرن العشرين بدأ المليباريون الهجرة إلى الشرق الأوسط منذ السبعينات في منتصف القرن العشرين. كانوا قبل ذلك يهاجرون إلى دول برما وسيلان وماليزيا وبلاد متجاورة أخرى سعياً وراء العيش كما كان الأدباء المهجريون يهاجرون إلى أميركا الشمالية و الجنوبية. وكانت رحلة المغتربين في السنوات الأولى مليئة بالمشقات والعناء لأنهم كانوا يركبون سفناً صغيرة وعدد الركاب غالباً يكون فوق مستوى

١ الذين هاجزو إلى البلاد العربية للمعاش.

العدد المطلوب و منهم من لقوا حتفهم أثناء سفرهم بقلّة الغذاء والدواء ومظهر ذلك النوع من السفر ينعكس في سينما المليالمية المسماة بتيماري (Pathemari) والذي يشرف عليه هو مخرج الفيلم المشهور سليم أحمد (Salim Ahmed) وكذا سينما خدامة (Ghadhama) وديوتنري وكرتكض (Daivathinta Vikrithikal) والشارقة إلى الشارقة (Sharjah to Sharjah) ودبي (Dubai) و تنكضايجا نلا ديواسام (Thinkalaycha Nalla Divasam) وأكرى أكرى أكرى (Akkara Akkara Akkara) و أكرى ننورو مارن (Akkara Ninnoru Maran).....الخ. هذه الأفلام المليالمية تعكس الحياة الإغترابية في الخليج العربي.

المصادر والمراجع

١. الأستاذ عيد الرحمن باوا الملباري: تاريخ الإسلامى هيئة السنية بكيالا، المجمع المركز التجارى- كاليكوت كيالا، ١٩٩٧م
٢. الدكتور محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضارتها وديانتها، دار الشعب، بالقاهرة سنة ١٩٧٠م
٣. الشيخ زين الدين الملباري: تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، مكتبة الهدى كاليكوت، الهند
٤. عبد الغفور عبد الله القاسمي، المسلمون في كيالا لأستاذ ص ٥١، ملازم ٢٠٠٠م
٥. <http://goo.gl/n9UnARdubayikkoru kathupath# mappilapattukal>
٦. www.wikipedia



١ المخرج سينما المليالمية بتيماري (Pathemari)

٢ سينما مليالمية مخرجه كمل (Kamal)

٣ سينما مليالمية مخرجه لن راجيندرن (Lenin Rajendran)

٤ سينما مليالمية مخرجه جوشي (Joshiy)

٥ سينما مليالمية مخرجه بتمراجن (Padmarajan)

٦ سينما مليالمية مخرجه پريدرشن (Priyadarsan)

٧ سينما مليالمية مخرجه غريش (Gireesh)

القصائد الغزلية في أشعار الشاعر الهندي عبد الله محمد السلمي

السيد/عبد الحكيم^١

الملخص:

لقد أنجبت ولاية كيرالا العديد من العلماء البارزين والكتاب الممتازين والشعراء المرموقين الذين ساهموا كثيراً جداً في تعميم اللغة العربية وآدابها وعلومها الدراسات الإسلامية بواسطة كتاباتهم القيمة وتأليفاتهم النبيلة وخدماتهم العلمية والأدبية المرموقة، وهم احتلوا مكاناً عظيماً مرموقاً في تاريخ ولاية كيرالا، وقد ذاع صيتهم في البلاد العربية الإسلامية والعجمية، ومن هؤلاء الشعراء الذين تفتخر بهم الهند هو الشاعر الكبير الأستاذ عبد الله محمد السلمي. يعد الأستاذ من أهم الشعراء المرموقين في الهند على العموم وفي ولاية كيرالا على الخصوص الذي لا يزال يلعب دوراً هاماً في إثراء اللغة العربية وآدابها بأشعاره البديعة منذ السبعينات من القرن العشرين، وله مكانة مرموقة في خدمة تدريس اللغة العربية وفي تنمية الأخلاق الحسنة عند الطلبة، قد اختار الأستاذ السلمي اللغة العربية وسيلة لتعبير أفكاره ومشاعره وخواطره وطموحاته أمام المجتمع العربي والعجمي، وجال إلى أنحاء الهند شرقاً وغرباً ونهل من جامعاتها مؤسساتها ومجامعها العلمية، ثم أسهم في مجالات العلم والأدب والفنون المختلفة، وركز جهوده المشكورة على النهوض بالمسلمين بأشعاره الرائعة البديعة في عصرنا الحاضر، وأثرنا بما لا بأس به من أشعاره من الغزل والمرثية والوصف والمدح والتهنئة وحب الوالدين والحب العذري والعواطف الإنسانية وما إلى ذلك، وفي مقالتي هذه قد ركزت على أن أذكر على القصائد العربية الغزلية التي قرضها في ديوانه كما حاولت أن أسجل نبذة من حياته ومساهمته الكبيرة ودوره في تعزيز اللغة العربية في ربوع كيرالا (الهند).

نظرة خاطفة على حياة الشاعر عبد الله محمد السلمي

ولد عبد الله محمد السلمي في ٢٦ مايو ١٩٥٢ م بقرية كوتيل قرب منكدا في مقاطعة ملابرم كيرالا (الهند)^٢. نشأ وترعرع في أسرة علمية دينية لها صيت وفضل كبير في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية في ولاية كيرالا، وكان أبوه عالماً فاضلاً وخطيباً بارعاً كان يلقي خطبة قيمة في شتى المساجد يقول « كانت الأسرة أسرة دينية، وكان أبي مثقفاً دينياً وعالماً تقياً وخطيباً بارعاً في شتى المساجد في ولاية كيرالا، وكان رجلاً دينياً معروفاً بالصلاح

١ الباحث في الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، بجامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.
٢ السلمي، عبد الله، الغلاف الأخير لديوان شعر، قطرة من اليم، (كيرالا: دار الأديب (الهند) سنة الطباعة ٢٠١٥ م).

والتقوى والفروق عن المنكرات والأعمال التي لا علاقة لها بالإسلام عن بعيد، وكذلك كان يلقي خطبة قيمة في شتى المساجد في ولايتي كيرالا. وكان أبي أيضا مدرسا بارزا في شتى المدارس الدينية في ولايتي، كان اسمه محمد المولوي، وكان اسم والدتي الكريمة المرحومة فاطمة، ولي أخوان شقيقان، وأخوات ثلاثة، ولي ثلاثة أبناء وثلاث بنات كلهم حاملون (الحمد لله) على شهادة الماجستير وفوقها في مختلف المواد من عربية وإنجليزية واقتصادية^١.

تلقى مباديء القراءة والكتابة، وحفظ بعض سور القرآن الكريم دون أي خطأ فاحش، وبعد ما أتم دراسته الابتدائية قد التحق بالجامعة الندوية كيرالا حيث درس فيها نحو ثلاث سنوات، ثم درس في الكتاتيب المختلفة بكيرالا، ثم التحق بكلية سلم السلام العربية أريكود حيث حصل على شهادة «أفضل العلماء» (البكالوريوس) في الدراسات الإسلامية والعربية وأدائها تحت جامعة كاليكوت، وحصل على شهادة «الماجستير» في اللغة العربية وأدائها من جامعة عليجراه الإسلامية (الهند).

عمل كونه محاضرا في كلية الأنصار العربية فلافور التابعة لجامعة كاليكوت (كيرالا)، وكذلك عمل كعميد الكلية مدة سنتين، ثم كونه عميدا للجامعة الندوية في إيدوانا نحو سنتين ووكيلا للجامعة أيضا، ثم تقاعد من هذا المنصب في عام ٢٠٠٧م، واشتغل كعميد في كلية بستان العلوم العربية ثم في الكلية السلفية، وكذلك تولى عميد كلية الكاتب الشرعية ترور نغادي مدة ثلاث سنوات، وكذلك عمل عضوا في هيئة التدريس في جامعة كاليكوت حوالي ستة سنوات، وكان الأمين العام لاتحاد أساتذة الكليات العربية في كيرالا، وكان مشغولا في منصب سكرتير في جمعية دار البر الخيرية في دبي الإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٨٨م، وقام بزيارة عدة بلاد منها: المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان، واليمن، ودولة قطر، وسريلانكا وغيرها، وهو يشغل الآن كأستاذ زائر في جامعة الهند الإسلامية مالابورم بكيرالا (الهند).

الأستاذ السلي له خبرات موسعة في العلوم والفنون، وله مهارات فائقة في قرض الأبيات العربية الفصحى، حيث عالج في شاعريته جميع نواحي الحياة البشرية من سياسة وأخلاق وتعليم وفلسفة وأدب وتاريخ وعلوم أخرى، وأنه قرض الأبيات العربية الرائعة بأسلوب رائع جذاب خلاب وشيق مما يرغب القاري أن يقرأها ويطلعها في آن واحد. له عدة دواوين ومن أهمها: صدى من القفص، وقطرة من اليم، (مطبوعات)، ونبضات وخواطر (تحت الطبع لم تنشر بعد وفي طريق النشر)، عويل وآهات (مخطوطات) وغيرها من الأعمال الأخرى.

القصائد الغزلية في أشعار عبد الله محمد السلي

يعد عبد الله محمد السلي من الشعراء الكبار في ولاية كيرالا (الهند)، له جولة وصول في قرض الأشعار العربية الفصحى، قرض الشاعر قصائد ومنظومات كثيرة تتعلق بموضوعات مختلفة من الحب والغرام والوصف والمدح والثناء وحب الوالدين وتصوير آلام الناس عند النكبات والأزمات مثل السونامي والزلازل الذي كان حدث قبل عدة سنوات في كيرالا، وأن هذا التنوع في موضوع الشعر العربي يدل على قدرة الشاعر ومهارته التامة

١ نقلا عن الحوار الذي قام الباحث بإجرائه معه خلال زيارة كيرالا بتاريخ ٢٧/٠٧/٢٠١٨، وقد تم نشره في مجلة «أقلام الهند» الصادرة بدلهي السنة الثالثة، العدد الرابع، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١٨م.

وخبراته الفائقة على قرض القصائد والمنظومات العربية الكبيرة أو الصغيرة. وأنه أجاد في تصوير أحوال نفسه عند فقد الأحباء والأصدقاء والأساتذة والقادة والزعماء المخلصين الذين بذلوا قصارى جهودهم في رقية الأمة المسلمة وتقدمها في داخل الهند وخارجها على العموم وفي ولاية كيرالا على الخصوص مثل الشيخ عبد العزيز المنقادي والسيد محمد علي شهاب وموسى المولوي وحسن محي الدين المدني والشاعرة الأدبية كملا ثريا وغيرهم.

مفهوم شعر الغزل

الغزل هو نوع من أنواع الشعر الذي يعتبر من أهم فنون الشعر في الآداب العالمية مثل الأدب الفارسي والأدب التركي والأدب الأردني، وقد عرف الغزل في تلك الآداب بنفس الاسم، كما يعرف بالأدب الإنجليزي باسم «Ghazal»، على كل حال أن الغزل يعرف في الأدب العربي لغة واصطلاحاً كالتالي:-

الغزل لغة

مصدر الفعل الماضي غزل، ومضارعه يغزل، ومزيده تغزل ويتغزل، والحقيقة أن كلمة غزل وردت في المعاجم والقواميس بمعان عديدة فيقال: غزلت المرأة تَغْزِلُ غزلاً بِالْمَغْزَلِ، والغزال: الشادن حين يتحرك ويمشي قبل الإثناء، والغزالة: عين الشمس، والغزالة: الضحى، الغزل حديث الفتيان مع الجواري، يقال غازلها مُغَاظِلَةً^١. وقد عرف لنا صاحب المعجم الوسيط قائلاً «غزل- غزلاً: شغف بمحادثة النساء والتودد إليهن، أو الوصف لهن ولشعوره نحوهن، فهو غزل»^٢. وبين الفيروزآبادي مفهوم الغزل بقوله «غزلت القطن تغزله واغزلته، فهو غَزْلٌ، بالفتح أي: مغزول. ونسوة غَزْلٌ، كزُكْعٍ، وغَوَازِلُ، والمَغْزَلُ، مُثَلَّثَةٌ الميم: ما يُغْزَلُ به، وأغْزَل: أدرة. والمَغْزِيلُ: حَبْلٌ دقيقٌ. ومُغَاظِلَةُ النِّسَاءِ: مُحَادَثَتُهُنَّ، والاسم: الغَزْلُ، محركة، وكمقعد. والتغزل: التكلف له، وككتيف: المُتَغَزِّلُ هِهَنَّ، وقد غَزَلَ، كفَرَحَ، والضعيفُ عن الأشياء، والأَغْزَلُ من الحُمَى: ما كانت معتادةً للعليل مُتَكَرِّرةً، وغازِلُ الأَرَبِيِّينَ: دَنَا منها»^٣.

مفهوم الغزل اصطلاحاً

إن معنى الغزل هو التحدث إلى النساء والتودد إليهن، بمعنى أن يتطلب إلى الرجل التحدث والتكلم إلى المرأة حديثاً يؤثر في نفسها ويجذبها، كما يذكر أحمد حوفي في كتابه (الغزل في عصر الجاهلي) بقوله «الغزل شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الإنسانية، وعن المشاعر التي تنبعث منها، حين يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف، فهو يصور أحوال النفوس بما لا يصورها غيره من الموضوعات، فهو يكشف عن دواخل المحبوب وسرائره وينبع من عاطفة صادقة»^٤.

بعد الدراسة الخاطفة اتضح الأمر أن الغزل يقصد به التغني بالجمال وإبراز محاسن الحبيبة وجمالها

١ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، محمد المخزومي، إبراهيم السامرائي، (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م)، مادة غزل ص: ٢٧٩

٢ المعجم الوسيط، دار المعارف دويند الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، مادة غزل ص: ٦٧٥

٣ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة. مادة غزل ص: ١١٨٦

٤ الحوفي، أحمد، الغزل في عصر الجاهلي، (لبنان: دار القلم، بيروت، ١٩٦١م)، ص: ٥٠

الجسدية وحسنها البدنية، فمن خلاله يستطيع الشاعر أن يعبر عن ما يداخله من إعجاب بجمال محبوبته سواء جمال عيونها أو جمال شعرها أو غير ذلك، وأما الشاعر عبد الله محمد السلي له يد طولى من وصف محاسن المرأة وجمالها الجسدية والبدنية والباقي من أعضائها، وأجراء الحوار بينه وبين الحبيبة وكذلك له مهارات فائقة في التعبير عن الحب وأحاسيس المحبين وانفعالاتهم وما تعكسه تلك الانفعالات في النفس من ألوان الشعر، كما نشاهد بأعيننا أنه كتب العديد من القصائد الرائعة المنمقة في شعر الغزل بعنوان متعدد مثل ذكرها الخالدة أهلاً وسهلاً، وأن الجمال جمالها، ولا تغذليني، وقد كنت أوتر، وجئت الجوانح، وسالبة كل وموجة كل، إذا نا جفني، وأليف السهاد، وذكراك أحلى، والحب العذري، وغيرها الكثيرة. لكننا سنقوم هنا بدراسة تحليلية لعدة قصائد الغزلية احترازاً عن الطولة.

قصيدة «ذكرها الخالدة أهلاً وسهلاً».

تعتبر هذه القصيدة المسماة بـ «ذكرها الخالدة أهلاً وسهلاً» من أفضل القصائد التي قرصها الأستاذ عبد الله محمد السلي تعبيراً عن حبه العميق وعواطفه الحساسة تجاه المرأة، قد ألقى الشاعر هذه القصيدة في أمسية شعرية بمناسبة تكريم الشعراء العباقرة الذين قاموا بأعمال جليلة في تطور الشعر العربي في ولاية كيرالا بشكل خاص وفي الهند كلها بشكل عام في كلية سلم السلام بأريكوت، وقد ذكر فيها الشاعر ذكريات بداية حبه قبل أربعين سنة كما يقول:

أتاني صوتها فسمعت حلوا	فلما أقبلت نحوي ارتعدت
فداخلي هواها حيث كنت	خليا فانتشيت وما استقمت
فرشت لها القلوب سرير حب	وفي عيني بها بدرا رأيت
فقالت: هل تطالبي تريد...؟	فقلت: أنا لغيرك ما هويتُ
فقالت: هل تراني مثل ليلي	مليحة قيس مجنون غريت
فأذهلني السؤال وكنت أذري	فأسبلت العيون كما ظننتُ ^١ .

ويصور الشاعر عن نفسه بتلك الأيام التي كان يأتي فيها إلى محبوبته، ويجلس قليلاً في جوارها، ويتعامل معها برفق ولطف معبراً عن حبه العميق، يذكر وهو يصور ويتذكر مما مضى معه قبل أربعين سنة، ثم يحاول محاولة جادة أن يبدأ الحوار من جديد كقوله-

أتيت إلى جوارك كنت فذا	فكنت فريدة لما رأيت
وكان الصمت مثل جواب خرس	كأني ما سمعت وما دريت

١ السلي، عبد الله، ديوان شعر، نبضات وخواطر، (هو الآن تحت الطبع في دار الياسمين للنشر والتوزيع في الشارقة بالإمارات العربية المتحدة)، ص: ٧٦

إذا حاولت شرح شعور نفسي كأني كنت لا شك عييت
نظرت إلى محياها فعفوا فحيرني هياكلها جننت
فاللهم يا ربي فهذا لأي الهدف مذهولا خلقت^١.

وعندما سكنت الشاعر في ذلك الحين تقول الحبيبة لحبيبه لماذا أنت صامت يا حبيبي؟ لماذا قد غشيت عليكم آثار السكوت؟ تعال تعال معي! إذا أنت مستعد ببيع القلب فاعلم من نفسي سأشتريه من دون شك وتردد، وبعد الحين قد باع الشاعر قلبه مقابل الحزن والهم والشقاء والعناء، ومما يجدر بالذكر أن معظم الشعراء في الآداب العالمية مثل الأردو والهندي والإنجليزي والفرنسي لا يذكرون قط أسماء الحبيبة والمحبة التي يحبونها في حياتهم الفردية في شعر غزلهم، بل أن جميع القصيدة من قصائدهم تدور حولها من توصيف محاسنها العطرة وخصالها الحميدة المعطرة، وفضلا عن هذا أن أمر السلي يختلف قليلا بل أنه يذكر أحيانا اسم الحبيبة في نهاية الأبيات للقصيدة الشيقة، وهذا أمر مدهش للغاية، كما نلاحظ في هذه القصيدة حيث ذكرها اسم الحبيبة التي كان في حبا في الطفولة والصبا، وهي التي كانت موجودة في ذلك الحين عندما كان الشاعر شابا في أيام الدراسة الجامعية يذكر هو مصورا عن جمالها وحسنها وصورتها الباهرة كقوله-

وقالت: لم صماتك يا حبيبي؟ تقدم، إن تبع فأنا اشتريت
جمال حير الأذهان أهلا وسهلا يا عزيزي ما ارعويت
شربت الحلو من أحلى شفاه يريقك لا أمل وما ارتويت
وعشرين السنين لها ضميري بعشق أو صبايتها قرئت
عجيب في الدنا سبع وهذي عجيبة سبع سماوات وعيتُ
وهذي سلمة طُرحت بوجهي على هذا التراب فما حظيتُ
فمن يأتي بمثلك في ثراها على مرالسنين فلا ما حيتُ^٢.
قصيدة «إن الجمال جمالها».

تعد هذه القصيدة من أهم القصائد الغزلية التي قرضها الأستاذ عبد الله السلي في ذكريات زبيدة التي كانت جميلة جدا، وقد ظهرت عواطفه الحب والود والوداد والغرام نحو زبيدة الجميلة التي ظهرت في سماء النساء منفردة في محاسنها النبيلة وخصالها الحميدة العطرة، كما يذكر ذكريات زبيدة وهو يتمنى ويرجو ويدعو لزبيدة خاصة بأن الله تعالى أن يبقى جمالها وحسنها على وجه الأرض دائما، وأن يطيل حياتها حياة مديدة، ولا

١ السلي، عبد الله، : ديوان شعر: قطرة من اليم، الناشر: دار الأديب كيرالا (الهند) سنة الطباعة ٢٠١٥ م، ص: ٢٦.
٢ السلي، عبد الله، : ديوان شعر: قطرة من اليم، الناشر: دار الأديب كيرالا (الهند) سنة الطباعة ٢٠١٥ م، ص: ٢٦-٢٧.

يزال يبقى اسمها في قلبه حيا، ولا يزول أبدا، كقوله-

ردي إلينا عهد سلمة والتي كانت تحب وفاقي أناها
إني أتيت يا زبيدة خلوة حتى أحقق في الدنيا بمناها
طوبى لمن يرعى عن المحاسن خشية من فوتها طوبى لمن يهواها
يا أيها الفوج الكريم تيقنوا إن السعادة في حصول هواها
وإذا افتقدتك مرة في يومنا وأنا اكتفيت بطيفها مرأها^١.

إن هذا المثل مشهور جدا بأن «الجمال قوة والابتسامة سيفها»، يبدو لنا بعد دراسة هذه القصيدة المطولة أن جمال زبيدة وحسنها غالب على قلب الشاعر، وأنه قد أثر على قلبه أشد تأثير، من أجل ذلك أنه يتمنى بدوام الصحة والعافية لها من خلال أبياته، ويدعو لها بأن يكون جمالها باقيا، ولم يزل حيا ولا يزول اسمها من قلبه قط، وجدير بالذكر أن زبيدة لم تنل جمالها وحسنها كبرا عن كابر بل أنها اكتسبت هذا الجمال بهمتها وشجاعتها وجراعتها وبتهذيب خلقها النبيلة وخصالها الحميدة الحسنة التي تتصف بها كما نلاحظ في نهاية هذه القصيدة كقوله-

حيوا معي هذي الفتاة هدية وعيون حسّاد تدور رحاها
ليس الجمال وراثة عن غابر إن الجمال جمالها بصفافها
لوكان وصفك يا إلهي قرية وأنا اصطفت جمالها قرباها^٢.
قصيدة «ناديت باسمك».

وكذلك جاءت قصيدة أخرى في هذا النوع من الوصف والثناء بعنوان «ناديت باسمك» والحقيقة أن هذه القصيدة قصيدة بديعة في شعر الغزل حيث يقول عبد الله السلي في ذكرى صديقة كانت تسكن في السودان، فإن هذه القصيدة تدل على تصوير ألم الفراق والبعد والهجران كما يقول وهو يخاطب محبوبته:

ولكم بك ناديت باسمك صارخا لا لا يجيب فصار صوتي أضيعا
إن التسهر والسهاد كلاهما لا يرحان العين ما دمت هاجعا^٣.

الحب العذري

لاشك فيه أن الله تعالى خلق الإنسان على وجه الأرض وأوجد في قلبه عاطفة الحب والغرام، فلذلك

١ المرجع نفسه، ص: ١٤٦

٢ المرجع نفسه، ص: ١٤٧

٣ المرجع نفسه، ص: ٤٩

استطاع الإنسان أن يعبر عن خواطره ومشاعره وعواطفه نحو الحب والمحبة بعدة طرق ومنها الشعر العذري، والحب العذري هو لون من ألوان الشعر الذي يعبر فيه الشاعر المشاعر والخواطر عن محبوبته بعيدا عن وصف محاسنها وجمالها وصفاتها الجسدية والبدنية وغيرها من الأعضاء، وقد سمي هذا النوع من الشعر بالعذري نسبة إلى قبيلة عربية حملت اسم «عذرة» التي كانت موجودة في عصر الجاهلية وعاشت في أطراف الجزيرة العربية ومنها انتقل إلى بقية القبائل العربية كقبيلة عامر وغيرها، واعتبر الحب العذري من أحد فنون الشعر الذي اشتهر به الشعراء في العصر الجاهلي، ثم ما لبث إلا أن تطور وتقدم عبر العصور حتى يومنا هذا، وقد اشتهر في شعر هذا الحب كثير بن عبد الرحمن الذي اشتهر بحبه لعزة، وجميل بن معمر الذي اشتهر بحبه لبثينة، وقيس بن الملوح الذي اشتهر بحبه للبي، وأصبح هو مثالا تاريخيا عجيبا وغريبا للحب العذري في الأدب العربي، ويؤمن عبد الله محمد السلي على هذا النوع من أنواع الشعر ويعتمد عليه كل الاعتماد، لأن هذا النوع من الحب العفيف الطاهر بعيد عن فحش التصوير كقوله-

وقدمت حي لا يراه مصاحبي وأما حسودي لا يغيب عن الحب
ولو لا أخاف الله يعلم غيبا فهذا حسودي فهو علام الغيوب
ويشهد عنا كل أملاك ربنا وأعبد رب العالمين بلا رب
بحب أعف الناس حب لعذرة فذاك لحب ليس فيه كذوبي^١

وعلاوة على هذه القصائد هناك عدة قصائد غزلية رائعة قرضها عبد الله السلي في هذا المجال.

الخاتمة

تناولت بعض القصائد الغزلية التي قرضها الشاعر المحب لدى الناس أعنى عبد الله محمد السلي بالدراسة والتحليل العلمي، وأن هذه الحقائق لا تنكر ولا تجحد أن الغزل هو مجال محب لدى الشاعر منذ الطفولة والصبا، وكذلك له شغف كثير في تصوير أحوال النفس عند فقد الأحباء والأعزاء الأقارب والأصدقاء والأساتذة والزعماء والقادة مثل الشيخ عبد العزيز المنقادي والسيد محمد علي شهاب وموسى المولوي وحسن محي الدين المدني والشاعرة الأدبية الشهيرة كملا ثريا وغيرهم الكثير. والشاعر المبدع له قدرة متكافئة في وصف محاسن النساء وجمالها وحسنها وخصالها المعطرة النبيلة وإجراء الحوار بينه وبين الحبيبة ولا سيما زبيدة وسلوى، وأن معظم قصائده الغزلية باسم زبيدة وسلوى تحكي قصة البعد والهجران والقلق والحزن والفراق. والشاعر له مهارة تامة وقدرة فائقة في قرض الشعر العربي وأنا بنفسني معترف بها، وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى أن يبقى الأستاذ السلي فينا بصحة وعافية موفورة ويعطي مزيدا من النشاط والقوة والعزيمة لتطوير اللغة العربية بأشعاره الرائعة إلى زمن بعيد، فأدعو الله تعالى أن يتقل خدمات الأستاذ وإسهاماته القيمة التي قام بها

١ السلي، عبد الله، :ديوان شعر: قطرة من اليم، الناشر: دار الأديب كيرالا (الهند) سنة الطباعة ٢٠١٥ م. ص: ٩٥.

في مجال الشعر العربي في ربوع كيرالا، وأيضاً أتمنى له مزيداً من الإبداعات الشعرية العربية الغزلية في المستقبل.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، : لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ط دار المعارف ١٩٧٩ م.
٢. الحوفي، أحمد، : الغزل في عصر الجاهلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٦١ م.
٣. السلي، عبد الله، : ديوان شعر: نبضات وخواطر، هو الآن تحت الطبع في دار الياسمين للنشر والتوزيع في الشارقة بالإمارات العربية المتحدة.
٤. السلي، عبد الله، : ديوان شعر: قطرة من اليم، الناشر: دار الأديب كيرالا (الهند) سنة الطباعة ٢٠١٥ م.
٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، : كتاب العين، محمد المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ ٢٠٠٣ م.
٦. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، : القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة بدون سنة الطباعة.
٧. المعجم الوسيط، دار المعارف ديوبند الطبعة الرابعة ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م،
٨. المعلومات الشخصية التي أرسلها لنا الشاعر عبد الله محمد السلي عبر البريد الإلكتروني.
٩. الحوار الذي قام الباحث بإجرائه معه خلال زيارة كيرالا بتاريخ ٢٧/٠٧/٢٠١٨ م، وقد تم نشره في مجلة «أقلام الهند» الصادرة بدلهي السنة الثالثة، العدد الرابع، أكتوبر- ديسمبر ٢٠١٨ م.



القاص إبراهيم مبارك

السيد/ناشد.كي.^١

الدكتور/عباس كي.بي.^٢

الملخص:-

ابراهيم مبارك^٣ اسم يتلألأ في الأفق الأدبي العربي الحديث ونجم انحدر من السماء العليا إلى غدير الحياة البسيطة والذي رسى قارب حياته في ساحل القصص الإماراتية وهو من مواليد قرية أم سقيم في منطقة جميرا بدبي، الإمارات العربية المتحدة في سنة ١٩٥٢م وتشكلت شخصيته ومواهبه من التجارب الواقعة تلقاها خلال حياته في مسقط رأسه وحيث تتمحور حياته وأخباره حول البحر والصيد والنخل وذلك يمكن القارئ من التقاط خلال قراءة كتبه صورة الإمارات قبل الطفرة النفطية وبعد اكتشافها. ولولا هب ربح التطور في الديار الإماراتية اثر استخراج النفط لا يزال إبراهيم مبارك وأهله وسط حياة الصحراء والبحار الشاقة.

مسيرة القاص إبراهيم مبارك

وعندما يسود التغيير عقب تحسن الظروف الاقتصادية، تدفقت داخل إبراهيم مبارك تجزعات جعلته أحرص على التعليم حتى يغير من حالته التي يعيشها، ومن ثم تغيير نمط الحياة في المجتمع ككل، وتهرب في طريق العلم ولم يكتف بالدبلوم العالي للمدرسين بل نال بكالوريوس في علم النفس ودراسات عليا في التربية من جامعة الإمارات. وكانت محاولاته الأولى القصصية في عام ١٩٧٤، عندما ظهرت مجموعة القصص «ضربات المضارب» عن المجتمع الإماراتي والتي تصور عن قهر المرأة وجميع كتبه الأدبية تعالج موضوعات ذات الصلة الاجتماعية السائدة. ويتشبث إبراهيم مبارك بمدرسيه القدامى الذين أتوا من مصر والذين لعبوا دورا حاسما في ترسيخ معنى العلم والنهوض بالمجتمع العربي، فلم يكن هدفهم المادة في ذلك الوقت بمقدار اهتمامهم بالإنسان العربي ومشروع القومية العربية، خاصة في الستينات حيث كانت الإمارات مازالت تحت الاحتلال الانجليزي، وكان هدفهم الأسى هو النهوض بأبناء الأمة العربية.

وكانت مدينة جميرا البحرية التي يسكنها الصيادون والبحارة المحور الأول للكتابة القصصية. وكان يقول في أحد حواراته «ليس بين بيتنا وبين البحر سوى بضعة أمتار وعندما يولد طفل أو طفلة في هذه القرية فإن أول ما يسمعه هو صوت البحر.» وكان يعبر خواصه الخمس لأصوات البحر وألوانه وأشياءه وخصوصياته فهذا المشهد

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ مشرف البحوث والأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا
٣ رائحة اللبان-إبراهيم مبارك-دار الحوار-رقم الصفحة-٧٢

البحري الممتلئ بالوقائع والصور والأصوات والبيئة البحرية وجميع هذه المشاهد تدفع به إلى القصيدة وليس إلى القصة. وأخذ أن يسير في درب القصص العربية.

وعمل مبارك في بداية حياته المهنية مدرسا ومشرفا إداريا ووكيلا لمدرسة، ثم رئيسا بقسم الشؤون التعليمية في منطقة دبي التعليمية، وبعد ذلك رئيسا لقسم التربية الرياضية بإدارة التربية الرياضية في وزارة التربية والتعليم والشباب، كما شغل منصب مدير لإدارة الأنشطة الثقافية والفنية في وزارة التربية والتعليم. فضلا عن كونه يتمتع بالعضوية في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وفي ندوة الثقافة والعلوم، وجمعية كشافة الإمارات، وجمعية المعلمين، وبالإضافة لذلك فهو كاتب في جريدة الاتحاد وجريدة البيان سابقا ومجلة أحوال. له مؤلفات ودراسات ومشاركات عديدة ومن أعماله الأدبية

له أربع مجموعات قصصية هي: الطحلب، وعصفور الثلج، وخان الصادر، وضجر طائر الليل. وله العديد من الكتب وهي: الطحلب (قصص) ١٩٨٧، الكشف في الإمارات ١٩٨٧، عصفور الثلج (قصص) ١٩٩١، الكشف في الإمارات ١٩٩٦، خان (قصص) ١٩٩٩، نواقيس ٢٠٠١، سواحل البحر ٢٠٠٢، صدى المسرح ٢٠٠٢، ضجر طائر الليل (قصص) ٢٠٠٥، ضفاف الكلام ٢٠٠٧، صواريخ ٢٠٠٩، سواحل ٢٠١١، شارع الريح ٢٠١٤، هو بحري ٢٠١٤، رائحة اللبان ٢٠١٥.

كما كان له كذلك مساهمات في مجال التربية الكشفية والأنشطة حيث حضر مؤتمرات عالمية ومعسكرات في سويسرا، جنوب أفريقيا، تايلاند، أوصلو، النرويج، كوريا الجنوبية وفرنسا. بالإضافة للمؤتمرات العربية والمعسكرات في المغرب، تونس، ليبيا، سلطنة عمان، اليمن، الإمارات ومصر.

القاص في كلمات الأدباء المعاصرين

ويقول عنه الأديب عزت عمر: تعرّف الصديق إبراهيم مبارك منذ مجيئي إلى هذه البلاد الطبية، وكان يومها بصدد إصدار مجموعته القصصية الثانية، وكان مجتمع اتحاد الكتّاب في الشارقة يمتلئ حراكاً ورغبات في اقتحام دروب العالم المختلفة لتأكيد الذات واحتلال موطن قدم في المشهد الثقافي العربي، الأمر الذي خلق شكلاً جميلاً من أشكال الوحدة العربية أو وحدة الموقف على الأقل إزاء كثير من القضايا التي كانت مطروحة، وإلى ذلك فإنني كتبت عن مجمل أعمال إبراهيم مبارك في الصحافة الثقافية أو من خلال كتابي «مرايا البحر» منوهاً إلى أهم أطروحاته الفكرية وإنجازاته التقنية.

واليوم إذ نتحدث عن إبراهيم مبارك مجدداً فلا بدّ من التنويه إلى مجموعته الجديدة التي صدرت عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات: «ضجر طائر الليل» الذي أكّد من خلاله اهتمامه بوطنه، فجعل من المكان القصصي شخصية أساسية من شخصياته النابضة بالقلق والتساؤل عن المآل الذي ستكون عليه الإمارات أو دبي أو غيرها من مدن الدولة أو مدن الجوار، فنراه يقرأ المكان بعين الناقد المستشرف للمستقبل. ويقول الكاتب عبد الفتاح صبري إن إبراهيم مبارك يشكل العلامة الفارقة المستمرة في فن القصة، ويمثل الامتداد المستقبلي لها، رغم أن كتاباته متمهلة وغير متسرعة في المراكمة، امتلك في تجربته زمام الفن، فمن ناحية البناء الفني لديه وعي به ويحققه في معظم نتاجاته وقصصه، مضموناً يحاول اكتشاف آليات الجمال في حركة مجتمع ما قبل

النفط والتحول، ولذلك غلب على أعماله الأولى رصد هام لحركة الإنسان في المكان. واتخذ من البحر معادلاً للحياة والمستقبل وللقيم المستقبلية وللقيم الإنسانية والمبادئ المجتمعية، ولذلك فإنه رسم بحده فائقة الملامح الإنسانية لتلك المرحلة وركز على رموزها وقيمتها، وتباكى عليها وهي تذوي أمام عينيه، تبتعد لصالح الجديد الذي لا يتسق وقيمه، وقيمتها المجتمعية وقيم إنسان هذا الوطن، وهاجم تلك الأوهام الجديدة التي تؤطر لتهميش الإنسان وتغريبه.

فاتخذ من البحر ملاذاً ومتكأً لنقد هذا الحاضر الجديد وهذا الوافد الأليم وواجه بقيم البحر تلك المتغيرات الكبرى في المجتمع وحين اختل الواقع الديموغرافي وجر ويلات أخرى وقيماً متعارضة مع العادات والقيم الوطنية، إضافة إلى قيم الآلة والأسمت والتقنيات الحديثة التي أحدثتها انقلاباً تمسك هو بالتراث واستطاع أن يركز ذلك كقيمه تراثية وثقافية، لأن البحر بشساعته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحياتية شكل مع شساعه الصحراء عمقا للقيم الاجتماعية ووشائج الترابط وعمق التواصل الإنساني الشفيف رغم شظف العيش وقسوة المناخ والطبيعة والحياة لأن كليهما البحر- الصحراء ساهما في تشكيل تلك القيم وسلوك الناس لما تشكلت على شاطئ البحر قيم الفرح والحزن المواكبة لقوافل الغوص حين الوداع وحين اللقاء وأثناء الغياب ونسجت الأمة صبرها وحده طباعها وكرم أخلاقها وخصالها من هذه الصفحة المتقلبة المنبسطة على مد الطرف في الماء وفي الصحراء.

ويقول حارب الظاهري رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات:- يعتبر الصديق المبدع إبراهيم مبارك من الأدباء المثابرين على الساحة الثقافية ومن المجددين في فن القص الإماراتي بل يخرج بالكتابة الأدبية إلى حيز الساحة العربية والخليجية ليبرز قلم إماراتي رفيع المستوى ولا غرو في ذلك فالمبدع إبراهيم مبارك من أوائل رموز القصة والكتابة الأدبية بل أغزهم إبداعاً وإنتاجاً وهو عميق الفكر وشخصية ذات ملامح مميزة.^١

الخاتمة

وما يعزز مكانته الأدبية يوماً بعد آخر ارتباط قلمه بالتعبير عن البيئة البحرية التي عشقها لدرجة تفوق الوصف، يستنبط منها حروف إبداعاته الجميلة، يستمد من شروق البكر رؤية متجددة ومن الصباحات ذلك التحرر، وعلى ضفاف البحر وتلك السفن تهادي إلى بوصلة القلب مدينة دبي، وكأن الغروب يتكرر للمدينة ثوبها بمقياس الذاكرة.

المصادر والمراجع

١. أبحاث الملتقى الثالث للكتابات القصصية في الإمارات، ج- اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة ١٩٩٣ م
٢. إبراهيم مبارك، الموسوعة الوطنية الثقافية، تاريخ النشر- ٨- أغسطس ١٩٩٩ م
٣. إبراهيم مبارك، رائحة اللبان، دار الحوار، ٢٠١٥ م
٤. إبراهيم مبارك، الطحلب، مجموعة قصص، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ٢٠٠٨ م



١ إبراهيم مبارك- الموسوعة الوطنية الثقافية- تاريخ النشر- ٨- أغسطس

الشعر القطري في مرحلة ما بعد اكتشاف النفط

الدكتور/عبد الغفور^١

الملخص:

إن ظهور النفط أحدث تحولات كبرى في المجتمع القطري حيث تطورت مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكان لهذا أثره الفعال في التطور التلقائي والمباشر للحياة الثقافية. أما المرحلة التقليدية تمتد حتى منتصف القرن العشرين وهي فترة متأخرة وكما نعلم أن هذه الفترة قد شهدت نهضة حديثة شملت الحياة العربية بمختلف نواحيها وفي مقدمتها الحياة الفكرية والأدبية والتي كانت قد حمل لواء الشعر والريادة فيها محمود سامي البارودي في طور الأحياء البحث ثم جاء طور التجديد على يد الشوقي وحافظ ومطران ثم العقاد وشكري ولكنه من المؤسف حقا أن الحياة الأدبية في قطر في هذه الفترة لم تحظ بشيء من ذلك^٢.

الحركة الأدبية في قطر وهي حركة نامية لم تبلغ بعد ما بلغته الحركات الأدبية في الوطن العربي نموًا وازدهارًا ونضجًا وتذوقًا وعمقا. هناك أسباب عديدة لتأخر الحركة الأدبية وجمودها في دولة قطر وعلى صفحات مجلة العروبة دار نقاش حول هذا الموضوع ويدلي فيه مجموعة كبيرة من الشباب بأرائهم حول أسباب تأخر الحركة الأدبية يقول أحدهم: إنني لا أستطيع أن ألقى باللوم كله على أجهزة الإعلام بالبلاد بقدر ما ألوم أديبنا نفسه. أجل أن الأديب نفسه هو المسؤول فهو الأداة الجبارة التي يستطيع فرض نفسها إن بعض كتابنا الناشئين ينصدمون من الرد السلبي حينما يقدمون انتاجهم إلى أحد أجهزة الإعلام وكان الأجدر بهم أن يجاهدوا الفرض إنتاجهم الجيد^٣.

وفي رأي الدكتور محمد عبد الرحيم كافود الركود الأدبي في البلاد يعود إلى عدة أسباب^٤ أهمها:

١. تأخر ظهور التعليم الحديث في قطر حتى منتصف الخمسينات من هذا القرن أما قبل ذلك فقد كانت فترة ركود ثقافي وأمية وجهل بالعلم
٢. عدم ظهور وسائل إعلامية ودور نشر مجلية إلا في أوائل السبعينات تقريبا.
٣. عدم وجود منتديات أدبية أو مكاتب أو جمعيات من هذا النوع تحاول أن تساهم في إحياء ونمو الحركة الأدبية والفكرية في البلاد. وهذه عناصر رئيسية ومهمة في تهينة الجو الفكري ودفع الحركة الأدبية إلى الأمام.

١ الأستاذ المساعد كلية أن. أي. أم كنور

٢ الأدب القطري الحديث - د- محمد عبد الرحيم كافور : ص: ١٦٧

٣ مجلة العروبة العدد ١٣٢ في ١٠/٨/١٩٧٤ م

٤ الأدب القطري الحديث - د - محمد عبد الرحيم كافور- ص: ٩٨

٤. وكلها أمور تعود إلى الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تعيشها البلاد في العصر الماضي. كما أن قلة عدد السكان في قطر له دور كبير في التأثير على الحركة الأدبية لأنه مما لا شك فيه أن للكثافة السكانية دورا فعالا في كل مجالات الإنتاج ومن ضمنها الإنتاج الفكري الأدبي. ومن المعروف أن قطر من أقل الدول الخليجية سكانا.

«ولعل من نتائج هذا التأخر الثقافي ان ظهر الشعر في جانب كبير منه في بداية المرحلة المعاصرة تقليديا في موضوعاته وأساليبيه، فلقد ظل بعض الشعراء – ممن عاصر نهاية المرحلة التقليدية وبداية المرحلة المعاصرة – متمسكا بالطريقة التقليدية في التناول والصياغة. لكن هذا التيار أخذ في الانحصر حتى غاب أو كاد في سبعينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك الوقت بدأ التجديد يسري في جسد القصيدة القطرية. وأخذ التطور يلمس هيئة القصيدة وموضوعها فلقد سائر بعض الشعراء التيارات التجديدية مع بعض التحفظ والحذر وبعضهم سائر التجديد والحداثة إلى أقصى درجاتها»^١.

المرحلة المعاصرة هي المرحلة التي بدأت مع الإنتقالة الكبيرة من حياة تقليدية إلى حياة عصرية حديثة تغيرت فيها معظم المفاهيم والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل النفط. «وكان نتيجة لذلك أن ظهر في هذه المرحلة المعاصرة إتجاهان: إتجاه محافظ وإتجاه مجدد أو مدرستان مدرسة محافظة وتقليدية ومدرسة مجددة. والأخيرة نطلق عليها هذه التسمية تجاوزا فهي في الحقيقة ليست مدرسة لأن المدرسة لا بد أن تكون لها قواعد وأصول ومعاليم تسير على نهجها. وهذه المجموعة لم تتوافر لها القدرة على ذلك فهي في مرحلة النمو ولم تتضح بعد إتجاهاتهم. ولم يكتمل النضج الفني لدى هذه المجموعة. وإنما كل ما في الأمر هو أن هناك نزعة تجديدية تحاولها هذه الجماعة، متأثرة بالإتجاهات والمذاهب الأدبية الجديدة من رومانسية ورمزية بالإضافة إلى التجديد الفني من حيث الخروج على الأوزان التقليدية المعروفة وظهور ما يعرف بالشعر الحر أو المرسل»^٢. وظهرت أغراض جديدة تتواءم وروح العصر. ومن خلال استقراء شعراء هذه المرحلة وجدت أن أغلب شعرهم جاء في الأغراض الآتية:

الشعر الوطني

إذا كان الإنسان جزءا من موطنه الذي ولد ونشأ ونما وترعرع فيه وشرب عاداته وتقاليده وآمن بقيمته ومبادئه ورضي به مكانا مختارا فإن الإرتباط به يظل أقوى من أي إرتباط بمكان آخر. شعراء قطر فتغنوا بموطنهم قطر وأظهروا سعادتهم به وشدة إلتئامهم إليه. الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني ينظر إلى موطنه بعيني الطفل الذي ينظر إلى أمه فالألم مصدر الحب والأمن والأمان يقول مبارك ابن سيف آل ثاني:

وطني أراك بقلب طفل لم يزل يحبو فما أغلى حنان الأمهات

١ الشعر الحديث في قطر تطوره واتجاهاته الفنية – د- عبد الله فرح المرزوقي – ص: ١١٩

٢ الأدب القطري الحديث . الدكتور محمد عبد الرحيم كافور- ص: ٢٢١

شط الخليج لقد ملكت صوابه

وعيوناه وفؤاده بالبينات^١

مناهضة الاحتلال:

لا شك في أن حرية الإنسان نابعة من حرية وطنه، فإذا كان الوطن محتلا فإن الإنسان لا ينعم بالحرية، ولا يحس بالأمن والسلام، لذلك فإن حرية الإنسان من حرية موطنه، فإذا ما كان الوطن مستعمرا، فإن أهله يبذلون كل ما يملكون من أجل حريته واستقلاله وحرر الأعداء. ولعل قضية إغتصاب فلسطين من القضايا التي جمعت شعراء العربية جميعا ولم يكن شعراء قطر بأقل من إخوانهم العرب مشاركة في التعبير عما يحسونه تجاه فلسطين على إمتداد الزمان منذ إغتصابها سنة ١٩٤٨ م. فالشاعر عبد الرحمن المعاودة تناول هذه القضية في أكثر من مناسبة من ذلك قوله:

إلهي أذل الدين في عقر داره

وهدم صرح للحنيفة قائم

وروع أولي القبلتين وأهله

ونال من الإسلام من هو ناقم^٢

الشعر القومي

وضع الإستعمار عينه ويده على منطقة الخليج لأنها كانت موطننا للتبادل التجاري بين الشرق الأقصى والغرب. وعانى أهالي المنطقة ما عاناه أبناء العروبة في اوطانهم من قسوة الإستعمار وعلى الرغم من ذلك حافظت المنطقة على أصالتها وانتمائها الإسلامي^٣. فبدأ الشعراء يعبرون عن غضبهم من الإستعمار ويطالبون بالوحدة العربية حتى بعد جلاء الإستعمار تحولوا الى قضية فلسطين التي أصبحت حاضرة دائما في أشعارهم. والشعراء في قطر لم يكونوا في معزل من تلك العوامل والدوافع التي تزيد من الوعي القومي والوطني فظهر ذلك جليا في شعرهم على امتداد الفترة منذ الخمسينيات^٤. عبر الشعراء الشعر القومي على مستويات مختلفة مثل إصلاح الواقع من خلال الدعوة الى التعليم ومحاربة الجهل والأمية والدعوة الى الوحدة العربية والغربة والحنين.

شهدت مرحلة ما بعد اكتشاف النفط خاصة بعد الإستقلال تطورا كبيرا في النظم الإجتماعي وفي الحياة العائلية وانتشر التعليم وأثر النفط في العلاقات الإجتماعية والأسرية واختفت عادات وظهرت غيرها وانفتح المجتمع القطري على غيره من المجتمعات واختلطت الحياة القطرية بحياة الوافدين فلقد تحولت الحياة من البداوة الى التحضر. وعلى مستوى الغزل اختلفت صورته عما كانت عليه من المرحلة التقليدية (مرحلة ما قبل اكتشاف النفط) كما وكيفيا وأسلوبيا. فلقد اتسعت مساحته واصبح غرضا مستقلا بذاته واختلف كذلك أسلوب المعالجة فلقد تناقص شعراء الإتجاه المحافظ حتى اختفى تماما او كاد من الساحة الإبداعية وظهرت اتجاهات أدبية جديدة وأنماط مستحدثة.

١ ديوان ليال صيفية - مبارك بن سيف آل ثاني - ص: ١٢٠

٢ الشعر الحديث في قطر تطوره واتجاهاته الفنية - د- عبد الله فرج المرزوقي - ص: ١٣٠

٣ حوض الخليج العربي: د/محمد متولي، ص: ١٠.

٤ الاتجاهات الفكرية عند العرب: د/عليماحافظ، ص: ١٠٩

على الرغم من الانفتاح الذي طرأ على المجتمع القطري، حيث يفد على قطر الكثير من كل جنس ولون، ويسافر المواطن القطري إلى كل بقاع العالم، كانت القيم الدينية وما تزال تحكم السلوك، وتحرك العقول، وتعبّر المشاعر فالمجتمع القطري بطبيعته مجتمع محافظ، في التعلم، وفي الثقافة، وفي العادات والتقاليد. وهو مجتمع محدود، يجتمع أفراداه في المناسبات الدينية، وتغذيهم القيم الدينية منذ نعومة أظافرهم، ويتشربون السلوك القويم من الأسرة والمجتمع.

الخاتمة

والشعر ليس بعيداً عن هذه الحياة، فالشاعر القطري ابن لهذه الثقافة وهذا المجتمع، لذلك تنعكس صورة المجتمع في شعره. لكن الشعر القطري لم يعرف حتى الآن شاعراً واحداً اتخذ من الشعر الديني مذهباً واتجاهاً، ولم يعرف شاعراً تخصص في الزهد مثلاً أو في التصوف أو في مدح آل البيت، بل إن الشعر الديني جاء في شعرهم كغرض من الأغراض الكثيرة التي نظم فيها هؤلاء الشعراء. ومن خلال رصد هذا الغرض في شعرهم، اتضح أن شعرهم الديني تمثل في المدائح النبوية، وفي المناسبات الدينية، مثل حلول شهر رمضان أو الحج أو الهجرة النبوية الشريفة، وفي الحث على الجهاد، وفي رثاء بعض الشخصيات الدينية التي كان لها دور في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفي اللجوء إلى الله في ساعات الضعف البشري. هكذا استثمر الشعراء القطري المناسبات الدينية، ليعبروا عن إيمانهم العميق وشعورهم بالانتماء لهذا الدين الحنيف.

المصادر والمراجع

١. محمد عبد الرحيم قافود، الأدب القطري الحديث، طبعة الأولى، دار المصر، القاهرة، مصر، ١٩٧٩ م
٢. عبد الجليل الطباطبائي، ديوان الطباطبائي، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة الكبرى، القاهرة، مصر ١٩٦٣ م
٣. مجلة العروبة العدد ١٣٢ في ١٠\٨\١٩٧٤ م
٤. محمد آل ثاني، ديوان قاسم بن محمد آل ثاني، طبعة الثاني، المكتبة المركزية الجديدة، القاهرة، مصر ١٩٦٣



توظيف الفولكلور في الرواية:

رواية 'الشيخ فرح' لـ د. عمر عبد العزيز أنموذجا

الدكتور/ عبد الجليل. يم'

الملخص:

تتناول هذه الدراسة ملامح السيرة الغيرية وتوظيف الفولكلور في رواية 'الشيخ فرح' لعمر عبد العزيز، وهذا موضوع يطال من جانبين، أولا: تجربة السيرة الغيرية في الرواية، ثانيا: توظيف التراث الشعبي أو الفولكلور في هذه الرواية.

التعريف بالرواية

قبلولوج إلى صلب الموضوع، علينا أن نتوقف وقفة وجيزة حول تعريف الرواية، العنوان الكامل للرواية المذكورة هو 'الشيخ فرح ودّ تكتوك حلال المشبوك' هذه رواية للكاتب والأديب والفنان التشكيلي الدكتور عمر عبد العزيز، وهو يتشغل حاليا في منصب رئيس مجلس الإدارة للنادي الثقافي العربي في الشارقة ورئيس تحرير مجلة الرافد والتي تصدر من الامارات العربية المتحدة، وهذه الرواية من تجربة عمر عبد العزيز الرابعة في الرواية، وقد سبقها ثلاث روايات، وهي حمودي ومريوم ونسيان على التوالي، هذا ويتضح من خبرات روائية سابقة للروائي عمر عبد العزيز أنه عادة يفاجئنا بشخصيات غرائبية.

وأن محور هذه الرواية يدور حول شخصية تاريخية، هي شخصية الشيخ فرح، شخصية الشيخ فرح ودّ تكتوك تحديدا شخصية شهيرة في السودان، اشتهرت كشخصية المتصوف الزاهد، وشخصية الحكيم الفيلسوف، وشخصية خارج المؤلف والخرار للعدادات، وصاحب الأمثال والحكم التي تداولتها الألسنة في الأدب الشعبي، واسم الشيخ فرح الكامل هو فرح بن محمد الأبطح، وينتسب لفرع العبدلاب من قبيلة الباطحين، هو شخصية على صلة بمكان أو زمان محددين، وليست بشخصية خيالية محضة، ويرجع أنه عاش في القرن السابع عشر الميلادي بمنطقة سنار بجنوب شرق السودان في السلطنة الزرقاء أو دولة الفونج.

واستمد الروائي د. عمر عبد العزيز مادته للرواية من التاريخ استنادا على كتابين، الأول هو كتاب 'الشيخ فرح ود تكتوك' للطيب محمد الطيب، والذي يتحدث فيه المؤلف عن تاريخ السلطنة الزرقاء، وتاريخ الباطحين، وحياتة الشيخ فرح ودّ تكتوك، والكتاب الثاني هو كتاب 'الطبقات' المعروف شعبيا بـ 'طبقات ودّ ضيف الله' من

١ أستاذ مساعد ومشرّف البحوث في قسم اللغة العربية وأدائها بكلية فاروق التابعة لجامعة كاليكوت - الهند

أشهر الكتب السودانية ومن أمهات الكتب في التراث السوداني، والمرجع الأول المطبوع لدارسي التصوف في السودان، قام بتأليفه الشيخ محمد النور ود ضيف الله، كما يعدّ الكتاب أيضاً من المصادر الاولية الهامة في تاريخ سلطنة الفونج (١٥٠٥ - ١٨٢١م)، إذ وردت بين ثناياه العديد من الاشارات التي تبين حياة التصوف والسلوك الاجتماعي في الدولة ومكانة الأولياء المتصوفة في الحياة، وهو يتناول فترة من أخصب فترات التاريخ بالسودان حيث وضعت الأسس المبكرة للإسلام ونفوذ الدعوي والثقافي في البلاد، ويشير الى هذا الكتاب الروائي في الرواية في باب 'ميلاد الشيخ'، وذلك عندما لاحظ والداه بعض الظواهر الخارقة للعادة، حيث يقول: «كان على والديه تفسير الظاهرة، وكان دالتهما على درب الطمأنينة المعرفية كتاب 'طبقات ودّ ضيف الله'، بما يحتويه من روايات ووقائع ونصوص وشواهد ومشاهد»^١.

توظيف الفولكلور والتراث الشعبي في الرواية - رواية الشيخ فرح أنموذجا

التراث في المدلول اللغوي هو مشتق من كلمة 'ورث'، وقد ورد التراث في المعاجم، وفي معجم الرائد: أن التراث هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل الى جيل^٢، وفي معجم الغني: تراث الأمة: ما له من قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون وينتقل من جيل إلى جيل^٣، وقد ذكر القرآن الكريم كلمة التراث بالمعنى الذي نراه في المعاجم «وتأكلون التراث أكلاً لما»^٤، (فجر ١٩)، كما وردت أيضاً في قوله تعالى اخباراً عن زكريا عليه السلام ودعائه إياه «هب من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب»^٥ وفي قوله تعالى «وورث سليمان داود»^٦، وفي الاصطلاح التراث هو كلّ موروث ثقافي واجتماعي ومادي سواء أكان مكتوباً أو شفويّاً وصل إلينا عن الماضي البعيد والقريب ويشترك فيه جميع أبناء الأمة على السواء، فهو على هذا الأساس «كل ما ورثناه تاريخياً»^٧. والتراث الشعبي من مكونات الشعب وثقافتها، فهو جزء لا يتجزأ من كيان تلك الأمة، التراث الشعبي أنواع مختلفة باعتباره تراكم تاريخي، فهي تراث مادي من معمار وأثار ثابتة ومتنقلة، وتراث اجتماعي كالسلوك والعادات، والتراث الثقافي كالفنون والحكايات والأدب، وهي تنتقل من جيل إلى جيل آخر عن طريق المحاكاة، فهو بذلك حافظ الماضي ووعيه وذاكرته كما سجلته عقول ذلك الماضي من فلاسفة ومفكرين وأدباء وعلماء وفنانين وغيرهم ومع ذلك فإن التراث العميق لا يزال يعيش فيها بشكل أو بآخر، وان تدرك ذلك تمام الادراك^٨.

وقد شغل التراث الشعبي حيّزاً مهماً في الإبداع الروائي لدى عدد كبير من الكتاب، وأصبح بؤرة تلتقي فيها رواياتهم، وقد عمد بعض الروائيين في العقود الأخيرة الى توظيف التراث الشعبي في الرويات المعاصرة، وقد أثار قضية التراث جدلاً واسعاً في الواقع الثقافي العربي في أوساط المفكرين والنقاد، وتعددت الآراء حول ماهيتها،

١ د. عمر عبد العزيز، الشيخ فرح وذاككتوك حلال المشبول، دائرة الثقافة، الشارقة ٢٠١٨، ص: ١٥

٢ جبران مسعود، الرائد - المعجم اللغوي الأحدث والأسهل، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠١٣

٣ عبد العني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٣

٤ الآية رقم ١٩ من سورة الفجر

٥ الآية رقم ٦ من سورة مريم

٦ الآية رقم ١٦ من سورة النمل

٧ محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠، ص: ٢٠.

٨ فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان - دراسات في التراث الشعبي، ط ١، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٢١

ان للتراث الشعبي عدّة مصطلحات، هذا ما نجده عند الكثير من الباحثين والدارسين، فهناك من يطلق عليه مصطلح الفولكلور، وهناك تعدّد النظريات في توظيف التراث الشعبي.

سمات الفولكلور أو التراث الشعبي

يتميز التراث الشعبي بجملة من السمات والخصائص ونذكر بعضها منها:

أولاً: يبدي الفولكلور إغفال الدقة التاريخية ويستبدلها بوجود متخيّل.

ثانياً: الأديب الشعبي أو الفولكلور لا يهتمّ بالعقل والمنطق، وإنما يأخذ الظاهرة على علاقتها، وكأنّها قدر مكتوب، ومن هنا فإن موقفه تغلب عليه الروح التقريرية والسداجة في الغالب^١.

ثالثاً: التراث يعكس والتسامح التعايش والجمال والأناقة، وهي كلّها قيم أصلية، والأهمّ من ذلك أن جيناتها تحتوي البساطة وعدم التعقيد والتكلف.

رابعاً: أن الفولكلور نابع من روح الجماعة، وليس بثروة فرد.

خامساً: هو تروة انسانية ليست خاصة بجيل بعينه بل حق للناس جميعاً

سادساً: هذا الموروث فاعل ومتطوّر^٢.

سابعاً: أن التراث هو المنقول إلينا أولاً والمفهوم لنا ثانياً^٣.

ولو توظيف الموروث في الرواية أهمية بالغة، لأنه يتعلق بماضي هذه الأمة، لما أنّ دراسته تهدف الى إيجاد معنى التواصل بين الماضي والحاضر. ويقول د/ يوسف عيادي في توطئة رواية 'الشيخ فرح' بهذا الصّد: «يكون لكل شعب أو أمة الحيّز الروحي النفسي الاجتماعي الذي يميز أهلها، وبه يعرف مزاجها العام، وريحها وروحها وسلوكها ونفسية قاطنيها، التي خرج منها 'فرح ود تكتوك' فغدا هو مثالها ونموذجها الذي عالجه الدكتور عمر عبد العزيز في نصه البديع المعنون 'الشيخ فرح ود تكتوك - حلال المشبوك'، والكاتب الرمز يكون قد عالج وفق معاشية وقراءات، طبائع أحوال وأمزجة أهل السودان، ذاهبا الى توصيف الشخصية السودانية وهويتها ما استطاع الى ذلك سبيلا عبر معينات الروح والعقل والنفس والجسد، انه يتحول من أسطورة الشخص الى احلاله أرض الواقع»^٤.

ولقّبت الشخصية المركزية بـ'ود تكتوك' نسبة لصفة شعبية اقترنت بإجادته قراءة وحفظ القرآن الكريم، بل قال البعض انه كان يختم القرآن في رابعة من نهار ولسويغات قليلة، وكأنّه يتكتك بالتسارع المقرون

١ التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائري في الثورة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٣، ص ٨٤

٢ اعداد أهورش أوردي وكيمش حكيمة، تحت اشراف رلي نصيرة، توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، رواية 'أرض الدم' لمولود فرعون - أنموذجا، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، ٢٠١٣، www.univ-bejaia.dz

٣ حسن حنفي، تراثنا الفلسفي، مجلة فصول، ١٤، ص ١٢٢، ١٩٧٠

٤ د. عمر عبد العزيز، الشيخ فرح ود تكتوك حلال المشبوك، دائرة الثقافة، الشارقة ٢٠١٨، ص: ٨

بالاجادة، كما لقب بـ'حلال المشبوك' عطفًا على قدراته الخارقة في حل ما يبدو مستعصيًا^١.

ويتّضح من روايته ماضي المجتمع السّوداني في الظاهرة الدينية الممتثلة في كثرة الأولياء والصالحين أمثال نعيم الأجواد وطه الأبيض وعبد الباقي 'جبل الحديد' والحاج يوسف 'دهاشة'، وكذلك الصبغة البدوية الممتثلة في حبه وممارستهم لحياة الصعلكة الى حدّ، وقد نجح الروائي في تشكيل السودانية الحقة لما كان له اهتمام خاص بالمجتمع السّوداني كآته اهتمام العاشق الصّب، ويقول د. يوسف عيداوي أيضًا: «انه بارع في قراءة السّوداني في سوادنويته، أو في سناريته التي تشابه بقية سلطاناته غربا وجنوبا في الزمان البائد، وفي الحاضر الذي يتنكر للأسطورة بالتبكي على النفس...، وهو منغمس صوفية أهلنا عربا ونوبة، جعليين وهندوة شايقة وزقاوة.. سلاطات من الفور والمحس والكنوز، والكبايش والناقلة ..، وهو يشخص أحوالنا في لغة شائقة مفعمة بترحاب هائل ببلد وصفه صعب، وأهله في الشدّة بأس يتجلى..، فهو المجتهد في تصوير سودان غد آت من رحم معاناة وعذابات وأحزان لقرون...، لقد استحقت كتابة عمر عبد العزيز عن 'فرح ودّ تك تكتوك ان تكون بيان هوية لشعب طيب الاعراق'»^٢.

تنحو الرواية منحى الفلسفة الميتافيزيقية ذات أصالة في التراث الشعبي السّوداني المتصوف، حيث تحلّل الرواية ظاهرة عدم بكاء الطفل البطل عند ميلاده، حيث وردت: «قال الأول: 'فرح' لم يصرخ بعد ولادته، لأنه تجاوز البرزخ الأول نحو الثاني، وهذا يعني أنه أدرك معنى السفر المقيم في الحيوانات الفانيات، وقال الثاني: 'فرح' ولد بعينين مفتوحتين متجولتين في أرجاء المكان، لأنه شهد ولادته الأولى في بطن أمه، وكان يسمع في أحشائها كلام القوم، ويستمع بدوزان صوتها المنغوم، ويتمثل واردات المعاني دونما درس لغوي ونحوي وقاموسي، وقال الثالث: 'فرح' لم يكن يرى الشواهد بعيني حدقته بل بعيني قلبه، ولهذا التبس الأمر على الأغيار المقيمين في شروط الزمن الأرضي الفيزيائي»^٣، ولكل حركات الشيخ فرح مغزى غامض، وفي كل أقواله شيفرات غامضة، تسردها الرواية بصورة أخاذة، وفيها الجدل الفلسفي أو قوانين الديالتيك لظواهر الطبيعة على لسان 'الشيخ فرح'، كأن الشيخ فرح قرأها سالفًا عن سالف، وعندما حاججه الأقربون في مفاهيمه الغامضة كان ردّه كردّ البسطامي^٤. وكان الشيخ فرح متيقنا بأنه جزء لا يتجزأ من حركة الأفلاك، ولأنه كان يحاول أيضا حل شفرة المستحيلات، وكان أيضا يدرك أن الجسم البشري لا يتحرّز في مكان أو زمان، وكان من الذين قالوا بأن اللاتحرّز في الزمان والمكان هي عبارة عن أن الإنسان في حالة سفر مقيم حتى، وإن بدا ثابتا في مكانه، كما أنه في حالة انزياح مع الزمن حتى وإن اقترن بلحظة من لحظات وجوده^٥. ويورد الروائي في هذه الواية وقائع وهي التي تداولته الشعب شفها جيلًا عن جيل، ومن مآثره المشهورة مقولته «الصدق كان ما حلاك، الكضب ما يبيلك...» في واقعة، وهي هكذا: «كان الشيخ فرح في ساحة عمله اليومي يجمع القش بترابيبية هرمية، تنتظم في مدى المشهد المفتوح للريف الزراعي السّوداني، وفجأة شاهد الشيخ رجلا يلث

١ المصدر السابق، ص: ٨

٢ المصدر السابق، ص: ٩

٣ المصدر السابق، ص: ١٦

٤ المصدر السابق، ص: ٢٣

٥ المصدر السابق، ص: ٣٢

شاردا، وبلغه بسرعة العبارة أنه مطارد من جندرمة الدولة، ولأن فرح ينتمي لشيوخ الوقت، فقد ألمح للمطاردة الهارب بالتخفي داخل كومة القش.. بعد لحظات وصل الجند المطاردون للرجل، فسألوه إن كان رأى هاربا؟، قال لهم الشيخ فرح: نعم رأيته، سألوه، أين ذهب؟، قال فرح: داخل كومة القش، تلفت الجند بعضهم لبعض، وهم يتسمون بسخرية من هذا العجوز الفاقد للإدراك، ومضوا إلى حال سبيلهم يبحثون عن ضالهم المفقودة، ما إن اختفوا عن ناظري الشيخ حتى قال للهارب المختفي: اخرج من كومة القش يا هذا، فخرج الرجل مرعوبا، وقال للشيخ: كيف تقول لهم إنني داخل كومة القش!، فردّ بيقين الرائي: الصدق كان ما حلاك، الكضب ما يبخلك. ومن مآثر أقواله: «كل يا كتي قبل فيمي»، ومناسبتها أنه أعيد من مناسبة ضيافة، لأنه كان يلبس ملابس الفقراء، فرجع عائدا بأبهى حلّة، فسمحوا له بالدخول، ففاجأ الحضور بإدخال طرف ثوبه على مائدة الطعام قائلا: «كل يا كتي قبل فيمي»^١، وشخصيات الرواية مثل 'أبو دومة اليعسوب' أيضا خير دليل على توظيف التراث الشعبي ببعض عناصره، اليعسوب صفة أطلقها ودّ تكتوك على أحد مجاليه ممن ظل دوما مثيرا للجدل، والذي يعتمد عليه أهل الحارة في مراجعة مدوناتهم الشفاهية المحفوظة عن ظهر قلب، ذلك أن الثقافة السماعية والشفاهية مثلت في ذلك الحين الأساس المكين للمعرفة المجردة في الفنون الأدبية والغنائية^٢، هكذا وظّف الروائي الأدب الشعبي في هذه الرواية.

الخاتمة

وأن محور هذه الرواية يدور حول شخصية تاريخية، فهذه الرواية تقوم بعملية تشكيل الشخصية المركزية، هي شخصية 'الشيخ فرح'، ولكل كاتب سردي أسلوبه المميز، ولكل رواية عناصر المشوقة بأحداثها الواقعية والخيالية في بقعة زمانية ومكانية، وهذه الرواية تحتضر الارث والتاريخ، فهي رواية لا نظير لها، فهي بحث عن أشكال جديدة في الرواية السيرية، وأن في هذه الرواية ظواهر تجهلها كرونولجيا، فهي بعيدة حقّا أن تكون رواية سيرية عادية، وفي هذه الرواية ما يتجاوز المعقول إلى اللامعقول، وما يتجاوز المرء إلى اللامرء، وقد أجاد الروائي في النسق البنائي والحكائي، وأما بالنسبة إلى النسق اللغوي يتضح أنه ليس من السهولة التعامل مع الرواية.

والاهتمام بالدراسات الشعبية أخذ تتزايد في هذه الآونة بعد أن ادرك الأكاديميون أن هذا الميدان ليس بمجال ضيق، وان استلهم التراث وتوظيفه أحد التيارات الأساسية لعملية التجريب الفني في الرواية المعاصرة، وهذا التكنيك واضح عندما تسرد الرواية خصائص المجتمع السناري، أنّ هذه الرواية رواية متأصلة في التراث الأدبي والشعبي والعربي، ودراساتها تهدف إلى إيجاد معنى التواصل بين الماضي والحاضر، وهي توضح حقيقة تفكير الشعب في الماضي، واستقى الروائي من جميع المصادر من مصادر دينية أو أدبية أو تاريخية أو أسطورية، ومن الواضح أن المؤلف قد حاول في كتابة رواية سيرية وإعادة صياغتها تخييليا على عنصر 'الإنقاء' من التاريخ من

١ المصدر السابق، ص: ٦٢

٢ المصدر السابق، ص: ٩٤

ناحية، وعلى عنصر 'توظيف التراث' من ناحية ثانية، ولرواية 'العلامة' واجهتان: الأولى واجهة ترتبط بالذاكرة التاريخية والشعبية والثانية واجهة ترتبط بعنصر التخيل الروائي.

المصادر والمراجع

١. جبران مسعود، الرائد - المعجم اللغوي الأحدث والأسهل، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠١٣.
٢. حسن حنفي، تراثنا الفلسفي، مجلة فصول، ع ١٤، ص ١٢٢، ١٩٧٠.
٣. عمر عبد العزيز، الشيخ فرح ودّ تكتوك حلال المشبوك، دائرة الثقافة، الشارقة ٢٠١٨.
٤. عبد العتي أبو العزم، معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٣.
٥. عبد الرحمن ميرة، أهورش أوردية وكيميش حكيمة، تحت إشراف ريلي نصيرة، توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، رواية 'أرض الدم' لمولود فرعون - أنموذجا، جامعة بجاية، الجزائر، ٢٠١٣، www.univ-bejaia.dz.
٦. فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان - دراسات في التراث الشعبي، ط ١، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٨.
٧. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠.
٨. النادي الثقافي العربي، برنامج أماسي، تلفزيون الشارقة <https://youtu.be/-q4YxYxBhdo>.



مفهوم الهجرة والاغتراب وتصوير أزمة الهوية في الروايات العربية الحديثة

السيد/ عبدالله^١
الدكتور/ عباس كي، بي^٢

الملخص:

لقد تم قبول القرنين العشرين والحادي والعشرين على نطاق واسع كعمر غير مسبوق للهجرة، في القرن العشرين على وجه الخصوص، تم تنظيمها من قبل أحداث مثل الحربين العالميتين، مختلف الحروب الأهلية والتقدم الهائل في النقل والاتصالات. فإن الهجرة الدولية وتأثيراتها السياسية تميز العصر الحالي، يشير إلى ذلك أنطوني غدنز: «ليست الهجرة ظاهرة جديدة، غير أنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءاً لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي. و أصبحت أنماط الهجرة تعتبر عن التغيرات التي طرأت على العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول العالم. وتشير بعض التقديرات إلى أن المهاجرين في مختلف أنحاء المعمورة عام ١٩٩٠ بلغوا نحو ثمانين مليون شخص يشملون نحو عشرين مليوناً من اللاجئين. ويُعتقد أن هذه الأعداد ستزيد في أوائل القرن الحادي والعشرين، بل إن بعض علماء الاجتماع يُطلقون على أيامنا هذه عصر الهجرة»^٣. وقد روى العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة تجارب هذه الهجرة.

مفهوم الهجرة:

الهجرة في اللغة مصدر الفعل هَاجَرَ، وتُجمع على هَجَرَات، وهي خروج الفرد من أرض وانتقاله إلى أرض أخرى بهدف الحصول على الأمان والرزق^٤، أو هي انتقال المرء من بلدٍ إلى بلدٍ آخر ليس مواطناً فيه ليعيش فيه بصفةٍ دائمةٍ، وقد ورد عن ابن فارس أنَّ الهاء، والجيم، والراء أصلان، أحدهما يدل على شدَّ شيءٍ أو ربطه، أمَّا الآخر فيدل على القَطْع أو القطيعة، وهي عكس الوَصْل، كما ورد عن ابن منظور، أن الهجرة لغةً هي الخروج من أرضٍ لأرضٍ^٥، وإذن فالهجرة هي استعداد نفسي قبل أن يكون حركي، وبالتالي فالمواطن الذي يترك ريفه ويتجه صوب المدينة للاستقرار بها فهو مهاجر، فهي الانتقال من بلد الى اخر قصد الاستقرار والاقامة به، لدوافع

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومُشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا
٣ أنطوني غدنس، علم الاجتماع، كامبردج: ١٩٨٤
٤ فيروزآبادي، القاموس المحيط
٥ ابن منظور، لسان العرب

اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية... وهي سلوك لا يقتصر على الكائن البشري بل نجده عند بعض الكائنات الحية "الطيور المهاجرة". لقد تزايدت حدة الهجرة في عصرنا هذا بنوعها الداخلي والخارجي، الشيء الذي أدى إلى مشاكل عديدة نتجت عن هذه الظاهرة.

مفهوم الاغتراب :

في اللغة العربية نقول: غُرب أي ذهب والتغُرب يعني «البعد». فالغربة النزوح عن الوطن والغريب هو البعيد من وطنه، كلمة اغتراب هي ترجمة للكلمة الإنجليزية - Alienation، يعني السطو أو الأخذ، أو الإنتماء إلى آخر والتعلق به كما يعني تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، أو حالة انسحاب، إبعاد، اختلاف عقلي^١. فهو الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلى الضعف والعجز في الشخصية مع إحساس بالانفصال عن المجتمع والإنسلاخ عن الثقافة السائدة فيه. فقد ذهب البعض من المفكرين إلى أن الاغتراب أصل في الإنسان منذ نزول آدم وحواء إلى الأرض حيث ابتعدا عن الجنة. على الرغم من أنه يعد اصطلاحاً فلسفياً حديثاً أن أصوله التاريخية توجد في الفلسفة القديمة فهذه الفكرة ذات جذور قديمة قدم الفلسفة كما يؤكد البعض وجود ملاحظات بشأنه لدى سقراط والفكر اليوناني، أفلاطون، تومس هوبس، هيجل، و جين بول سارتر الفرنسي الذي عرف الاغتراب أنه «تموضع ذات الفرد باعتبارها شيئاً غريباً ومعادياً له»^٢.

يعلن عالم اجتماع أمريكي ملون سيمن أن مفهوم الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابكة هي:

١. فقدان السيطرة، فهو عدم شعور الفرد باستطاعته التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها.
٢. اللامعنى أو غياب المعنى، شعور الفرد بأنه لا يملك مرشداً أو موجهاً لسلوكه وإعتقاده.
٣. اللامعيارية أو فقدان المعايير، الخروج عن المعايير الضابطة لسلوكه والتي تجعله يحقق أهدافه.
٤. العزلة الاجتماعية، الناتجة عن إعطاء الفرد قيمة متدنية لأهداف ومعتقدات.
٥. الاغتراب الذاتي، عدم القدرة على إيجاد المكافأة والقبول الاجتماعي.

الاغتراب وأزمة الهوية في الروايات العربية الحديثة:

وأما أزمة الهوية فهي الاضطراب الذي يصيب الفرد فيما يختص بأدواره في الحياة، ويصيب الشك في قدرته أو رغبته في الحياة طبقاً لتوقعات الآخرين عنه، كما يصبح غير متيقن من مستقبل شخصيته إذا لم يتيسر له تحقيق ما يتوقعه الآخرون، فيصبح في أزمة. وقد تناولت العديد من الروايات العربية الحديثة هذه القضية، سأذكر بعضها منها باختصار:

موسم الهجرة إلى الشمال^٣: تعد من الأعمال العربية الأولى التي تناولت لقاء الثقافات، تتجلى هذه القضايا في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للروائي السوداني الطيب صالح وتعد الرواية نقداً لاذعاً للتناظر الثقافي بين

١ الشحات، سرديات المنفى، (عمان: دار أزمنة، ٢٠٠٥)، ص ٢٤

٢ جين بول سارتر، الوجود والعدم، ١٩٤٣، ص ٤٣

٣ الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العود، لبنان: ١٩٦٦

الشرق والغرب وبين الاسود والأبيض على وجه الخصوص. تبدأ هذه الرواية بسرد أحداث زيارة مصطفى سعيد إلى بلاد الغرب، وهو من الطلاب العرب (من أفريقيا) يحصل على وظيفة محاضر في جامعة البريطانية ويبتعد عن كل القيم العربية ويحاول أن يؤمن بالقيم البريطانية السائدة في المجتمع. يتعرف على المرأة التي أصبحت زوجته- جئن موريس، وهي امرأة بريطانية ترفض جميع طلبات زوجها. يعود مصطفى إلى بلده بعد مرور سبعة أعوام، ويلتقي بشكل مفاجئ بروائي القصة الذي كان أيضا يعيش في وقت سابق في بريطانيا. إذ أن قصص الرواية تروى من البطل والروائي.

اقتباسات من الرواية :

- مصطفى للروائي: هذا مصطفى سعيد لا وجود له إنه وهم أكذوبة
- نحن بمقاييس العالم الصناعي الأوروبي، فلاحون فقراء، ولكنني حين أعانق جدي أحس بالغنى، كأنني نعمة من دقات قلب الكون نفسه.
- يا للسخرية. الإنسان مجرد أنه خُلق عند خط الاستواء، بعض المجانين يعتبرونه عبداً وبعضهم يعتبره إلهاً. أين الاعتدال؟! أين الاستواء?!

أيام باريس^١: تسافر «ميرا» للدراسة في باريس، فتعيش صراع الحضارات وتبدأ بمحاولة استكشاف موطنها الأصلي وهي بعيدة عنه. تعود في عطلة الصيف إلى بيروت، فتشعر أن جميع أصدقائها أصبحوا غرباء عنها، وينتمون إلى عالم مختلف. سفرها يعيد إلى ذاكرة الأم «رندا» أيام دراستها هي الأخرى هناك، فتروي أجزاء منها، متذكراً كيف ظل كل الطلاب العرب غرباء عن الحضارة الفرنسية، ما عدا شخصاً واحداً هو «حسين» الذي انخرط في المجتمع الجديد. «مهدي» أيضاً درس في باريس وتزوج هناك قبل أن يعود مع زوجته وطفليه إلى بيروت، ليعيش نوعاً آخر من الغربة ضمن عائلته «الفرنسية» التي لم تستطع التأقلم مع الحياة الجديدة. هكذا تضيء «الحايك» أيام باريس من خلال أربع شخصيات لكلٍ منها حكايتها مع المدينة الفرنسية، مثيرة سؤال الانتماء.

بروكلين هايتس: بعد أن يهجرها زوجها، تقرر «هند» الهجرة مع ابنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فتقطن في حي «بروكلين» الذي يضم مجموعات متعددة الجنسيات والثقافات. تعمل «هند» في أميركا مدرّسة للغة العربية، وبائعة في محل حلويات. في غربتها تلك تتذكر الطفولة والمراهقة في بلادها، فتروي عن عائلتها وصديقاتها، ناقلة جو القرية المصرية، وكيف انعكس تطور الحياة على هذه القرية. وعبر سرد يراوح بين «حاضرها» في المدينة الأمريكية والناس الذين تتعرف عليهم هناك، و«ماضيها» الذي تركته، تقصّ الرواية الكثير من الحكايات عن المهاجرين إلى أمريكا.

الحب في المنفى^٢: يقدم فيها اختلافات متعددة الطبقات حول مواضيع أزمة الهوية، المنفى، خيبة الأمل، الأحلام الفاشلة، وقوة الحب. بطل الرواية يعيش حياة المنفى. في البداية، انهارت علاقته مع زوجته، وفقدت عائلته بعد أن انفصل عن زوجته، وقرر أبناؤه العيش مع الأم. هناك يأتي لغز آخر نتيجة لميله السياسي إلى ناصر، فنفي إلى

١ ربنه الحايك، أيام باريس، ٢٠٠٤

٢ بهاء طاهر، الحب في المنفى، دار الآداب، ٢٠٠٥

إحدى الدول الأوروبية ، للعمل كمراسل لصحيفة في القاهرة، والتي لم تعد تنشر أي شيء له في المنفى، يلتقي مع مرشدة سياحية، بريجيت. علاقة حب تتطور بين الاثنين. هنا، يشير إلى علاقة الشرق بالغرب. ومع ذلك، فإن الألم داخله يتسع مع فراقه بريجيت في نهاية الرواية.

اقتباسات من الرواية:

- لا أعرف الكثير عن الأسر السعيدة، هل تتشابه في أفراحها أم لا... لكنني أعرف ان الشقاء ندبة في الروح إن بدأت في الطفولة فإنها تستمر العمر كله ..أفهم أنه لا توجد ندبة تشبه أخرى
- الإنسان لا يقرر أن يحب . الإنسان يحب . هذا هو الأمر

الخاتمة

فيمكن اعتبار أدب الهجرة نوعا مستقلا لأنه يتميز بمواضيع و زخارف متسقة حتى في اللغات المختلفة والتقاليد الأدبية وهي (المواضيع): الهوية وتصوير الوطن الجديد مع المقارنة بالقديم، والإختلافات بين الأجيال داخل العائلة والتقاليد القديمة والجديدة وتواريخ بديلة للأمة والصدقات والعلاقات بين الثقافات المختلفة. فهذه محاولة متواضعة لتسلط الضوء إلى أنواع مختلفة من التصورات لهذه القضية.

المصادر والمراجع

١. أنطوني غدنس، علم الاجتماع، الطبعة الأولى، دار المعارف، كامبردج ١٩٨٤م
٢. بهاء طاهر، الحب في المنفى، دار الآداب، لبنان، بيروت، ٢٠٠٥م
٣. الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العود، لبنان، ١٩٦٦م
٤. فيروزابادي، القاموس المحيط، ابن منظور، لسان العرب، دار الآداب، لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م
٥. ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، دار ميريت: القاهرة، ٢٠١٠م



اللغة العربية في عصر العولمة والتقنية المعلوماتية

السيدة/محسنة بي. وي^١

الملخص:

إن التكنولوجيا المعلوماتية يتطور يوما فيوما وفقا للاختراعات في هذا المجال. أثرت هذه التطورات على لغتنا المقدسة، اللغة العربية تأثيرا عميقا. إن اللغة العربية تتقدم مع تتبّع التطورات العالمية في عصر التقنية الحديثة. اللغة العربية هي أكثر اللغات تحدثا ونطقا ضمن مجموعة اللغات السامية، وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم التطورات الرقمية افتتحت ابوابا جديدة في مجال اللغة العربية وتزداد شواغل الوظائف الناتجة من التقنية المعلوماتية، وفرصة الترجمة في التسوق. إن اللغة العربية خرجت من دائرتها الدينية وصارت في قائمة اللغات العالمية الشهيرة. قد انبثقت الاتجاهات الجديدة في اللغة العربية في عصر التقنية المعلوماتية. إن العربية قد اقتبست كثيرا من الألفاظ الأجنبية وصارت متناولة بين الكتاب والمصنفين. وكذلك في مجال التقنية الحديثة يستعمل كثيرا من الألفاظ الجديدة والاصطلاحات الحديثة ويستعمل كثيرا من الكلمات القديمة للمعاني الجديدة. نحن نعيش فيعصر العولمة وأدت هذه العولمة إلى جعل العالم قرية إلكترونية صغيرة. وأثرت على اللغة العربية تأثيرا إيجابيا وسلبيا. يمكن نشاهد مظاهر العولمة في اللغة العربية أيضا.

تعد اللغة العربية إحدى اللغات العريقة في العالم، وأن كثير من اللغات القديمة التي تولدت مع العربية درست وانمحت من الوجود، وبعض منها تكاد تنفد نفسها الأخير بين جذران الكنائس. وأما اللغة العربية رغم قدم زمانها تقوم دور هام في الاتصالات والعلاقات الدبلوماسية في مساحة الدولية الحالية، حتى أنها صارت معترفة كلغة رسمية لدى هيئة الأمم المتحدة. فقد مضت على هذه اللغة تغييرات وتطورات أثناء سيرها عبر القرون مع موكب الحضارات العالمية حتى أنها اقتبست كثيرا من الألفاظ والاستعمالات من اللغات الأجنبية، بهذه الأوراق إنني أريد أن أبين أمامكم بعض التطورات والإنجازات التي حدثت للغة العربية في هذا العصر الذي يعرف بالعصر المعلوماتية حيث يعتبر العالم فيها قرية صغيرة دولية. فلا يخفي عليكم أن العالم فقد شاهد لكثير من التطورات والاختراعات في القرون الماضية، ومن أهمها اختراع الحاسوب الذي تغير مصير العالم في شتى مجالات الحياة. ويرجع تاريخ الحاسوب إلى ألفين سنة قبل الميلاد، وفي القرن العشرين تطور الحاسوب الذي نشاهده بجهد الجهد لكثير من العلماء ومن أهمها تطوير اللغة الآلية التي تركب في حروفها الهجائية رقمين

١ محاضر الضيف، كلية مدينة العلوم العربية ب، وليكيل

بسيطين مثل الصفر والواحد. وبما صارت الوسطة بين الإنسان وأنشطة الحاسوبية رقميين من الصفر والواحد تعرف هذه التقنية بالتقنية الرقمية يعني ديجيتال تكنولوجي ويسمى هذا العصر الحديث بالعصر الرقمي.

على الرغم من أن اللغة العربية هي أقدم اللغات العالمية أنها لم تتأخر ولم تتقاعس من تتبع التطورات العالمية في عصر التقنية الحديثة. وأنها لا تزال تستخدم في كثير من النظام التشغيل في برمجة الحواسيب كسائر اللغات العالمية فضلاً عما نشاهد في الشبكة الدولية كثير من المواقع العنكبوتية حيث يسهل للباحث أن يجد ما يريد من المعلومات بكتابة مقصده في العربية في محركات البحث، ولا تزال كل يوم تزداد عدد المواقع الإسلامية والعربية في الشبكة الدولية حتى لا نستطيع أن نحصيها ولا غلو فيما نقول أنه يبلغ عددها الملايين. ناهيك عما تنقلت وتبدلت في هذه الشبكة الكتب الإسلامية الورقية إلى الكتب الإلكترونية الرقمية، حتى صار معظم التفاسير والكتب الأحاديث والتصنيفات الفقهية والكتب التاريخية كلها أصبح متوفرة في الشبكة الدولية. ومما يستحق المدح والإشادة هنا أعمال المنظمات الإسلامية في تبديل الكتب الورقية إلى الكتب الرقمية أو الإلكترونية. وتجدر هنا الإشارة إلى أن معظم المجالات العربية والإسلامية تصدر في الإصدار الإلكتروني حتى أن القارئ الذي لا يتمكن أن يشترها أو أن يحصلها بالاشتراك فيها يتمكن أن يقرأها بواسطة الحاسوب الشخصي إن توافر لديه تسهيل الشبكة. وأبين أمامكم هذه الأمور لكي أوضح لكم أن اللغة العربية لم تتأخر في سيرها مع اللغات العالمية، ولم تعجز أن تدخل في قالب التقنية الرقمية. في بداية الأمر كانت التقنية المعلوماتية محتكرة للغة الإنجليزية وأما البحوث والدراسات في هذا المجال قد يسر الأمر حتى حلت مشكلة اللغة وصار نظام التشغيل مستجيب للأوامر والإرشادات في أي لغة من لغات العالم.

ومما يثلج صدورنا أن التقنية الرقمية نعمة عظيمة بالنسبة للمسلمين الذين يحتاجون إلى تصفح المعلومات الدينية من شتى مصادرها من التفاسير والكتب الأحاديث والموسوعات الفقهية والتاريخية. ولعل المسلمون أشد حاجة إلى هذه التقنية من حيث يضطرون إلى عبث النصوص الدينية في المسائل الدينية والفقهية. وقد وعدنا الله سبحانه أنه يحفظ القرآن إلى أن يرث الأرض ومن عليها، بقوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»^١. ولحفظ كتاب الله تعالى لا بد أن يحمي اللغة التي أنزل فيها هذا الكتاب. وبما أنعم الله سبحانه الدول الخليج العربي بالنفط وما أنتجته من البركات والإمكانات الاقتصادية نرى الآن أن الشركات العملاق التي تسيطر على عالم التقنية تتسابقون في تطوير البرامج العربية وأجهزة عربية تستخدم فيها لغة الضاد.

ومما يلفت أنظارنا أن اللغة العربية مختلفة تماماً عن سائر اللغات العالمية، لأن معظم اللغات يكتب من اليسار إلى اليمين اللهم إلا اللغة العربية أنها تكتب من اليمين إلى اليسار مثل أقل القليل من اللغات العالمية. ولها خصوصية يمتاز بها العربية ونستطيع أن نقرأ في بعض الموسوعات في تعريف اللغة العربية أنها هي اللغة التي تكتب من اليمين إلى اليسار. وأن اللغة الفرنسية والإنجليزية بينهما تشابه في الكتابة وأنها يكتب بنفس الحروف الهجائية حتى أنه يوجد في كليهما ألفاظ تستعمل فيهما لمعاني واحدة، وأما العربية والإنجليزية مختلفة

١ سورة الحجر، رقم الآية ٩

تماما في النطق والكتابة وشكل الحروف على الرغم من هذا والانعكاس والصعوبة الناتجة عند التعامل معها يحاول الذين يتطورون البرامج الحاسوبية أن يبذلوا قصوى جهودهم في تطوير نظام موافق للعربية، وليس هذا بمحبتهم للغة العربية أو بشوقهم لاحتفاظها إلى يوم الدين بل أنهم يقصدون بها المنافع المادية.

وجدير بالذكر هنا أن أصحاب شركة مايكروسوفت كلما يصدرن إصدارا جديدا لنظام التشغيل يصدرن إصدارا خاصا في العربية. حيث يتوفر فيه جميع الأوامر والنواهي والإرشادات والتوجيهات في اللغة العربية المحضنة. ولا توجد هذه الميزة إلا لبعض اللغات الشهيرة في العالم. ومما يدل بعض الدراسات والإحصائيات أنه يبلغ عدد اللغات في العالم تقريبا ثلاثة آلاف، وأن الشركات المحلية تطور برنامجا لكتابة هذه اللغات في الحاسوب، وأما شركة مايكروسوفت لم تتطور إلا ما فوق مائة من البرامج اللغوية، ويوجد في إصدارها الجديد لنظام التشغيل المعروف بـ ويندوز أكسي تقريبا مائة وخمسون لغة من شتى أنحاء العالم. كما أن هذه الشركة لم تتطور إصدارا خاصا في لغة خاصة إلا لبعض اللغات الشهيرة في العالم ومنها اللغة العربية. وبهذا التسهيل يستطيع للمستخدم الذي لا يعرف إلا العربية أن يتعامل مع الحاسوب إن وجد في جهازه نظام التشغيل الممكن في العربية.

ولا أنكر هنا أن أسماء مواقع الشبكة وعناوين البريد الإلكتروني لا تزال تتناول في الإنجليزية فقط. ولم يتمكن حتى الآن هذه الميزة إلا للإنجليزية ولو وصل العلماء إلى تطوير تقنية يتعامل مع العربية في أسماء المواقع والعناوين لقدموا اللغة العربية في هذا المجال باعتبار اهتمامها في مجال الدبلوماسية. ولا يقتصر سلطان اللغة العربية في الحواسيب فحسب، بل إنها تؤدي دورها في الهواتف المحمولة، وأن النقال أو الجوال الذي في أيدينا لقد أصبح جزءا من حياتنا حتى أننا لا نستغني بدونه. وأن الشركات العالمية المشهورة التي تنتج النقال يرمج في داخله اللغة العربية أيضا مع الإنجليزية. ويدل هذا الإنجاز على أن الذي لا يعرف أي لغة إلا العربية فيسهل عليه التناول والتعامل مع هذه الأجهزة الإلكترونية. وبواسطة النقال الذي يتعامل مع العربية فيتمكن لنا أن نرسل الرسائل القصيرة في اللغة العربية، وبهذا التسهيل يتصل كثير من الناس بعضهم ببعض بدون تكليف باهظ بمدة بضع الثواني من الوقت. ولعلنا نتمكن أن نرسل مثل هذه الرسائل عبر النقال في معظم لغات العالم، ولكن لغة القائمة يعني اللغة التي توضح الإرشادات والتوجيهات في الأجهزة الإلكترونية كما نشاهد في الجوال والحواسيب لا تزال قاصرة في بعض اللغات الشهيرة في العالم وتتضمن في قائمته اللغة العربية.

شواغل الوظائف الناتجة من التقنية المعلوماتية

ومن المعروف لديكم جميعا أن الوظائف المدركة بتعلم العربية كانت محصورة في تعليم هذه اللغة في المدارس والكليات والجامعات، وتصنيف الكتب وكتابة المقالات في الجرائد والمجلات. وبعد ذلك أخذت شواغل الترجمة والتعريب تزداد كلما ارتقى اتصال دول العالمية بالبلاد العربية. وأما الآن لا يخفى على أحد أنه يوجد كثير من الوظائف في الدولي الخليج العربي خاصة وفي سائر البلاد عاما لمن يجيد اللغة العربية ويمتلك الخبرة في

مجال الحاسوب. وفي الآونة الأخيرة انبثق فرص كثيرة في مجال التقنية، وذلك عندما يتطور الشركات أي برنامج حاسوبي يضطر صاحبه أن يترجم إلى العربية أيضا لكي يجتذب الزبائن من البلاد العربية.

فقد نشرت مؤخرا في المجلات العربية أن المسلمين في الصين يجدون شواغر الوظائف بتعلمهم اللغة العربية. وأن أصحاب الشركات وعملاء التجارة في الصين يحتاجون إلى الأشخاص الذين يعرفون اللغة العربية لكي يقوموا دور الترجمة والتعريب في مجال التجارة والصناعة. وزيادة فرص الوظائف للغة العربية في شتى نواحي العالم نري أن كثير من غير المسلمين يقبلون لتعلم هذه اللغة. وما من دولة في العالم إلا وتقدم بعض الطلاب من غير المسلمين لتعلم العربية مستهدفين الوظائف المدركة بتعلمها، سواء أ كانوا من الطلاب المدارس أو الكليات أو الجامعات. فضلا عما تمنح الحكومات غير الإسلامية التسهيلات في معاهد الحكومية لتعليم اللغة العربية في حسابها لكي تجبر المشكلات في المراسلة والاتصالات في العلاقات الدبلوماسية.

ويظهر لنا التاريخ أن الحكومات الإسلامية قد اعتنت بتعليم اللغة العربية مستهدفة تعلم القرآن والحديث وسائر المصادر الإسلامية، وأما اعتناء الدول الديمقراطية والعلمانية بأمور اللغة العربية لعله نادر في القرون الماضية، ولا غرو في اعتناء الناس بتعلم اللغة الإنجليزية لأنها لغة وصلة واتصال في العالم، وتنزل العربية في مكانة أقرب إلها من سائر اللغات العالمية. وبالإضافة إلى هذا الاعتبار والاعتناء بأمر اللغة العربية في مجال التقنية الرقمية من الحواسيب والهواتف وسائر الأجهزة الإلكترونية، نري أن اللغة العربية مكتوبة على البضائع الموجودة في الأسواق. ولو نظرنا إلى اللعب والرزم المتراكمة في الأسواق نرى أسمائها وبيان محتوياتها في اللغة العربية أيضا حتى تعتبر كتابة العربية على اللعب الغذائية تدل على قيمتها التي تستلزم حق الإصدار إلى الدول الخليجية. أمها الإخوة إنني أقول لكم هذه الأمور لكي أبين أمامكم أن اللغة العربية قد خرجت من دائرتها الدينية وصارت في قائمة اللغات العالمية الشهيرة. وأن شاعر النيل حافظ بك إبراهيم قد بين في أبياته عن حالة المحزنة للغة العربية. وأما الآن صارت اللغة العربية عزيزة محترمة في العالم. اللهم إلا أن ليس أمامنا شعراء عبقريين لتعبير مكانة هذه اللغة بين سائر اللغات في العصر الحديث.

الاتجاهات الجديدة في اللغة العربية.

وقد شكا الشاعر في قصيدته عن حالة اللغة العربية عن افتراء الناس أنها عقيمة تعجز أن تتولد الألفاظ الجديدة وأن تعبر المعاني الحديثة. وأما الآن نرى أن العربية قد اقتبست كثيرا من الألفاظ الأجنبية وصارت متناولة بين الكتاب والمصنفين. وقد وضع علماء اللغة قالباً ومعيّاراً لتعريب الكلمات الأجنبية إلى العربية وذلك بجعل الكلمة الأجنبية في وزن الرباعي فعلى ثم يصرفها إلى سائر التصريفات ويستعملها ككلمة عربية. وعلى سبيل المثال فقد اخترع جون لوجي بيرد التلفيزيون ولم يكن في العربية كلمة لهذا الجهاز أو لهذه الأداة. فقد استعمل نفس الكلمة الإنجليزية في العربية أيضا. وبعد ذلك استنبط من كلمة تلفزيون فعلا رباعيا على وزن فعلى مثل تلفز يعني به بث البرامج التلفيزيون ثم يستعمل مضارعها مثل يتلفز وسائر تصاريفها. هذا هو المعيار المعتبر

في تعريب الكلمات الأجنبية إلى العربية. وهكذا يستعمل كلمة سفلت لتسويد الطريق بالمادة المعروفة بـ «الإسفلت» كما يستعمل كلمة بلشف لمن يعتنق مبدأ الشيوعية لأن كلمة الأجنبية «بولشفيك» يستعمل مرادفا للشيوعية. وهكذا نرى كثيرا من الألفاظ الأجنبية تعرب إلى العربية في صيغة الرباعي فعلى.

وفي مجال التقنية الحديثة يستعمل كثير من الألفاظ الجديدة، وأن بعض منها يستعمل كصورته في الإنجليزية مثل كلمة كمبيوتر وانترنت وتلفون وما إليها من الاصطلاحات الحديثة. ولتعبير نفس المعنى يستعمل كلمات عربية مثل الحاسوب والشبكة الدولية والهاتف، وأنها تكون عربية الأصل ولكن يراد بها المعنى الجديد. فمثلا أن كلمة الشبكة موجودة في قديم الزمان ومستعملة لمعنى مقصود ولكن وفي مجال التقنية تستعمل هذه الكلمة لمعنى «الإنترنت» وهكذا تستعمل كلمة الموقع لمعنى «بيب» والفأرة لمعنى «موس» وكلمة «المعالج» لمعنى بروسوسار بالإضافة إلى مثل سائر الألفاظ التي تستعمل في هذا المجال، وأن كلمة الحاسوب غير موجودة في القواميس القديمة وكانت كلمة الحاسب يستعمل للآلة الحاسبة، وبعد ذلك بعد تبديل بسيط أنشأت كلمة الحاسوب لمعنى الكمبيوتر. وإن استعمال الكلمات القديمة للمعاني الجديدة ليست محصورة في مجال التقنية فحسب بل إنه موجود في مجال العلم أيضا. وأن كلمة نواة كان معناها في العربية القديمة حب التمر. وأما الآن تستعمل هذه الكلمة لمعنى «نيوكلياس» الموجود في داخل الذرة. وتستعمل كلمة الأسلحة النووية لمعدات الحربية التي تنتج من الطاقة الذرية. وأن القارئ الذي لم يطلع إلى مثل هذه التطورات اللغوية لعله يتهم إذا سمع كلمة النووي أنه مرتبط للإمام النووي.

وختاما لهذه المقالة ألفت أنظاركم إلى اللغة العربية الحديثة حيث يوجد فيها ألفاظ إنجليزية كثيرة كما أنه حدث فيها تغييرات للكلمات القديمة للمعنى المقصود به. وأن تعريب الألفاظ الأجنبية إلى العربية ليس عيبا وعارا للعربية لأن جميع اللغات في العالم قد اقتبس من سائر اللغات ألفاظا غير قليلة حتى أن العربية أيضا أخذت ألفاظا كثيرة من العبرية والسريانية وغيرها من اللغات العريقة. كما استعارت سائر اللغات الحديثة من العربية ما يدل على كثير من المعاني. وأرى أن هذه التطورات الحديثة لا تضر اللغة العربية ولا تؤديها إلى الهلاك، بل إنها ضرورية لإبقائها حية بين اللغات العالمية. ويقدر الآن أنه يوجد في اللغة العربية ما يقارب عشرة آلاف من الألفاظ وأن المصادر الإسلامية مثل القرآن والحديث والفقه والتاريخ لم يستعمل فيها إلا ألفين من الألفاظ وأن الذي يطلع إلى هذه الألفاظ يتمكن أن يقرأ ويفهم الكتب الإسلامية. وفي العربية الحديثة يوجد ألفاظا غريبة لمن يتعلم اللغة الكلاسيكية كما أن المتعلم للغة الحديثة تجهل عن ألفاظ الكتب الدينية، فيجب علينا أن نعني بتعلم اللغة العربية بمنهج شامل يجمع بين القديم النافع والحديث المفيد.

أثر العولمة على اللغة العربية

العولمة مصطلح يعني إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب والأوطان والثقافات، أو هو نشر الطابع الأمريكي - لأنها نشأت في أمريكا - في جميع أمور الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ليكون عالميا.

وقد شهد العالم أنماطا من العولمة والعالمية في حروب اليونان والرومان وفي الفتوحات الإسلامية، ولكن العولمة المعاصرة جاءت عن طريق الاقتصاد والثقافة لتبسط قوانينها الرأسمالية في العالم ولتمحو شخصية الشعوب ولاسيما الإسلامية والعربية ولتجعلها طيعة كالعجينة بين يديها، وهي تتخذ من الطعن باللغة الفصحى ونشر اللغة الإنجليزية وسيلة لتحقيق مآربها. أما العالمية الإسلامية فإنها تكرم ابن آدم، وتساهل بين البشرية وتجعل العلاقات بين أبنائها قائمة على التعارف لأعلى بسط النفوذ والهيمنة، وبذلك تختلف عن العولمة التي كانت لتغيير العالم ثقافة ولغة وعادات لتحل محلها ثقافات مادية إلحادية، وبذلك تمحى هويتنا ونكون تبعاً لها.

مظاهر العولمة اللغوية :

بدأت العولمة لغويا في مظاهر شتى :

١- الثنائية اللغوية

إن مشكلة الثنائية اللغوية في التعليم بل سيطرة اللغة الأجنبية في المدارس الخاصة والجامعات سببت خلخلة في البناء الاجتماعي ستزداد وطأته يوما بعد يوم إن لم نتلاف القضية، إذ سينشأ جيلان من أبناء الوطن الواحد ولكل انتماءه للبلد الذي يتكلم لغته. «إننا لا نحارب تعلم الإنجليزية ولكننا لا نعطيها أكثر من قدرها إنها سبيل إلى التفاعل الحضاري والنهضة الحديثة ولكن يجب أن نفرق بين ما يعلي شأننا وما يجعلنا نهوي إلى الحضيض حين نكون تبعاً للغرب نأتمر بأمره. إن التعليم بغير لغة الأم سيجذب أبناء العرب والمسلمين إلى الغرب ومن ثم ستهدد لغتنا وقيمنا ولاسيما عند الجيل الصاعد. إن لغتنا حملت آدابنا واستوعبت علوم حضارتنا ولا تزال أهلاً لأن يدرس فيها، ففي سوريا يدرس الطب وسائر العلوم العقلية والنقلية بالفصحى وقد أثبت خريجوها تفوقاً لأنهم تعلموا بلغة الأم واستوعبوا المادة استيعاباً قوياً وكان سبب سيادة الإنجليزية هو سوق العمل، فالشركات ومعظم المدارس والجامعات تدرس بالإنجليزية إلا قليلاً وتتعامل بها وتصدر قراراتها بها وهذا ما دفع الناس إلى الاندفاع لتعلمها منذ الصغر فكان مالم يكن في الحسبان». وقد أجرت جريدة الشباب لقاء مع طلاب بعض الجامعات في الإمارات العربية المتحدة حول استخدامهم للفصحى فتيبين منه :

- ١- كثير من الطلاب باتوا لا يحسنون التحدث بالفصحى لأنهم يتكلمون الإنجليزية منذ المرحلة الابتدائية، وبعض هذه المدارس تغرم الطالب الذي يتكلم بالعربية أموالاً ليدع التلفظ بها
- ٢- بعض الطلاب صار يعد تعلم العربية مضيعة للوقت .
- ٣- وبعضهم بات يكرهها وينفر منها ، والمرء عدو ما يجهل .
- ٤- وهناك من يفخر لتحديثه أو لتحديث أولاده بالإنجليزية لغة العلم المعاصر بزعمه وصار يعد الفصحى «موضة قديمة» على حد قوله .
- ٥- وأثبتت التجارب أن من يدرس بلغته يتفوق على من يدرس بغير لغته الأم كالإنجليزية للعرب ، ولذلك فالتدريس بالأجنبية يؤثر على الكمية المعطاة من العلم كما صرح بذلك بعض أعضاء الهيئة التدريسية .
- ٦- النجاح في المستقبل لا علاقة له بالنجاح في اللغة، فألمانيا وفرنسا والصين وفنلندا واليابان وسوريا وفيتنام

تدرس بلغاتها لا بالإنجليزية وكذلك في بعض مناطق كندا يدرس فيها بالفرنسية لغة أهلها الأم .

٧- ضعف الانتماء العربي عند من يدرس بالإنجليزية بل فقدانه أحيانا ، وتفضيلهم الخروج من الوطن ، ولهذا صرنا كالفراش الذي يغرق بالنور فيحترق به ، إذ خسرنا أبناءنا وانتماءنا وهويتنا حتى صار في أمريكا وحدها سبعة ملايين عالم غير أمريكي الأصل .

٢- استخدام ما أطلق عليه اسم **العريزية** : وهو مظهر آخر عند الشباب الذين يستعملون الشبكة العالمية (الإنترنت) بالإنجليزية بدلا من العربية إذ راح هؤلاء يكتبون الكلمات العربية بحروف إنجليزية ، ووضعوا أرقاماً للأصوات العربية التي لا توجد في اللغة الأجنبية فالرقم (٧) الأجنبي بدلا من حرف الحاء مثلا وهذا إن نم عن شيء فهو ينم عن عقدة النقص التي حملها هؤلاء الجهلة بالعربية .

٣- **نشر الأبحاث العلمية بالإنجليزية** : إن الاعتراف بالأبحاث العلمية يتطلب أن تنشر بالأجنبية لتعترف الجامعات بها ، وإلا فإنها لن تلقى القبول مهما كان مستواها العلمي لأن المجلات العربية غير مسجلة في فهارس المؤسسات العلمية ، وهذا سيؤدي إلى ترسيخ فكرة عدم صلاحية العربية للعلم ، الأمر الذي يستدعي جهودا كبيرة لترسيخ أسماء المجلات العربية للبحث العلمي

٤- **ازدواجية اللغة في المجتمع لافي التعليم فحسب** : بات كثير من أفراد المجتمع حتى الصغار ينطقون كلمات أجنبية ضمن أحاديثهم اليومية ، وذلك ناجم من عقدة النقص لأنهم حسبوا أن من يتكلم الأجنبية أعلى مستوى من غيره ، من ذلك أوكيه بدلا من موافق وكلاس بدلا من صف وموبايل بدلا من الهاتف المتحرك و... والاستعمال يجعل الكلمة سائرة وقد تدخل في المعاجم مع مرور الزمن كما أدخل المجمع اللغوي المصري التلفون بدلا من الهاتف على الرغم من انتشار الكلمة العربية .

٥- **التعامل في السوق بالإنجليزية** : كما في الشركات والمحلات التجارية إذ ضارت الإنجليزية لغتهم الرسمية سواء أكتبت بحروف إنجليزية أم عربية والقانون يحظر هذا .

٦- **ومن مظاهر العولمة تهديد الأمة بالانقسام** : وهذا مايريد العدو أن يتوصل إليه شعوب العالم الثالث كالشعوب العربية ، بل لقد انقسمت بلدان أجنبية بناء على اللغة ، وفي كندا وبعد الاعتراف بالفرنسية لغة رسمية إلى جانب الإنجليزية أخذ أبناء الفرنسية يطالبون بالاستقلال في مناطقهم ، وفي الهند صراع بين الشمال والجنوب بناء على اللغة ، ففي الشمال يتكلمون الهندوسية وفي الجنوب يتكلمون الإنجليزية لأن معظمهم تنصر بعد الاستعمار ، وفي الجزائر صراع بين البربر والعرب ويطالب البربر بالانفصال عنها ، وفي العراق صراع بين الأكراد والعرب ، وفي السودان يتكلم الجنوب الإنجليزية ويطالب بالانفصال ...، ولله در رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال (ليست العربية من أحكمكم بأب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي) .

الوصايا لحفظ اللغة العربية.

- ١- الإكثار من مراكز تحفيظ القرآن الكريم لينشأ الجيل على حب العربية والترنم بها
- ٢- فتح معاهد ثقافية في البلدان العربية والأجنبية التي يفد منها عاملون إلى البلاد العربية وذلك لتعليم العربية غير الناطقين بها لئلا يكون وجودهم ذريعة لاستخدام الإنجليزية

- ٣- تفعيل القرارات المتعلقة بضرورة استخدام الفصحى لغة في الدوائر الرسمية وغير الرسمية إلا في حالات الضرورة.
- ٤- التوعية بأهمية اللغة العربية ولاسيما عن طريق أجهزة الإعلام، وتخصيص برنامج يومي وعمود صحفي لهذا الغرض.
- ٥- يجب أن تواصل الجامعات اللغوية عملها في تعريب المصطلحات العلمية لتكون الفصحى بديلاً في تدريس العلوم ونشر الأبحاث، وغنى لغتنا يساعد في هذا فهي تحوي مليون كلمة بينما في الإنجليزية ستون ألفاً فحسب والفرنسية ثلاثون ألفاً، وفي لغتنا ٢٧٢٠٠٠ كلمة حضارية حسب الدراسات التي قامت حولها وتقوم مؤسسة وانا بعملية الترجمة اليوم ويشرف عليها ألوف المثقفين
- ٦- معاقبة من يمنع الطلاب من التحدث بالفصحى في المؤسسات التعليمية
- ٧- الإشراف اللغوي على برامج الأطفال كلها
- ٨- مراقبة الكتب المترجمة لوضع المصطلح العربي إلى جانب المصطلح الأجنبي .

الخاتمة

تقدم اللغة العربية في سيرها مع موكب التطورات الرقمية في هذا العصر الذي يعرف بالعصر المعلوماتية. هذه التقنية الرقمية تغير مسار العالم في شتى مجالات الحياة. قد يتعدى الوظائف بتعلم العربية من تدريس هذه اللغة إلى الوظائف التقنية المتعددة. وكذلك دخلت كثيراً من الاتجاهات في اللغة العربية. وأثرت العولمة أيضاً على العربية.

المصادر والمراجع

١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٢٩هـ
٢. أبو مغلي، سميح، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس دار الفكر، عمان، ١٩٩٧
٣. زيدان، جرجي، تاريخ اللغة العربية، تقدم عصام نور الدين، دار الحداثة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م
٤. مبارك مازن، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م
٥. يوسف، جمعية سيد، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٩م



الخماسية وسائر المقطعات الشعرية واستخدامها لدى الشاعر عمر بهاء الدين الأميري

السيد/أنيس تي، كى^١

الملخص:

تعد المقطعات الشعرية من تراث الشعر العربي وأساليبه وهي قديمة موجودة عند وجود الشعر في الأدب العربي. وقد شهد التاريخ كثيراً من الشعراء المشهورين يستعملون هذا الأسلوب في أشعارهم، ومنهم الشاعر الإسلامي المفكر عمر بهاء الدين الأميري. هنا في هذه الدراسة، تفتح للقارئ أبواب العلم عن المقطعات الشعرية في اللغة العربية وتاريخها وأصولها وسماتها الفنية وأنواعها المختلفة واستخدامها في الأشعار العربية وتركز على الشاعر السوري المرحوم عمر بهاء الدين الأميري وخماسيته وهيكلها وأسلوبها وشرفها ومكانتها في الأدب العربي. تاريخ المقطعات الشعرية وسماتها الفنية:

إن جودة الشعر وإتقان طبيعته تقاس بذات الشعر وجوهره الشعري الذي يتجلى بقيمه الشعورية والتعبيرية وبما فيه من جمالية وبيان وبأسلوب التعبير الجيد وليس بطوله ولا بكثرة عدد أبياته. وبهذا النظر تعتبر المقطعات الشعرية، ولذا بدأ تاريخ المقطعات الشعرية منذ بداية قول الشعر وهي قديمة كما كان الشعر قديماً لأنها نوع من أنواع الشعر ونمط تعبيرى فني. وقد أشار إليه النقاد ومؤرخو الأدب كما قال الدكتور يونس السامرائي في مقالته «ظاهرة المقطعات في الشعر العباسي»: «أن ظاهرة المقطعات الشعرية قديمة قدم الشعر، وأن هناك أسباباً كثيرة دعت إليها وإلى الإكثار منها، أو الاختصاص بها، وأن الشعراء عامة قد نظموا فيها، وكان بعضهم أكثر ميلاً إليها، وأقدر عليها من سواه».

المقطعات الشعرية شكل فني أصيل في الشعر العربي الذي يضيف القيمة الأدبية إلى فن الشعر وإلى التراث الإبداعي العربي لأنها شاملة من الخصوصيات والسمات الفنية التي ليست لسواها من أنواع الشعر. والمراد بالمقطعات هو قصار الشعر التي توضع في مقابل القصائد من أجل تشكيل الأبنية التي غالباً ما يأتي عليها الشعر العربي. وقد شهد الشعر العربي الحديث كثيراً من المقطعات الفائقة أسلوباً والشعراء المكثرين من هذه المقطعات، منهم: إسماعيل صبري وحليم دموس وأحمد الصافي النجفي ومحمد سعيد العامودي. والاهتمام البالغ بالتأليف والإنشاء في فن الشعر يكون للقصائد والدواوين لعدم حاجتهما إلى التحديد كمّاً وموضوعاً ومعنى مع

١ الباحث في الجامعة كالكويت تحت المشرف الأستاذ الدكتور ك أم محمد

أن المقطعات تحتاج إلى تحديدها كما ومعنى ووحدة موضوعية. ولكن هذا الاهتمام للقصاص والدواوين لم يُقل أهمية المقطعات في فن الشعر لأنها أصغر بناء شعري مكتمل عرفه العرب واستعمله للإنشاء الأدبية.

قد تباينت نظرة اللغويين والنقاد في محاولة تحديد المقطعات. أما نظرة اللغويين في تحديدها نظرة عامة لأنهم يركزون على جانب القصر فيها. وابن فارس يقول: «والمقطعات: الثياب القصار، وفي الحديث: أن رجلاً أتاه وعليه مقطعات له، وكذلك مقطعات الشعر». والزمخشري يقول: «وعليه مقطعات: ثياب قصار، وجاء بمقطعات من الشعر وبمقطعة وقطعة، وما عليها من الحلي إلا مقطوع: شئ يسير من شذر ونحوه». وابن منظور يقول: «وقالوا شعراً قصّداً إذا نَقَحَ وجوّدهُ وهذب... وليست القطعة إلا ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر، فأما ما زاد على ذلك فإنما تسميه العرب قصيدة». وأما النقاد فهم يشيرون إلى تحديد المقطعات فنياً لا لفظياً فيكون تحديدهم أولى من اللغويين. يقول الباقلاني: «سمع الفراء يقول: العرب تسمى البيت الواحد يتيماً، وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها، فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهي نتعة، وإلى العشرة تسمى قطعة، وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيداً، وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعض». ويقول ابن رشيق: «وقيل إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس... ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد، ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً، وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه، كل ذلك ليدلو على قلة الكلفة وإلقاء البال بالشعر». وللمقطعات سمات عديدة فنية ومعنوية والسمة الرئيسية التي تمتنع معها المقطعة أن تختلط بأي بناء آخر، هي القصر. ومن أهم سائر السمات الوحدة والارتجال والحكمة والمعنى والشرط والجزاء

أنواع المقطعات الشعرية:

تتنوع المقطعات الشعرية حسب اختلاف عدد الأبيات والسطور والأشطر. وهي ثنائية إن كانت مؤلفة بيتين وثلاثية إن كانت مؤلفة بثلاثة أبيات ورباعية إن كانت مؤلفة بأربعة أبيات. والخماسية والسداسية والسباعية أيضاً من أنواع المقطعات التي سميت حسب عدد أبياتها. وهنا يُبحث عن الخماسيات واستخدامها لدى الشاعر السوري الرحيل عمر بهاء الدين الأميري في دواوينه ومواضيعها.

الخماسيات: هي جمع خماسية، وهي مقطّع أو قطعة شعرية تتألف من خمسة أبيات ترتبط بمعانٍ متقاربة، منطلقة من فكرة أساسية، لم يعدها النقاد القدامى قصيدة في عداد القصائد.

عمر بهاء الدين الأميري: عمر بهاء الدين الأميري، شاعر سوري غزير الإنتاج من مدينة حلب، مفكر إسلامي فذ، أستاذ مهتم بالحضارة الإسلامية، شاعر المحارب، شاعر الإيمان والإنسان والحس المرهف، المعروف في العالم الأدبي بكثير من الألقاب مثل عميد الشعر الإسلامي المعاصر وإقبال العرب وشاعر الإنسانية المؤمنة وشاعر الأبوة الحانية والبنوة البارة. وهو شاعر فحل من فحول الشعراء المعاصرين، بدأ قول الشعر وهو في التاسعة من عمره وجمع ديوانه الأول وهو في الثامنة عشرة. تناول الأميري في أشعاره المواضيع المشتملة للقيم الروحية

والأهمية الإنسانية والشؤون الإلهية بلغة جذابة مثل المواضيع الصلة بالله والجمال والحرية والمحبة والسعادة والإخلاص واليقين والسمو الديني وصفاء القلب والإرادة والوطنية والإنسانية.

الخماسية في شعر الأميري: من الحقائق الشائعة في عالم الأدب أن الشعر أو القصيدة هي التي تفرغ من الشعراء وتفيض من خيالهم وليس الشاعر هو الذي يفرغ من الشعر أو القصيدة. ويختلف اختيار المواضيع والألفاظ والمعاني في الأشعار والقصائد حسب اختلاف الشعراء ولا يتفق الأسلوب والألفاظ والمعاني في أشعار الشعراء مع اتفاق الموضوع. كان عمر بهاء الدين الأميري صاحب شعر مملوءة بأفكار وتأملات. وكانت طبيعته النفسية مزدهرة بالإبداع الفني والعاطفة الوجدانية ومائلة إلى طابع ديني وإنساني وثقافي ومملوءة بالأساليب اللغوية والأدبية، يمكن له أن يتناول كل دقيقات في المعيار الأدبي ويوازنها في ميزان الشعر. قد أشار الأميري في ديوانه «صفحات ونفحات» إلى طبيعة إبداعه الشعري وميل النفس إلى الخماسيات في أشعاره وكثرة وقوعها في دواوينه وأثر ماحوله وأحواله في قوله الشعر وكتابته مع الإشارة إلى أثر الخماسيات في أشعاره ويقول عن سيرته: «وكثيراً ما تنساب من نفسي خلال ذلك، مقطوعات من الشعر، بعضها قصائد طويلة، وأغلبها خماسيات، لعلها شكّلت جلّ ديواني المطبوع 'مع الله'». عدد خماسيات الأميري المنشورة (٩٤) أربع وتسعون خماسية، وهذه كلها لم تدوّن في كتاب واحد ولكن توزعت في دواوينه المختلفة ومجموعاته الشعرية مثل ديوان مع الله، ألوان طيف، أب، ديوان أمي، صفحات ونفحات، أذان القرآن، قلب.. ورب، نجاوى محمدية، رياحين الجنة، سبحات ونفحات.

سبب اختيار الأميري للخماسيات: هناك إشارات كثيرة في تاريخ حياة الشاعر الأميري لاختياره نظام الخماسيات أو المقطعات. والأهم منها طبيعته لأنها كانت ذات طاقة وقوة تتوهج لحظات أو وثبات روحية أو شعرية، وكانت الوثبة أو الموجة الواحدة تشتمل فكرة واحدة أو تجربة واحدة. والرجال بمثل هذه الطباع يختار هذا الأسلوب ويستريح بذلك. ومن الإشارات أن الأميري كان رجلاً ذا مشاغل وأسفار متصلة يتداخل في أمور كثيرة في الوقت نفسه، ولذا لا يتسع وقته للتكثير والتطويل. يقول محمد الحسناوي عن سبب اختيار الشاعر عمر بهاء الدين الأميري أسلوب الخماسية أو المقطعات لكتابة قصائده: «ترجح لدينا أن هناك في الأقل سببين نفسيين لاختيار الأميري نظام الخماسيات أو المقطعات، أحدهما ذو طابع ديني، والآخر ذو طابع فني. أما السبب الأول، فهو البعد الروحي لتجربته الشعرية، التي تمتع من معين الموضوع الإلهي... الخ. ويستمر الحسناوي قائلاً: «السبب الثاني لاختياره الخماسيات هو طبيعة الإبداع الشعري القائمة على وثبة نفسية أو مجموعة وثبات، تُفرغ شحنة التوتر النفسي لدى الشاعر نتيجة التقاء التجربة الجديدة المثيرة بتجربة الشاعر القديمة المختزنة، وتنتظم شيئاً فشيئاً، فيكون من انتظامهما القصيدة التي نتلقاها، مما يجعل الحركة كلها متجهة إلى إعادة تنظيم المجال».

شرف خماسيات الأميري وخصائصها

إن لشعر عمر بهاء الدين الأميري خصائص عديدة حسب العواطف والمواضيع والأساليب الفني والبلاغة. وكذا خماسياته أيضاً خصائص عديدة. وهذه الخصائص تختلف حسب أحوال تقديمه للخماسيات

والأزمة والأماكن والمواضيع. اختلف معيار التقويم الفني عند النقاد، وبعضهم يعتبرون موضوع الشعر وغرضه في دائرة التقويم الفني وبعضهم لا يعتبرونه بل يعتبرون حسن الألفاظ ودقة المعنى. والطائفة الأولى من نقاد الأدب أخرج موضوع الشعر و غرضه من دائرة التقويم الفني لنصوص الأدب والشعر، لأنهم اعترفوه من باب احترام حرية الأديب أو الشاعر وعدم الحجر عليه. ولكن عباس محمود العقاد، الناقد من الطائفة الثانية، بحسبه الفني الرفيع يخالف العرف النقدي الدارج، و يقول في رسالة كتبها عن ديوان الأميري «مع الله»: «ديوانكم مع الله آيات من التنزيل والصلاة، يطالعها القارئ، فيسعد بسحر البيان، كما يسعد بصدق الإيمان. وقد قرأت طائفة صالحة من قصائده، وسأقرأ بقيتها، وأعيد قراءة ما قرأته، لأنه دعاء يتكرر ويتجدد ولا يتغير، يطالعها القارئ فيسعد بسحر البيان كما يسعد بصدق الإيمان...».

ونقاد هذه الطائفة يقولون تفسيراً لمعيارهم أنه 'إذا رأى الشاعر المرفه منظرًا طبيعيًا جميلًا انفع به، ولا يستقر انفعاله حتى يعبر عن تجربته، وإذا أحسن إليه صديق أو حبيب لم يجد بداً من شكره على جميله وإحسانه، فكيف يكون شأنه مع الله الذي خلق له جمال الطبيعة، وخلق الإنسان الذي أحسن إليه، كما خلق العواطف والمشاعر المرفهة التي تذوقت هذه الأفوايق؟ أليس جديرًا به أن ينفع بهذا الإحسان الذي لا حدود لأنواعه وأبعاده وأعماقه وأطايبه؟ وإذا عبر عن هذه المشاعر السامية أجمل تعبير وأبدعه، ألا يكون تعبيره أو شعره هذا من أعظم أنواع الشعر والتعبير؟'.

فهذه بعض الخصائص التي شاعت وقوعها في خماسيات الأميري:

الإلهيات والشعر الإلهي: عندما تُسمَع كلمة الإلهيات والشعر الإلهي، أولاً يخطر على البال عن شعر الزهد أو التصوف، وفي الحقيقة هي شعر يماثل شعر الزهد والتصوف ولكن ليس من مفرداتهما قط. الإلهيات وشعرها شائعة في شعر الشاعر عمر بهاء الدين الأميري لأنه أحبَّ الله ورسوله حبًّا لا نظير له. والخماسية أيضاً قد اشتملت جما وافرا من الإلهيات. فأما المواضيع التي ألفت هذه الخماسيات، ثلاثة منها في الأمومة وواحدة منها في الأبوة وأخرى ذاتية واثنتان في الهم، وما تبقي أي تسعة وثمانون (٨٩) كلها في الشعر الإلهي.

الإشارة إلى الزمان والمكان ودلالتهما: من خصوصيات خماسيات الأميري الإشارة إلى الزمان والمكان. وهو قد أشار الزمان والمكان قبيل أو بعيد خماسياته مع كتابة التاريخ والشهر والسنة العربية القمرية. وهذا يدل على أن الشاعر كان معنيا بتأريخها والحديث عن مناسبات أشعاره على وجه العموم. وعندما نعتبر الزمان في خماسياته يمكن أن يشرحه بزمانين:

١. تاريخ كتابة الخماسية في الزمن العام. وهو قد اعتبر في التوقيت الهجري.

٢. تاريخ نظم الخماسية في حياة الشاعر نفسه.

فعند اعتبار تاريخ نظم الخماسيات، «يفهم أن القسم الأكبر من المقطعات نظمت في مرحلتين من حياته.

المرحلة الأولى مطلع حياته الأدبية والثانية أواخر حياته. ففي المرحلة الأولى نظم قرب ٤٣ خماسية. ثم تتوارى الخماسيات وتأتي على ندره واحدة واحدة طوال ست وثلاثين سنة، حتى تستعيد عافيتها سنة ١٩٨٨م فظهر في هذه السنة نفسها ٢٥ خماسية. ففي هذين المرحلتين من حياته للخماسية، قد اختلف أسلوبه وموضوعه وأفكاره وتأمله و عاطفته في المرحلة الأولى من المرحلة الثانية. ففي المرحلة الأولى، كان الأميري في ميعة الصبا والتوهج العاطفي. وأما في المرحلة الثانية كان الشاعر في السبعينيات من عمره حيث بلغه نضجه العقلي. فكانت خماسياته في هذه المرحلة ذات الطابع التأملي والعقلي حيث يغلب فيها جانب العقل على العاطفة»^١.

وعندما تُعتبر دلالة المكان في خماسيات الأميري، نفهم أن للشاعر فيها مذهب يُعلي من شأن المشاعر والمعاني والأزمنة. إن الشاعر الأميري كان يشير إلى المكان الذي كُتبت الخماسيات فيه في أواخرها أحيانا وفي أوائلها أحيانا مع الإشارة إلى الزمان. وكتب كثيرا من خماسياته من الأمكنة المقدسة مثل مكة المكرمة وبغداد ومدينة المنورة وبين الصفا والمروة والملتزم وبيروت وكراتشي وجدة وإسكندرية وحلب وشاطئ الهريرة في المغرب.

هيكل خماسيات الأميري: «من أهم عناصر القصيدة هيكلها لأن القصائد كلها اعتُبرت جزء فنيا عاطفيا بسبب الهيكل الذي يشمل موضوع القصيدة وتناسقها وبناءها. والهيكل يكون جيدا إذا كانت القصيدة كائنا فنيا ذا موضوع واحد قوي البناء متماسك الأجزاء من البداية إلى النهاية. تناول الأميري هذا السرّ في خماسياته وجاءت وحدات فنية متماسكة الأجزاء ومتقنة السبك الهندسي وقوية البناء. فلذا كانت الخماسيات أيضا كائنا فنيا لا يقل أهمية وشأنا عن القصائد الطوال. ومن خصوصيات هيكل خماسيات الأميري وحدة العاطفة وتطورها في اتجاه واحد، تماسك أجزائه من البداية إلى النهاية، التركيز على البيت الأخير أو الخاتمة وأهميتها»^٢.

الموسيقي: كان عمر بهاء الدين الأميري شاعر ملتزم بعروض الخليل بن أحمد الفراهيدي مع أنه عاصر ظهور شعر الحر والتفعيلة وكتب مقدمات لكثير من قصائده ودواوينه بنثر فني يكاد يكون من شعر التفعيلة. ولإلتزام أشعاره البحور الشعرية والقوفي تمتعت قصائده لا سيما خماسياته بالموسيقى وسيرورة طاغية لأن بحور الخليل أغنى موسيقى لتعدد أو تنوع بالتفعيلات مثل فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ وَمُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ.

نظم الأميري خماسياته على عشرة بحور وهي:

الرمـل- فيه ١٨ خماسية	الطويل- فيه ١٢ خماسية
الخفيف- فيه ١٥ خماسية	لمتقارب- فيه ١٤ خماسية
السريع- فيه ١٣ خماسية	الكامل- فيه ١٠ خماسية
البسيط- فيه ٦ خماسية	الرجز- فيه ٥ خماسية

١ عمر بهاء الدين الأميري: ديوان مع الله، (الطبعة الثانية، بيروت: دار الفتاح، ص ٢٦)
٢ مجلة الأدب الإسلامي، الصادرة عن الرابطة الأدب الإسلامي العالمية، المجلد: ١٥، العدد: ٦٠.

المتدارك- فيه خماسية واحدة المنسرح- فيه أيضا خماسية واحدة

رغم التزام الأُميري بالبحور والقوافي، هنا «عوامل متعددة التي أسهمت موسيقي لخماسياته مثل التصريع في المطالع والتصريع في الشطور وبعض التصريع وألوان من الجناس والطباق والتكرار في بدايات الأبيات أو بعض التراكيب والكلمات». وقد ترنم كثير من المغنين المشهورين بعدد من خماسيات الأُميري لموسيقيته وأذيع في عدد من الإذاعات العربية منها خماسيات صلة، عمرة، صلاة، دعاء.

الخاتمة

في الجملة، إن الخماسية وسائر أنواع المقطعات شائعة في الشعر العربي القديم والحديث. وهي تستعمل لبيان مفهوم أو فكر في صورة سهلة ولا يكون فيها الإطالة بل ملخص الفكر أو المفهوم فقط. وكان الشاعر عمر بهاء الدين الأُميري من الشعراء في العصر الحديث، الذي يستخدم المقطعات لا سيما الخماسيات في دواوينه لتناول مفاهيمه التي تطلع في قلبه في بعض الأحيان. واستخدمها الأُميري مع شروطها كلها حيث يمكن للقارئ أن يفهم معانيها ومضامينها.

المصادر والمراجع

١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تحقق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل.
٢. الدكتور خالد بن سعيد الحلبي: عمر بهاء الدين الأُميري: شاعر الإنسانية المؤمنة، المطبوع سنة ٢٠٠٤م، والبناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأُميري، المطبوع سنة ٢٠٠٩م
٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٨٧م
٤. ديونس السامرائي- ظاهرة المقطعات في الشعر العباسي- آداب المستنصرية-ع: ٨- ١٩٨٤م.
٥. عمر بهاء الدين الأُميري: ديوان مع الله، (الطبعة الثانية، بيروت: دار الفتح، ١٣٩٢هـ)
٦. عمر بهاء الدين الأُميري: ديوان نجاوى محمدية، (الطبعة الأولى، الرشيد المدينة المنورة)
٧. عمر بهاء الدين الأُميري: ديوان حجارة من سجيل، دار الثقافة في قطر، ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)
٨. المعجم الأدبي- جبور عبد النور- دار العلم للملايين- تعريف المقطع
٩. مجلة الأدب الإسلامي، الصادرة عن الرابطة الأدب الإسلامي العالمية، المجلد: ١٥، العدد: ٦٠.
١٠. محمود العريني، وائل مصباح القيم الروحية في شعر عمر بهاء الدين الأُميري، الرسالة للماجستير، المطبوع من قسم اللغة العربية في كلية الآداب، الجامعة الإسلامية-الغزة ١٩٩٨م
١١. مجلة الأدب الإسلامي، الصادرة عن الرابطة الأدب الإسلامي العالمية، المجلد: ١٥، العدد: ٦٠.



النهضة الأدبية الشعرية في اليمن

الدكتور/صغير علي . تي بي^١

الملخص

الشعر في اليمن عريق عراقة حضارته وتاريخه، والشعب اليمني له إسهام مقدر في الحضارة الإنسانية، وكان اليمن مركزاً للتجارة والثقافة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وارتبط بعلاقات وثيقة مع روما القديمة والحضارات الآسيوية وحضارات ما بين النهرين. وإذا كان الشعر – بالنسبة لهم هو معروف – ديوان العرب، وسجل حياتهم، ووسيلتهم في نقل أفكارهم ومشاعرهم، فإنه كذلك أيضاً في حياة اليمنيين سواء في ماضيهم أو حاضريهم، فقد كان الشعر – بالنسبة لهم – الوسيلة الوحيدة أو الأولى التي يصورون بها أحداث مجتمعاتهم بل كان فهم الخاص الذي يدونون به تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويسجلون عقائدهم ويعبرون عن عواطفهم، ويصوغون أحاسيسهم إزاء كل ذلك صياغة شعرية موسيقية، والشعب اليمني بحكم فطرته وأنه جزء من الأئمة العرب كلها يحمل خصائصها ويمثل روحها فهو ذو طبيعة شاعره بقدر الكلمة الساحرة وينساق وراءها، ولا يتأثر بشيء تأثره بمثل سائر أو حكمة بالغة، وقد حاول اليمنيون أن يجعلوا كل حياتهم شعراً، فإن تعذر ذلك فلم يفقدوا التقاطيع والأوزان حتى في غير الشعر تدل على ذلك الكثرة الكاثرة من المنظومات الشعرية والتاريخية واللغوية وغيرها، وإن فقد التعبير الشعري الرفيع في المنظومات اللغوية فلم تخل من الوزن والقافية على الأقل، على أن هناك حشد هائل من الشعر الذي ملأ حياة اليمنيين في كل عصر من العصور الأدبية.

العصر الجاهلي

هذا هو العهد عهد الشعر والشاعرية، والمؤرخون يقولون عن العصر الجاهلي هو العصر قبل الإسلام، كانت اليمن هذه الفترة فترة المجد العتيق ورمز القوة والسلطان ومسرح السياسة والتجارة وسد مأرب والجنان وغيرها من الحضارة ومعاليم المدينة. أن الشعر اليمني في الجاهلية - قد دخل كثير من النحل والتزوير، وأن العصبية القبلية قد فعلت فعلها في نسبة جزء غير يسير من الشعر العربي إلى غير قائله وذلك ما لم ينكره الرواة أنفسهم، ولم ينكروا بسبب هذا الانتحال الشعر العربي كله، فمن الشعراء المشهورين في العصر الجاهلي من اليمنيين الأسماء التالي: عمرو بن براق، مالك بن حريم، الأفوه الأودي، الأجدع بن مالك الهمداني، عبد يغوث الحارثي، جعال بن عبد، مالك بن زيد وعمر بن معدي كرب الزبيدي، ومنها اليائية الشهيرة للشاعر يغوث الحارثي

١ أستاذ مساعد ومشرّف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

والتي مطلعها:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا^١فيا راكبا أما عرضت فبلغن ندا ماي من نجران ألا تلاقيا^٢

وقد صور الشاعر في هذه القصيدة موقفه من الأسر وشموخه وحزنه وصبره ، وفي رأي الجاحظ عن الشاعر«وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث وذلك أنا إذا قسمنا جودة أشعارهما في وقت أحاطت الموت بهما لم يكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية». والقصيدة من عيون الشعر العربي وأثر الجاهلية واضح عليها لغة وأسلوباً وقد إمتد أثرها في العصور التالية وتأثر بها كثير من شعراء تلك العصور واتخذوها نبراساً ومثلاً لشجون النفس وتوقيع الأحزان، فقد اقتفى أثر الحارثي شعراء مجيدون وقطعوا على مثل وتره الحزين من أمثال مالك بن الريب في قصيدته المشهورة، والقصيدة من القصائد المختارة في الشعر الجاهلي وتحمل كل خصائصه من القوة والجزالة وغرابة الألفاظ وصدق التعبير والتصوير والفخر بالشجاعة والإقدام وهجاء الفاربن والمتهقرين في الحرب، وفي هجاء عمرو لأخلافه من جرم ما يجعل القصيدة مستعصية على التشكيك فقد عرفنا أن القائلين بعدم وجود شعر جاهلي صحيح يعتمدون على أن الشعر المنسوب إلى شعراء يمينيين إنما إخترع بعد الإسلام ليكون مفخرة من مفاخرهم وليس في هذه القصيدة ما يدل على ذلك.

وقد أورد الهمداني أن مناسبة قصيدة عمرو هذه أن قوماً من مراد أغاروا على إبل عمرو فاستاقوها فأراد الغارة عليهم فنهته قبيلته همدان عن إنتهاك حرمة أشهر الحرام «رحب» ولكنه لم يستجب لهم فلج وأغار عليهم ونال حاجته منهم وقتل منهم وأسروا وقال هذه القصيدة عقب ذلك^٣، والقصيدة مع مناسبتها واضحة الدلالة على يمينيتها ويمينية قائلها فأحداها كلها تدور حول قبائل يمنية، همدان ومراد ونحوها، وللشاعر الفارسي اليميني جعال بن عبد قصيدة فخرية تعد من روائع شعر الفخر في الشعر الجاهلي في اليمن ، أن نماذج الشعر اليميني في الجاهلية كثيرة وشعراء اليمن في الجاهلية أيضاً كثيرون وقد إكتفيت بأشهر النماذج وأبرز الشعراء، ومما يؤكد وجود الشعراء اليمينيين أن هؤلاء الشعراء كانوا قادة وسادة في قومهم فلم يكن من السهل إختراعهم أو نسبة أشعارهم إليهم، ربما زيد في أشعارهم أو نسب إليهم شعر لم يقولوه، إعتقاداً على ما قالوه واشتهر عنهم، من مثل هذه القصائد المشهورة، التي أشرنا إلى بعضها، وهي من الجودة والقوة- كما قلنا - بحيث تجعل الشعر اليميني في مستوى الشعر العربي عامة.

وأما اللغة فقد أشرنا من قبل إلى أن إختلاف لهجات القبائل لا يمنع أبداً أن تكون هناك لغة فنية مشتركة بينها هي لغة المنابر والمجالس الخاصة كما نشاهد اليوم في الشعوب العربية تجد صعوبة بالغة في

١ جاحظ، البيان والتبيين، تحقيق شيخ المحقق عبد السلام هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخاني العتية، القاهرة سنة ١٩٩٨، ص: ٣٠٠، نقلاً عن المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المفضليات، المحقق أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة السادسة، دار المعارف، بيروت، ٢٠١٢، ص: ٧٥

٢ عرضت آتيت عروض مكة والمدينة

٣ أبو محمد الهمداني، لاكيل، المخطوط في عشر أجزاء، حفظها في مكتبة إمام أحمد بن عبد ربه الأندلسي صنعاء سنة ٩٣٨، ص: ٢٤٩

التفاهم ولا في إختلاف مسميات الأشياء من شعب لأخر. لكن ذلك الإختلاف لم يقف حاجزا دون وجود لغة فنية مشتركة، فلغة الكتابة والخطابة والشعر لغة واحدة في كافة البلاد العربية كما نرى ذلك واضحا في وسائل الأعلام المسموعة والمقروءة والمرئية وفي خطب الجمعة والمحاضرات العامة والمؤتمرات الرسمية وغيرها.

عصر صدر الإسلام والدولة الأموية

دخل الإسلام اليمن في أعقاب حضارات ودول وتبايعة وقصور وسدود وعروش، كاد الإسلام يستقر في اليمن حتى ظهرت فتنة الأسود العنسي الذي ادعى النبوة ودعا إلى الخروج عن الإسلام، وفتن به أصحاب النفوس الضعيفة، فعلم الرسول (صلعم) بفتنته، ودعا المسلمين إلى مقاومة، فقاومه المسلمون، وانتصر الحق على الباطل، وقضى المسلمون على الفتنة وظل الإسلام، في اليمن مرفوع الراية شامخ الجبين في كل هذا التاريخ الطويل، وكانت اليمن خلال ذلك مجتمعا متالفا منضوبا تحت لواء الخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وبغداد وسيظل جزءا من الوطن العربي والأمة الإسلامية. وقد شارك اليمنيون في هذه الفترات في صناعة الأحداث في تلك العواصم كما شاركوا في الفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعة الحكم الإسلامي فكان لهم آثار هامة في الحياة العامة السياسية وتوسيع رقعة الحكم الإسلامي فكان لهم آثار هامة في الحياة العامة السياسية والدينية والأدبية والعلمية إذ عرف منهم القادة والساسة والمفكرون والعلماء والأدباء والشعراء.

ونفهم من التاريخ شعراء اليمن في صدر الإسلام فسجد أخبارهم وأشعارهم متناثرة هنا وهناك بين مختلف كتب الأدب والتراجم كالأغاني والأمالى وكتاب الحيوان وخزانة الأدب والشعر والشعراء والبيان والتبيين والعقد الفريد ومعجم الأدباء والإصابة وغيرها، وسأكتفي هنا أيضا بالمشهورين من الشعراء وبعض النماذج الشعرية الدالة على قوة الشعر وفحولة الشعراء اليمنيين في هذا العصر. وشعراء اليمن في صدر الإسلام حتي نهاية الدولة الأموية عمرو بن معدى كرب الزبيري بعد أن أسلم وحسن إسلامه، فروة بن مسيك، قيس بن المكشوح، إبراهيم بن كنيف الشهابي، أعشى همدان، وضاح اليمن، يزيد بن المفزع الحميري، الأشتر النخعي، وغيره، ولم يكن هؤلاء الشعراء بأقل شعرا ولا شهرة من سائر الشعراء العرب في الجزيرة والشام والعراق سواء من عاش منهم داخل اليمن، أو من هاجر إلى العواصم الكبرى ومراكز النفوذ آنذاك، ومن أبرز هؤلاء الشعراء مثل عمر بن معدى كرب الزبيدي، وقد تقدم أنه من فحول الشعراء في الجاهلية وهو كذلك من شعراء الإسلام المعدادين، ولعل من أشهر ما روي له من شعر إسلامي هذه الأبيات التي قالها يصف صبره وجلده في الحرب

أعاذل عدتي بزي ورمحي وكل مقلص سلس القيادة^١

أعاذل إنما أفنى شبابي إجابتي الصريح إلى المنادي

العباسيون ١٣٢-٢٠٥ هـ

حكم العباسيين لم يستمر طويلا في اليمن فقد إستقل الزيدانيون بحكم اليمن بعد سبعين سنة تقريبا

١ المقلص الفرس الطويل القوائم

من قيام الدولة العباسية في بغداد سنة ١٣٢هـ، ومع ذلك فقد كان هناك مجموعة من شعراء اليمن إشتهروا في هذه الفترة، يحيى بن زياد الحارثي، السيد الحميري، أبو السمط الفيروزي، محمد بن أبان الخنفري، بكر بن مرداس، ومن الشعراء المشهورين في هذه الأيام نري الشاعر يحيى بن زياد الحارثي

نعا ناعيا عمرو بليل فأسمعا فراغا فؤاد لا يزال مروعا

وما دس الثواب الذي زدوكه وإن خانه ريب البلى فتقطعا

إختار أبو تمام هذه المقطوعات في حماسته فهذه الرصانة الشعرية^١، هذه القصيدة مثال لقصيد الرثاء، ميزتها هي رقة الألفاظ، وصدقا في المعاني وسلاية في الأسلوب وقوة في التعبير وكذلك نري شعراء البارزين في هذا العصر مثل السيد الحميري، يشير صاحب الأغاني عن شهرته «إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة بشار بن برد، وأبو العتاهية، والسيد الحميري، يقول أيضا» و إنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة وأزواج النبي صلعم.

اليعفريون^٢ ٢٥٥-٣٩٣ هـ

الشعراء في هذا العصر أعداد كثيرة فكان منهم المجيد ومنهم دون ذلك، وكان هناك شعر بلغ القمة في جودته فطار إلى الأفاق وهناك شعر ظل يدور حول نفسه لم تتجاوز شهرته منطقة قائله، وهذا نماذج قليلة على جودة الشعر وقوته في العصر وهي قليلة من كثير من شعر اللامعين في ظل هذه الدولة التي حكمت اليمن في هذه الفترة الزمنية التي لا تتجاوز المئتي سنة، لمع خلالها من الشعراء: عبد الخالق بن أبي الطلح، الحسن بن أحمد الهمداني، أبو بكر محمد ابن أقنونه، إبراهيم الجدويه، إبراهيم بن قيس الحضرمي، وغيرهم كثير.

وأشهر شاعر في هذا العصر هو إبراهيم بن الجدوي، له مكانة مرموقة بين الشعراء اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري، يذكر عاصر همداني في كتابه «إنه شاعر مطبوع، ورغم أن اليمن كانت منعزلة من الناحية السياسية عن عاصمة الخلافة ومشغولة بأحداثها الداخلية إلا أن الشعر ظل يساير الشعر العربي في العواصم الكبرى قوة وضعفا يزدهر بإزدهاره، ويركد بركوده، كما رأينا في النصوص القليلة التي سقناها لمختلف العصور التي مرت معنا.

١ أبو علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٣، ص: ٣٠٦

٢ هي ثاني دولة مستقلة، وينسب اليعفريون إلى الملوك الحميريين، ويعتبر يعفر بن عبد الرحيم المؤسس الفعلي لهذه الدولة، وكان الخليفة المعتمد قد عينه عاملاً على صنعاء قبل أن يستقل بالسلطة ويؤسس الدولة، ولكن الخلافات نشبت بين أفراد الأسرة اليعفرية فضعف مركزها لتنتهي لاحقاً وتدخل في طاعة دولة الأئمة. في آخر عهد المتوكل ابتدأت الدولة اليعفرية بصنعاء وكان جدهم عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد واليمن وصنعاء وما إليها ولما توفي عبد الرحيم قام في الولاية مقامه ابنه يعفر بن عبد الرحيم وهو رأس الدولة ومبدأ استقلالها إلا أنه كان يهاب آل زياد ويدفع لهم خراجاً يحمل إلى زيبد كأنه عامل لهم ونائب عنهم وكان ابتداء استقلال يعفر بن عبد الرحيم سنة ٢٤٧هـ واستمر ملك صنعاء في أعقابها إلى سنة ٣٨٧هـ

الصليحيون^١ ٤٣٩-٥٣٢هـ

وفي هذا العصر أيضا برز عدد من الشعراء، وكان لهم مكانتهم كما كان لشعرهم أثره ورونقة، كان الشعر في هذا العصر أقل من العصر السابق سواء من حيث عدد الشعراء أو جودة الشعر وقوته غير أن هناك شاعر فاقت شهرته شعراء عصره وهناك شعراء آخرون في هذا العصر كان من أبرزهم: عمر بن يحيى الهيثمي، الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ، سليمان بن أبي الحفاظ، عمارة اليمني، محمد بن زياد المأربي. فمن أبرز نماذج الشعر في هذا العصر هذه القصيدة للشاعر حسين بن علي بن القم

و نري في شعر ابن القيم^٢، هو من معاصري المتنبي، أثره واضحاً ومع ذلك هو من أفاضل اليمن المبرزين في النظم كما سيأتي ذلك في ياقوت في معجم الأدباء^٣، ولسطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري أشعار كثيرة ومعظمها في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي الذي كانت تدين به دولة الصليحيين في اليمن وشرح لمبائه وأهدافه، بل كانت أشعاره ترديدا لما كان يزعمه دعاة الفاطميين من أن الله لا يجوز أن يسمى بأي إسم لأنه أسى من كل إسم، ومن ثم كانوا يضيفون أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم على أئمتهم، والشاعر متشيع مغال في التشيع على الطريق المذهب الإسماعيلي وله في ذلك أشعار ذكر بعضها منها عمارة في تاريخه المفيد.

ولشاعر قصائد عتابية كثيرة جرت بينه وبين أخيه السلطان سليمان بعد أن دب النزاع بينهما وقامت بينهما حروب وماوشات وفتن إنتهت بغلبة السلطان الخطاب بمساعدة الحرة أروى بنت أحمد وكان كلا الأخوين شاعرا، وكان سليمان سنيا بينما كان الخطاب شيعيا فاطميا فكان لهذا الخلاف العقدي بين الأخوين أثر كبير أدى إلى أن يقتل الخطاب أخاه غلبة بعد أن إستدرجه حتى أمن جانبه.

الدولة الطاهرية^٤ (٨٥٨-٩٢٣)

هذا العصر عصر الحرب والفتن، ولذلك لم يكن فيه الشعراء الكثرين والموهوبين مثل ما كان في عصر بني رسول، ومع ذلك فلم يخل هذا العصر من بعض الشعراء من العلماء والمتصوفة والفقهاء الذين كانوا يحسنون نظم الشعر دون النظر إلى الإعتبارات والخصائص الفنية، والقيم الجمالية الرفيعة، ومن الشعراء المشهورين في هذا العصر مثل: يحيى بن المطهر وعمر بن عبد الرحمن السقاف وموسى بن يحيى بهران ومحمد بن عبد الله الهادي وعبد الهادي السوداني والأصم شرف الدين وغيرهم، وهذه بعض من الأشعار المختارة من الشاعر عبد الهادي السوداني المتوفي سنة ٩٢٣هـ، وللإمام شرف الدين نفسه مجموعة من القصائد والمقطوعات ربما كانت أجود شعر هذا العصر فألفاظه جزلة ومعانيه قوية وأسلوبه بعيدا عن التكلف:-

١ قامت هذه الصليحيين في بادي الأمر في صنعاء ثم توسعت حتى شملت تهامة وعدن وبقيّة أجزاء اليمن باستثناء منطقة صعدة،

٢ كان ابن القيم شاعرا من أفاضل اليمن المبرزين في النظم

٣ ابن القم ياقوت الحموي، معجم الأدباء، المحقق إحسان عباس، الجزء السابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠٨ ص: ١٣٠

٤ الدولة الطاهرية ٨٥٥-٩٢٣هـ ١٤٥١-١٥١٧م هي دولة يمنية أسسها عامر بن طاهر، في مناطق نفوذ الدولة الرسولية بعد اندثارها، وهي معظم اليمن باستثناء مناطق الجبال الشمالية التي تنافس عليها الأئمة الزيديون،

الدولة العثمانية^١

بعد إنقراض دولة آل طاهر ظلت اليمن متأرجحة بين الأئمة في صعوده ودولة آل عثمان في تركيا التي كانت آنذاك تحكم العالم العربي كله، ولم تستقر اليمن هذه المدة كان الحكم فيها لمن غلب من الأئمة أو العثمانيين، حالة الشعر في هذه الفترة أحسن الحال، الحروب والفتن هو موضوع لكتابة الشعر العربي في هذا العصر، ومن الشعراء البارزين مثل حسن بن علي بن جابر الهبل (١٠٤٨م-١٠٧٩م)، وعبد الصمد باكتير (١٥٧٧م-١٦٣٧م)، أحمد بن أحمد الأنسي (١٩٣٣م-١٩٨١م) المعروف «بالزئمة» إبراهيم بن صالح الهندي (١٦٩٠م-١٧٦٣م)، علي صالح العماري (١٧٣٦م-١٧٩٧م)، محمد بن علي الشوكاني (١٧٥٩م-١٨٣٩م)، وأحمد بن لطف الزبيدي، ومن النماذج الشعرية البديعة لشعراء هذا العصر هذه المقطوعة للشاعر إبراهيم بن صالح الهندي أحد شعراء القرن الحادي عشر المشهورين.

الشعر اليمني الحديث والمعاصر

وفي العصر الحديث ظل العالم العربي قروناً طويلة خاضعاً للخلافة العثمانية باعتبارها قوة إسلامية جديدة نشأت في أعقاب تمزق العالم الإسلامي. ولهذا ساد فيه الأمن والاستقرار بعد أن قدم فروض الطاعة والولاء لدولة الخلافة. وقد حاول سلاطين آل عثمان مرات عديدة إخضاع اليمن للحكم العثماني باعتبارها جزءاً من الوطن الإسلامي من ناحية ولأهميتها الإستراتيجية جغرافياً وعسكرياً من ناحية ثانية. غير أن طبيعة اليمن أثبت عليها أن تلين قناتها وتخضع للحكم العثماني ولذلك ظلت الحروب والصراعات فترات طويلة من الزمن فما تكاد القوات العثمانية تخضع جزءاً من اليمن إلا ويثور جزء آخر.

ولهذا ظلت اليمن في ركود مستمر سياسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً خلال هذه الفترات التي عانت منها اليمن من ويلات الحروب. ثم إن الدولة العثمانية نفسها عانت مشكلات شتى من المؤامرات والانقسامات مما أضعف مركزها وأخضع نفوذها وقرض أركانها، وفي العقود الأخيرة التي سبقت الحرب العالمية الأولى اشتدت ضراوة الحرب بين اليمنيين والأتراك، فأصبحت اليمن بسبب ذلك بما يشبه الشلل في كافة جوانب الحياة. وزادت حدة المقاومة ضد الأتراك شدة وضراوة، الأئمة وتزعموا قيادة المقاومة الشعبية وخاضوا ضد الأتراك معارك عديدة كان آخرها معركة «شهادة» التي كان فيها القول الفصل وقررت بعدها الحكومة العثمانية سحب قواتها من اليمن ف عقدت اتفاقية «دعان» ٢ الشهيرة مع الإمام يحيى سنة ١٩١١م - ١٣٢٩ هـ وكان الإمام يحيى قد خلف أباه على حكم اليمن سنة ١٩٠٤م وبموجب هذه الاتفاقية بدأ اليمن رسمياً يخرج من قبضة الحكم العثماني. وما أن وضعت الحرب أوزارها سنة ١٩١٨م وتم تمزيق أوصال الخلافة حتى حصلت اليمن على الاستقلال الجزئي في شمال البلاد أما جنوبها فقد كان خاضعاً للسيطرة الانجليزية وبهذا تم تقسيم اليمن إلى شمال وجنوب، تحت السيطرة الاستعمارية الكاملة إلى وقت قريب. وكان الشمال في تلك الآونة في وضع يحسد عليه إذ أنه كان في ظل

١ الدولة العثمانية هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، واستمرت قائمة لما يقرب من ٦٠٠ سنة، وبا التحديد من ٢٧ يوليو ١٢٩٩م حتى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م.

حكم الإمامة الغاشمة، فالأمور لم تسر في مسارها الصحيح. وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن في تلك الفترة ونتيجة لذلك فمن البديهي أن يكون الأدب والشعر سوقهما كاسدة في ظل هذا الوضع السياسي المتدهور.

أن الشعر اليمني الحديث قد تأثر في نشأته ومسيرته ببعض مظاهر الأدب في بعض الأقطار العربية الأخرى لاسيما مصر والشام والعراق، يقول عبد العزيز المقالح «إذا كان الشعر العربي المعاصر قد اكتسب معاصريته وجدته من بعث القديم ومن التأثر بالأدب العالمية المعاصرة وما تزخره من أنواع أدبية خارج القصيدة الغنائية، فإن الشعر في اليمن - وهو رافد صغير من روافد الشعر العربي لم يكتسب معاصريته وجدته سوى عن طريق الشعر العربي المعاصر نفسه، وفي جنوب البلاد اليمن أكثر من الشعراء قد ألموا إلماما جيدا باللغة الإنجليزية نتيجة لوجود الاحتلال البريطاني في عدن فإن أحد منهم لم يقيم بترجمة أي عمل أدبي من أي نوع ولم يتأثر أي منهم بالشعر الإنجليزي أو بالأدب الأجنبية بعامة وظل تأثرهم مقصورا على الشعر العربي ومدارسه المختلفة»^١

الخاتمة

ومن الدراسات المختلفة حول العصور المختلفة من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث يتضح لنا أن الشعر اليمني قد واكب مسيرة الشعر العربي في نجد والحجاز والشام والعراق ومصر وغيرها مواكبة دقيقة قوة وضعفا ومتانة وتطورا وجمودا وإزدهارا وإنحطاطا. أن الشعراء المشار إليهم في هذا التمهيد كلهم من اليمن، إما في الأصل والمولود والمنشأ، أو في الأصل والمولد فقط كما كان معظمهم يمنية فكريا وشعرا، وقليل منهم من كان مولده ونشأته في غير اليمن أو ذات شخصيته الأدبية والفكرية في المجتمعات التي عاشوا فيها خارج اليمن على أن شخصياتهم الفكرية وقد ذابت جميعها في العقيدة الإسلامية شأنهم في ذلك شأن جميع الشعراء العرب.

المصادر والمراجع

١. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٢ م
٢. ثابت بداري، الاتجاه الواقعي في الشعر العربي الحديث في مصر، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩ م
٣. خليل الموسى، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، طبعة الأولى، مطبعة الجمهورية، دمشق، ١٩٩١ م
٤. د. حسين عبد الله العمري، تاريخ اليمن الحديث المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٣٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
٥. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٤ م
٦. عبد العزيز المقالح، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، الطبعة الثالثة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٤ م
٧. عبد الله البردوني، فنون الأدب الشعبي في اليمن، الطبعة الثانية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨ م
٨. عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م



١ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٢ م

الدكتور عمر فضل الله ومجهوداته في إحياء الروايات العربية في السودان

السيد/محمد مختار بي. بي.^١

الملخص:

إن بلاد السودان^٢ قد تولدت و أنجبت شخصيات كثيرة وعديدة اللآتي قامت بتنشئتها وتربيتها في العلم والكتابة والخطابة، فمن هؤلاء الأفاضل الكتاب المبرزين، العلامة د. عمر فضل الله ككاتب المشهور طبيب صالح في السودان. هو ينهج نهجا جديدا في كتابة الرواية العربية يجمع بين الحقيقة والخيال في قالب مشوق ولغة شاعرة وأسلوب بديع ويجمع بين العلم والبحث العلمي والإبداع، حيث أكد فضل الله أن جائزة الطبيب صالح العالمية للإبداع الكتابي أصبحت تظاهرة ثقافية، وهو متخصص في تقنية المعلومات وعلوم الحاسوب، حيث حصل على درجتي الماجستير والدكتور في علوم الحاسب الآلي تخصص نظم معلومات من جامعة كاليفورنيا. ورأى أن إنتماءه إلى بيت علم وقرآن وفقه كان هو اللبنة الأولى التي فتحت عقله ومداركه على اللغة والثقافة، وأنه نظم الشعر في صغره مثله في ذلك مثل بقية أهل السودان. وإني أحاول في هذا الموضوع كشف النقاب عن أعماله العلمية، وتحقيقاته القيمة، وممارسته العربية، ومجهوداته القيمة في الروايات.

موجز عن حياته

عمر فضل الله من مواليد عام ١٩٥٦ وهو كاتب ومؤلف ورائي سوداني، ولد في العيلفون إحدى ضواحي العاصمة الخرطوم، نشأ بها وحفظ القرآن والشعر وهو صغير وقد كان متفوقا منذ الصغر، وفي جميع المراحل الدراسية. كان ضمن الأوائل في الشهادة الثانوية والتحق بجامعة الخرطوم حيث أمضى فيها سنة واحدة ثم غادرها لعدم استقرار الدراسة فيها آنذاك والتحق بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وفيها نال شهادة البكالوريوس بتفوق عام ١٩٨٠، ثم سافر بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث نال درجتي الماجستير والدكتوراة عام ١٩٨٧ وعاد ليعمل بالمملكة العربية السعودية حتى العام ١٩٩١ حيث رجع إلى السودان محاضرا بالجامعات السودانية كما أسس مركز الدراسات الاستراتيجية والمركز القومي للمعلومات. وفي عام ١٩٩٦ قرر الذهاب

١ طالب ماجستير في الفلسفة، جامعة مدارس، تشناني، تامل نادو، الهند

٢ بلاد السودان منطقة جغرافية تشير بشكل عام للمنطقة الخضراء التي تقع مباشرة جنوب منطقة الساحل.

للعمل في دولة الإمارات العربية المتحدة حيث ما زال يعمل ويقيم بالعاصمة أبوظبي. له إسهامات متنوعة في عدد من مجالات المعرفة والأدب والفكر والدعوة وهو شاعر وأديب. له بحوث وإسهامات في المعلومات وتقنياتها. عمل محاضراً بالجامعات السودانية ومؤسساً لعدد من مؤسسات ومراكز البحوث والدراسات. أسس مركز الدراسات الاستراتيجية و المركز القومي للمعلومات بالسودان وأسهم في إنشاء المكتبة الوطنية السودانية. هاجر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٩٦ حيث يعمل مديراً لمشاريع تقنية المعلومات وأنظمة الحكومة الإلكترونية بأبوظبي. حصل الكاتب عمر فضل الله جائزة الطيب صالح في سنة ٢٠١٨ عن روايته «تشيقة المغربي»^١.

المؤهلات الأكاديمية والعلمية:

- دكتوراه علوم الحاسب الآلي تخصص نظم المعلومات جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس ١٩٨٣ - ١٩٨٧
- ماجستير علوم الحاسب الآلي (نظم المعلومات) جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس ١٩٨٣ - ١٩٨٣
- بكالوريوس الإعلام والاتصال جامعة الملك عبد العزيز جدة ١٩٧٦ - ١٩٨٠
- ١. حفظ القرآن الكريم برواية الدوري بخلاوى الشيخ محمد الأمين أبو صالح ١٩٦٢ - ١٩٦٣
- ٢. أخذ رواية حفص عن عاصم عن الشيخ إبراهيم النعمان عام ١٩٧٠ م
- ٣. درس النحو والعروض وحفظ المعلقات والعديد من قصائد الشعر العربي الجاهلي والإسلامي والأندلسي والحديث في عهد الصبا.
- ٤. حضر دروس الشيخ الكتاني المغربي رحمه الله بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم (مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦)
- ٥. جلس إلى حلقات الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ومحاضراته في الرقائق والزهد بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦.
- ٦. صحب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى حين كان يمكث بالمكتبة الأيوبية جوار المسجد النبوي وتلمذ عليه في الحديث النبوي عام ١٩٧٦.
- ٧. درس الفقه الشافعي على الشيخ محمد نجيب المطيعي صاحب تكملة المجموع شرح المذهب للشيرازي بمسجد أبي بكر الصديق بجدة (شارع المكرونة)
- ٨. درس الفقه المالكي على عدد من الشيوخ حين كان بالسودان.
- ٩. حضر دروس الشيخ بن عثيمين بمسجد الأمير متعب بجدة.

أعماله القيمة في اللغة العربية:

- موسوعة ومعجم مصطلحات الحاسوب- الهيئة العليا للتعريب- الخرطوم ١٩٩٤
- مجموعة بحوث وأوراق عن التعريف بالشبكة الدولية (الانترنت) ١٩٩٢-١٩٩٨
- دليل أنظمة المعلومات والشبكات في افريقيا ١٩٩٥
- مجموعة أوراق عن أنظمة المعلومات ضمن أعمال مؤتمر الشبكة القومية للمعلومات بالسودان ١٩٩٤
- مناهج وكتيبات ومحاضرات لطلبة علوم الحاسوب في جامعة السودان وجامعة الخرطوم وغيرها ١٩٩٤

١ عربية NWES sky

- ❑ حرب المياه على ضفاف النيل- حلم اسرائيل يتحقق – دراسة عن سد النهضة الإثيوبي وأثاره- دار نهضة مصر ٢٠١٣
- ❑ ترجمان الملك – رواية – دار نهضة مصر ٢٠١٣ (تجري ترجمتها إلى ٧ لغات عالمية)
- ❑ أطيف الكون الآخر- رواية – دار الياسمين – إمارة الشارقة ٢٠١٤ (تجري ترجمتها إلى ٧ لغات عالمية)
- ❑ تحقيق كتاب تاريخ وأصول العرب بالسودان للفحل الفكي الطاهر- دار المصورات للنشر – الخرطوم ٢٠١٥
- ❑ زمان الندى و النوار- ديوان شعر – جدة ١٩٩٠
- ❑ زمان النوى والنواح- ديوان شعر - ابوظبي ٢٠٠٩
- ❑ نيلوفوبيا – رواية – دار مدارات للنشر – ٢٠١٦
- ❑ أنفاس صليحة – رواية – دار مدارات للنشر ٢٠١٧
- ❑ تشريفة المغربي – مخطوطة رواية ٢٠١٧
- ❑ ذاكرة الأرض – مخطوطة رواية ٢٠١٨
- ❑ رؤيا عائشة :- رواية دار مدرات للنشر ٢٠١٨\

أعماله في اللغة الإنجليزية:

- ❑ Automated Libraries 1983
- ❑ RDBMS on small scale Computers 1987
- ❑ Fundamentals of Strategic Planning 1991
- ❑ The Future of Information Network Systems in the Sudan 1992

منهجه التاريخية في كتابته

ينهج د.عمر فضل الله نهجا جديدا بإشتمال وقائع التاريخية في رواياته القيمة اللآتي وقعن في أنحاء بلاد السودان ويذكر تواريخ قديمة و يعلق مع حياة و محادثات حديثة. قال فضل الله: «معلوم أن التخيل هو كل تاريخ يُبنى على وقائع في عقل المؤلف أكثر منه على وقائع حقيقية، وأن الشخصوس التي يستحدثها المؤلف هي مجرد شخصيات خيالية أيضاً، بيد أن الوقائع الممثلة في التخيل ليست كلها بالضرورة متخيلة، وذلك مثلما هو في أعماله وخاصة الرواية الفائزة بجائزة الطيب صالح العالمية «تشريفة المغربي» فقد أسستها على وقائع تاريخية مؤكدة، أستغل فيها فراغات التاريخ وفجواته، هو لا يمنح الخيال الهيمنة الكاملة بل يجعل من الخيال مجرد عنصر مساعد لتمكين الحقائق التاريخية في ذهن القارئ عبر السرد وله القدرة على مزج التخيل التاريخي، والعجائبي والذاتي مع الحقيقة التاريخية في نسيج متميز ينتج لنا الرواية المعرفية».

الخاتمة

إن لدكتور عمر فضل الله جهد كبير وأيادي بيضاء وروايات مشهورات اللآتي حصله جوائز كثيرة العالمية وهو يقوم في خدمة عظيمة في إحياء مجال الروايات العربية في العالم، في الجملة هو روائي تاريخي الذي يجهد لإحياء كتابة السودان في كتبهم يوما و يوما.

المصادر والمراجع

- ١ حسينة. ب، «الطيب صالح وموسم الهجرة إلى الشمال مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تطهر فيها دراسة نقدية»، جامعة الكالكوٲ، ٢٠١٢.
- ٢ عمر فضل الله، «أطياف الكون الآخر» ، دار الياسمين، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤ م.
- ٣ الموقع الشخصي. www.omarfadalalla.com
- ٤ عربية. www.skynewsarabia.com. Sky NEWS



أزمة المهاجرين في رواية «ظل الشمس» لطالب الرفاعي

السيد/سلمان الفارسي بي. سي.^١

الدكتور/صغير علي تي. بي.^٢

الملخص:

يعالج الكاتب في الرواية «ظل الشمس»^٣ عن المعانات التي يواجهها العمال الذين يتوافدون من الدول الفقيرة إلى الكويت لحصول المال لأنهم يعتقدون أن الدول الخليج يفتح لهم أبواب الجنة. هو روائي كويتي من مواليد ١٩٥٨، حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة الكويت عام ١٩٨٢. بدأ الكتاب الأدبية أثناء دراسته الجامعية في منتصف السبعينيات أصدر مجموعات القصصية منها «أبو عجاج طال عمرك» و «أغمض روحي عليك» و «مرآة الغبش»، و «حكايا رملية»، و «سرققات صغيرة» و «الكروني». وأصدر عدة روايات منها: «رائحة البحر» و «ظل الشمس» و «سمر كلمات» و «الثوب». وقد ترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية. ترأس لجنة تحكيم جائزة مسابقة الرواية العربية، البوكر، في دورتها الثالثة عام ٢٠١٠م^٤.

ظل الشمس

الدوافع التي أدت إلي كتابة الرواية «ظل الشمس» هي التجارب من حياة أربعة عشر في مجال الهندسة بما أتاح له معاشة حياة المواقع، ومواقع الحياة، حياة العمال، حياة الهامش، حياة الظل. تتمحور كاتب في هذه الرواية عن المعانات التي يواجهها العمال الذين يتوافدون من الدول الفقيرة إلى الكويت لحصول المال لأنهم يعتقدون أن الدول الخليج يفتح لهم أبواب الجنة. تبدأ الرواية عندما يصعد الشاب المصري «حلي» الطائرة لأول مرة في حياته، متجها إلى الكويت، بحثا عن فرصة عمل، تجعل حياته أفضل حلي الذي أكمل تعليمه الجامعي، وأصبح مدرسا للغة العربية، والده فلاح يعمل في الغيط (الأرض)، منذ صغره أصر والده أن يتابع دراسته، وأن يصبح مدرسا يعتز به، فهو وحيد بين عدة أخوات. عمل مدرسا فور تخرجه العلمي، زوجه والده بعد تخرجه ومباشرة العمل قبل أن يجهز نفسه ماديا، كان ضعيفا أمام والده.

تزوج «سنية» ابنة قريته، وسكن في بيت أهله، مورده من تدرسه قليل، لا يكاد يكفي أسبوعا من مصروفه

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومشرّف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا.
٣ رواية تصنف ضمن فئة الفانتازيا صدرت عن دار النشر للتوزيع دولة الإمارات العربية المتحدة في الأول من يوليو ٢٠١٤.
٤ طالب الرفاعي، ظل الشمس، الطباعة الأولى، دار الشروق، مصر، ١٩٩٨

الشهري، عيشه في بيت أهله مع زوجته أفقده الخصوصية، وجعله وزوجته تحت منظار العائلة ومتابعتهما. أمه التي تتعامل مع زوجته بندية معروفة بين الزوجات والأمهات، وكذلك أخواته البنات، يختلفون على قضايا تافهة، لكن تجعل الحياة سيئة ومملة ومؤلمة، خاصة للزوجة. نقص الوارد المالي لحلمي جعله يستكين لوضعه العائلي، فلا هو قادر على استئجار بيت والتصرف بحياته بشكل مستقل، ولا هو قادر أن يلبي طلبات الزوجة وابنه الصغير "سعد" الذي أنجبه باكراً. هو ضائع بين عجزه المادي، وغياب البديل عن العيش المشترك مع أهله. كان لا بد من البحث عن البديل وحل لتجاوز ما يعيشه، وكانت فكرة السفر إلى الخليج ومنها الكويت قد داعبت خيال الكثيرين من الشباب المصري، محملة بأحلام عن بلاد البترول، حيث يذهب الشباب إليها ويعود ممتلئاً بالمال، ليشتري الأرض ويبني الأبنية، ويقتني السيارات، ويعيش حياة مرفهة.

«تداعب الفكرة خياله، فلا حل أمامه ولا بديل، والده يرفض ويطلب منه الصبر، وينذره أن حلم الكويت أجوف ووهم، لكن إلحاح زوجته وغياب البديل يجعله يقرر السفر، تعب حتى استطاع أن يفرض على والده القبول -على مضض- بسفره، وعندما أصبحت فكرة السفر قيد التنفيذ، ظهرت عقبات الحصول على "الفيزا" ومصاريف السفر. وهنا أصبح حلمي ضحية لسماسرة تعتاش على دماء وتعب هؤلاء الشباب الباحثين عن فرصة عيش أفضل بأي ثمن، المطلوب للفيزا ومصاريف السفر مبلغ كبير، لا يقدر على دفعه. لم يتجرأ على طلب معونة والده، لأنه أصلاً ضد سفره، باع مصاغ زوجته وكتبه الثقافية التي اقتناها عبر سنوات طويلة، واضطر أخيراً أن يستدين من أهل زوجته ومن عشيقته "نعمة"؛ نعمة زوجة السمسار الذي أمن له فيزا العمل^١. نعمة زوجة السمسار الأخيرة بعد عدة زيجات سابقة فاشلة، يحكي أنه غير قادر على القيام بدوره الجنسي، ونعمة جاء بها من مكان ما، وزوجها "السمسار" فتح طريقاً للتعارف بينها وبين حلمي، على أنه يعطيها الكتب والروايات، ثم استدرجته ليكون عشيقها السري، استعاضت به عن زوجها الغائب عملياً، والعاجز واقعياً عن تلبية رغباتها الجسدية، وهو وجد بها شاطئاً راحة من ظروف حياته وضيقه المعيشي الذي لا حل له، علمت بسفره وتضايقت لكنها ساعدته مالياً. سافر إلى الكويت، الفيزا عامل، رغم كونه معلّم، لا فيزا للمعلمين إلا عن طريق الدولة، وكيف يصل للدولة ليحصل على فيزا له؟.

وصل إلى الكويت ودخل دوامة حقيقة العمل هناك، فرص العمل معدومة كمدرس لغة عربية، والدروس الخصوصية مقتصرة على المواد العلمية، رياضيات فيزياء وكيمياء، من يهتم للغة العربية. في الكويت لا عمل بدون إقامة، ولا إقامة بدون كفيل، وكل ذلك يتطلب مكتب وساطة ومتابعة، وهذا كالعلاقة تمتص دم القادمين للعمل، وحلمي لا يملك أي مال يدفعه، الحساب بالدينار الكويتي وعندما يحول للجنه المصري، يتحول إلى مبالغ مخيفة، أقرباء حلمي -هناك- يدفعون عنه، قريباً يعمل ويرد الذي عليه، ثلاثة أشهر أمضاها دون عمل، زادت ديونه على دين مجيئه إلى الكويت، وأخيراً وجد فرصة عمل في أحد مشاريع الدولة، كعامل في الصرف الصحي، وعمل في ظروف قاسية جداً، الطقس الحار والوقت الطويل، والكل يركض ليحصل على عمل إضافي، لعله يراكم

١ أحمد العربي، الصحيفة الأيام السورية، تاريخ يوليو ٢٤، ٢٠١٨.

بعض المال على ماله الذي يحلم به، علم المهندس المشرف أنه مدرس فنقله ليكون في المستودع، حيث علم حلمي بحقيقة الفساد والسرقات التي تحصل في الأعمال، كذب في عدد العمال العاملين، غش في المواد الموضوعة في تنفيذ الأعمال، وكان التي تتوج بمماطلة في دفع مستحقات العمال، ومنهم حلمي حيث لم يتقاضى أي مبلغ عن عمل خمسة أشهر، كان يستدين ثمن لقمة عيشه، وبعث بعض المال المستدان لأهله، زوجته التي ترأسه دوما، وترجو أن لا ألا ينسأهم، وأن يكتب لهم ما يرد لهم روحهم التي غابت معه، ابنه سعد الذي يفتقده كثيرا. لكن حلمي غارق في العمل، وهموم عيش أقرب للجحيم.

يتوج مأساة ما يعيشه حلمي أن يهرب مهندس المشروع المشرف عليه، سارقا أجر عدد من العمال المتراكم عنده لخمس أشهر، أصبحوا أمام مأساة حقيقية، المهندس اختفى، والشركة غير مسؤولة، وحلمي لا أمل لديه بأي حل، لقد تراكم الدين على الدين. اقترح عليه البعض أن يعود لمصر، كيف يعود خائبا مديرنا؟ عاد لقبول فكرة أن يقدم دروسا خصوصية لفتاة كان قد رفض سابقا أن يدرسها، فتاة كويتية من أسرة ثرية، جميلة ممثلة إثارة، ومن الدروس الأولى اكتشف أنها لا تود التعلم، بل تود أن يقوم بينهم علاقة جسدية، خاف على نفسه من ذلك، رغم جوعه الجنسي عبر أشهر طويلة. رغم افتقاده لزوجته سنية وعشيقته نعمة، قبل أن يدرس الفتاة "منال" دروسا خصوصية، وعندما التقيا في قصر أختها، تقاربا جسديا وضبطتهما أخت منال في حالة تلبس جنسي، وتم ضربه وتحويله للسجن والمحاكمة، يسترون على الفتاة، وهو اعترف بكل ما نسب له من التعدي والاعتصاب، وكأنه ينتقم من نفسه التي قادته لهذه النتيجة المأساوية، وحكم بالسجن خمسة عشر عاما، لا يعلم كيف يعيشها.

هنا تنتهي الرواية، وفي تحليلها نقول بأن: واقعية الرواية وصراحة طرح مأساة الواقع، تبرز حقيقة الظروف الحياتية التي أدت وتؤدي لهذا الواقع ونتائج المأساوية فرديا واجتماعيا. حيث ظروف الحياة القاهرة، مجتمع مصر الذي يعمل به الشعب، لكنه لا يعطيهم مردودا يجعلهم يعيشون بكرامتهم، ولا يؤمنون الحد الأدنى للعيش، الذي يؤدي غيابه -بالضرورة- لكل أنواع الفساد، ومنها بيع أحلام الغربة والذهاب لدول النفط، وهنا تظهر وتنتشر شركات التفسير وسرقة جهد وعرق الناس، وهناك في دول الخليج سنجد أن العامل لا يعطى حقه الإنساني، فلا حقوق مصانة، نظام الكفيل وعدم ضمان الحقوق، وشبكات سرقة جهد العمال، وقوانين صارمة جعلت العاملين ضحية، وأغلبهم يعود بعد غربة وكأنه لم يسافر. ذلك السفر الذي سيخلق مشاكل اجتماعية لأسرة المسافرين، زوجته وأطفاله واحتمالات الانحراف والفساد، وهم كشباب في مقتبل العمر، كل المفاصل موجودة وبأسعار متنوعة، دعارة، كحول، مخدرات، وأحلام مباحة على شكل أشرطة فيديو جنسية تقدم أحلاما وأوهاما وحياة خائبة.

الخاتمة

هذه هي ظروف التخلف والظلم والقهر العربي، في بلاد الفقر والغنى، والتي أعطت تعميم الفساد والضياع، وأدت للربيع العربي، الذي كان محاولة من جموع الناس أن تقول: لا، كفى. وإن لم تؤد المطلوب منها، لكنها كانت رد المظلومين على الظالمين، بأن حقوقنا الإنسانية بالحياة الكريمة والعدل والحرية، يجب أن نحصل عليها وأن تصان، لنكون بشرا نعيش الحياة الإنسانية اللائقة والمستحقة، وإلا فالخراب قائم، ومستمر، وأحوالنا كعرب جميعنا إلى الأسوأ.

المصادر والمراجع

١. أحمد العربي، الصحيفة الأيام السورية، تاريخ يوليو ٢٤، ٢٠١٨.
٢. جابر بكر، صحيفة العرب، تاريخ فبراير ١٦، ٢٠١٦.
٣. طالب الرفاعي، ظل الشمس، الطباعة الأولى، دار الشروق، مصر ١٩٩٨.
٤. نوف الموسى، مجلة البيان، تاريخ ١٠ يونيو، ٢٠١٢.



بين التحدي وإدراك المعجزة : الإعجاز القرآني في منظور عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ

السيد/ نحاس.أ.أتش^١
الدكتور/ كي.علي نوفل^٢

الملخص:

هذه المقالة تعالج عدة نواحي مسألة المعجزة حيث كانت هناك آراء مختلفة عن إعجاز القرآن ونبعت بحوث كثيرة عن وجوه إعجاز القرآن. نرى كثيراً من العلماء من الطبقة الأولى وضعوا أوجهها مختلفة تحت عنوان الإعجاز. ركز معظمهم على موضوع تحدى القرآن و عاجزية العرب على أن يأتوا بمثل القرآن إلا أن بعضهم حاولوا معالجة هذا الموضوع بالإمام والأهمية وفي مقدمتهم السيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. مكانتها معروفة بانفراديتها كأول مفسرة قرآنية في العالم الإسلامي ولها عدة مؤلفات منها الدراسات القرآنية والإسلامية والأدبية وأشهرها تفسيرها «التفسير البياني للقرآن الكريم». تعالج بنت الشاطئ موضوع المعجزة من زاوية خاصة تمتد إلى بحث عميق حول الدراسات السابقة و مقارنتها بين آرائها عن الإعجاز البياني.

شخصية بنت الشاطئ

كانت بنت الشاطئ كاتبة ومفكرة وأستاذة وباحثة ونموذجاً للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة على شاطئ النيل في دمياط إلى أستاذ للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذ زائر لجامعات أم درمان ١٩٦٧م والخطوم، والجزائر ١٩٦٨م، وبيروت ١٩٧٢م، وجامعة الإمارات ١٩٨١م وكلية التربية للبنات في الرياض ١٩٧٥-١٩٨٣م. عرفها موقع «اسلام اون لاين» شخصيتها كما يلي:

«تدرجت في المناصب الأكاديمية إلى أن أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاماً. ساهمت في تخريج أجيال من العلماء والمفكرين من تسع دول عربية قامت بالتدريس بها، قد خرجت كذلك مبكراً بفكرها وقلمها إلى المجال العام؛ وبدأت النشر منذ كان سنها ١٨ سنة في مجلة النهضة النسائية، وبعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق ، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق ، كاليكوت، كيرالا، الهند

الأهرام فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة مي زيادة، فكان لها مقال طويل أسبوعي، وكان آخر مقالاتها ما نشر بالأهرام يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨. وكان لها مواقف فكرية شهيرة، واتخذت مواقف حاسمة دفاعاً عن الإسلام، فخلّفت وراءها سجلاً مشرفاً من السجلات الفكرية التي خاضتها بقوة؛ وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ذوداً عن التراث، ودعمها لتعليم المرأة واحترامها بمنطق إسلامي وحجة فقهية أصولية دون طنطنة نسوية، وموقفها الشهير من الهائية وكتابتها عن علاقة الهائية بالصهيونية العالمية». وهذا يشير إلى أهمية شخصية عائشة عبد الرحمن حيث كانت شخصية قوية النفوذ في مجال الأكاديمية الإسلامية. وإنها كانت تخدم في أكثر من خمس جامعات.

المعجزة ومسألة الإعجاز

عالجت بنت الشاطئ مسائل الإعجاز في مؤلفاتها الإسلامية خاصة في كتابها «الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي». عرفت بنت الشاطئ الإعجاز القرآني «المعجزة: من فجر المبعث، فرض القرآن إعجازه على كل من سمعوه من العرب، علتفاوت مراتبهم في البلاغة، وقد تحير المشركون في وصفه، وحرصوا على أن يصدوا العرب عن سماعه، عن يقينأنه ما من عربي يخطئه أن يميز بين هذا القرآن، وقول البشر». نرى معالجتها حول الموضوع في باب المعجزة لكتابها «الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي للقرآن» شبيهة للعلماء العباقرة في العالم الإسلامي وهي تقول: «اختلفت مذاهب السلف من علماء الإسلام في بيان الإعجاز، وتعددت أقوالهم في وجوهه. لكن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية، في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوه أخرى معه».

هذا موقف شبيه للعلماء الآخرين بما فيهم عبد الكريم الخطيب وهو يقول: «ينفرد القرآن الكريم من بين المعجزات السماوية بأمرين بارزين: أولهما: أن معجزته هي «الكلمة» التي يعرف الناس مدلولها، و يأخذون ويعطون بمفهومها.. وأن الإعجاز سر مضمّر فيها... تهدي إليه العقول، وتتعرف عليه البصائر. وليس في المعجزات التي سلفت ما جاء على هذه الصفة.. إذ كانت كلها معجزات حسية. و ثانيهما: أن القرآن الكريم قد تولى بكلماته تلك، الدفاع عن دعوته، وإقامة الحجة لها، وأنه بهذه الكلمات قد اشتبك في حرب طاحنة مع أعداء الدعوة» يعني أن الناس يأخذون مفهوم الكلمات والعقول تفتح أمام السر المضمّر أي الإعجاز. وليست هناك ظاهرة مثيلة للقرآن. كلمات القرآن تدافع عن دعوته ولم تستطع قوة الأعداء أن تقابل رسالتها.

وقد أظهر مصطفى الصادق الرافعي في كتابه عن الإعجاز رأياً شبيهاً لما أظهرت بنت الشاطئ: «وإنما الإعجاز شئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه؛ فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت؛ فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابلة أطول الناس عمراً بالدهر على مداه كله. فإن المعمر دهر صغير، وإن لكليهما مدة في العمر هي من جنس الأخرى؛ غير أن واحدة منهما قد استغرقت

الثانية؛ فإنشاركتها الصغرى إلى حد فما عسى أن يشركهما فيما بقي.» يشير مصطفى الصادق الرافعي إلى حقيقة عاجزية العالم حيث استعمل التشبيه «فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد». القدرة الإنسانية تضعف في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

يقول الدكتور عدنان محمد زرزور أيضا في كتابه «علوم القرآن» «للحديث عن «إعجاز القرآن» جانبان بارزان: الجانب التاريخي، والجانب الموضوعي. ونعني بالجانب التاريخي: تلك المقدمات والوقائع الدالة على وقوع التحدي بالقرآن في التاريخ- وبخاصة في زمن النزول- ومعنى هذا التحدي، ومعنى لزومه في أعناق العالمين إلى يوم الدين. كل ذلك من خلال الوقائع التاريخية الثابتة ذاتها. أما الجانب الثاني، وهو الجانب الموضوعي، فنريد به الوجه- أو الوجوه- التي صار بها القرآن معجزا حتى انفصل من جنس كلام العرب أجمعين، وحتى لزومهم هم وسائر العالمين ذلك العجز المشار إليه» أشار الدكتور عدنان إلى لزوم هذا التحدي يكون في أعناق العالمين إلى يوم الدين من الجانب التاريخي. أما الجانب الموضوعي كون عاجزية البشر حتى لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

معالجة بنت الشاطئ الخاصة بموضوع المعجزة :

أن الإعجاز القرآني هو موضوع قد عالج علماء التفاسير القرآني واعتنوا بها كثيرا، قضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث. فمَنْ تلا المصطفى عليه الصلاة والسلام في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حساً لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أن يسلم بأنه ليس من قول البشر. وكان العرب يخافون عن جاذبية هذه الرسالة و حاولوا أن يصدوا الناس عن الرسول و كلام الله المنزل عليه وإليه يشير ما قالت بنت الشاطئ في كتابها: «لن هنا كان حرص طواغيت الوثنية من قريش، على أن يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن. فكانوا إذا دنا الموسم وأن وفود قبائل العرب للحج، ترصدوا لها عند مداخل مكة، وأخذوا بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه من الإصغاء إلى ما جاء به «محمد بن عبد الله» من كلام قالوا إنه السحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه، وبين المرء وزوجه وولده وعشيرته».

ومما لا شك فيه أن جرأة بنت الشاطئ لا مثيل لها في مجال علوم القرآن إذ أتى بسؤال و قابلت الإمام الباقلاني أحد عباقرة علوم القرآن و شكلت سؤالها هكذا؟ هل فرض القرآن إعجازه على هؤلاء الذين استنارت بصائرهم فأمنوا بالمعجزة القرآنية بمجرد سماعهم آيات منها، دون غيرهم ممن لجوا في العناد والتكذيب، ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني إلى هذا، حين عدّ تفاوت العرب، عصرالمبعث، في الفصاحة، من الوجوه الصارفة عن الإسلام، لمن ظلوا منهم علبالشرك والتكذيب أمدًا طال أو قصر. ذكر آية التوبة: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (سورة التوبة: ٦)

وكذلك نقول: إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى

معرفة أساليب الكلام ووجوه تعرف اللغة وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره، فهو كالأعجمي في إنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بينا أن يعرف بع الفارسي الذي بدأنا بذكره. وهو - أي العربي غير البليغ - ومن ليس من أهل اللسان، سواء. خالفت بنت الشاطئ رأي الإمام الباقلاني و اتهمت بأن العلماء مثلهم خلطوا بين الفصاحة وبين القدرة البلاغية. تفوق العرب في الفصاحة ظاهرة عامة قبل أن يخرج العرب من الجزيرة.

وأرى الباقلاني قد خلط هنا بين الفصاحة وبين القدرة البلاغية: فالفصاحة عامة في العرب قبل أن يخرجوا من جزيرةهم ويخالطوا غيرهم من الأمم مخالطة لغوية. وقد اعتمد علماء اللغة ما سُمع من عرب الجاهلية وعصر المبعث، حجة في الفصاحة، دون أن يفوت اللغويين في تدوينهم معجم الفصحى أن العرب الفصحاء ليسوا سواء في المقدرة البيانية والمرتبة البلاغية. أوضحت بنت الشاطئ الفرق بين إدراك المعجزة وبين التحدي في هذا الكتاب «ونوجز القول هنا في إيضاح الفرق بين إدراك المعجزة وبين التحدي، فنلفت إلى أن الشاعر العربي كان يقول قصيدته فيتلقها جمهور المستمعين بالإعجاب والتقدير أو الصد والتهاون. وأما أن يعارضها آخر منهم، فذلك محصور في أقرانه من الشعراء لا يعدوهم إلى عامة القوم». ردت بنت الشاطئ رأي الإمام الباقلاني عن آية سورة البقرة أشار إليها الباحث سابقاً مع إجابتها الحاسمة إذ أتت بتشريح تلك الآية: «والمشركون من قريش حين كانوا يأخذون سُبُلَ الحاج إلى مكة ليصرفوهم عن سماع القرآن، لم يكونوا يتحرون الخطباء البلغاء والشعراء الفحول منهم أو يُقدرون أن الوافدين على الموسم كانوا سواء في المرتبة وأساليبها بسليقتهم اللغوية. ومن هنا كان التوجيه البلاغية، بل التقدير أنهم جميعاً عرب خُلص فحاء يجدون حس لغتهم فطرة وطبعاً ويميزون القرآني - في آية التوبة - خاصاً بمن لم يسمعوا منهم كلام الله، وليس بمن هم في المرتبة العليا من البلاغة

أنواع المعجزة ومسايرة تقدم البشرية

والسؤال الذي طرحته بنت الشاطئ في خاتمة كتابها، «الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقللقرآن» حينما عالجت إشكالات حول معجزة الأنبياء هو، لم جاءت معجزة النبي العربي بهذا البيان الذي تعلق المشركون في وصفه، بالشعر والسحر والكهانة، لما رسخ في يقينهم من سلطانه الذي لا عهد لهم بما يشبهه في كلام البشر، إلا أن تكون أخذة السحر وأسَر الشعر وسيطرة الكهانة؟ ولم لم يؤيد الله رسوله المصطفى بأية من مثل ما جاء به الرسل الأولون كما اقترح الكفار من قومه وهم يحادونه ويجادلونه؟ بعد أن أجرت دراستها في هذا الصدد تشير إلى مسايرة الأزمنة و تقدم البشرية فقالت: «وأزيد الموقف إيضاحاً، بما أطمئن إليه، والله أعلم، مما هدي إليه النظر في تاريخ الأديان المقارن من أن معجزات الأنبياء سايرت تدرج البشرية في مراحل تطورها من قديمها البدائي إلى عصر رشد الإنسان».

بدأت ملاحظتها بذكر معجزة موسى عليه السلام، وقد أشارت إلى أن موسى عليه السلام تلقى رسالته وقد آن للبشرية أن تجاوز عصر السحر. فكانت معجزته التي غلبت أفانين السحرة في زمنه وتحدث براعة المهرة منهم، ليؤمن المرتابون أن ما جاء به «موسى» ليس في طاقة البشر، ويصدقوا بنبوته فيهديم برسالته إلى عصر جديد.

لكن اليهود ما لبثوا أن زيفوا الرسالة الموسوية وحرفوا كلمات الله عن مواضعها: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» (البقرة: ٧٩)

ومضى حين من الدهر ضجت البشرية فيه من شر عصابات من يهود، وتزييفهم رسالة نبيهم فكانوا كما قال الله فيهم: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ» (الجمعة: ٥). حتى تلقى «عيسى عليه السلام» رسالته في زمن قد آن للبشرية أن تنتقل إلى عصر عبادة الأبطال البديل من عصر تعدد الآلهة. وإذا كانت البطولة في ذلك الزمن ان تقترن بالخوارق، جاءت معجزة المسيح الخارقة، لكي يؤمن الناس بنبوته المؤيدة بما يجاوز خوارقهم البطولية، فيتبعوه وهو يخلصهم من عبادة الأبطال ويهديهم إلى التوحيد. ثم أتت المعجزة الخالدة، إلى يوم القيامة هي كلمات الله المنزلة على عبده محمد .

الخاتمة

خلاصة القول أن ملاحظات بنت الشاطئ حول الإعجاز كانت عميقة تمتد إلى جوانب علوم القرآن المختلفة. وإنها تجرأت أن تخالف نظريات عابرة علوم القرآن مثل الباقلاني وغيره ممن عالجوا قضية إعجاز القرآن في مؤلفاتهم. ويمكن أن نلخص نظريات بنت الشاطئ حول الإعجاز القرآني في نقاط مهمة، الأول: قد خلط بعض العلماء بين الفصاحة وبين القدرة البلاغية، فالفصاحة عامة في العرب قبل أن يخرجوا من جزيرتهم ويخالطوا غيرهم من الأمم مخالطة لغوية. الثاني: أوجزت بنت الشاطئ الفرق بين إدراك المعجزة وبين التحدي، فتلفت إلى أن الشاعر العربي كان يقول قصيدته فيتلقاها جمهور المستمعين بالإعجاب والتقدير أو الصد والتماون. وأما أن يعارضها آخر منهم، فذلك محصور في أقرانه من الشعراء لا يعدوهم إلى عامة القوم الثالث: إن معجزات الأنبياء سايرت تدرج البشرية في مراحل تطورها من قديمها البدائي إلى عصر رشد الإنسان.

المصادر والمراجع

١. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأرقط للقرآن: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة.
٢. <https://islamonline.net> ٢٢٧٦٩
٣. إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥
٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٥. علوم القرآن د. عدنان محمد زرزور المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١.



الروائي القاص حنا مينه

السيدة/بشنين هدى^١

الملخص:

حناء مينه روائي سوري ولد في مدينة اللاذقية، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب العرب، ويعد أحد كبار كتاب الرواية العربية، عاصر فترة الإنتداب الفرنسي على سورية، وساهم في تطوير الرواية العربية، في حوزته الكثير من الروايات والقصص التي تميّزت بالواقعية الإجتماعية والصدق والمعاناة. ولد حناء مينه في ٩ مارس ١٩٢٤ في اللاذقية لأسرة فقيرة، والدته اسمها مريانا ميخائيل زكور، وقد رزقت بثلاث بنات كنّ بالنسبة لذلك ثلاث مصائب، عانت منهنّ الكثير الكثير، فالوسط الفقير إلى حدّ التعاسة كان يشكل عقلية سلفية بالغ القسوة. وما فيه من ظلم ذوي القربى على إذلال الوالدة باتهامها أنّها لا تلد إلا البنات. وفي الأقل الأقل أن تلد صبيا بعد بنت، وهكذا إلى أن أتى حنا في الحمل الرابع، وبكت والدته فيه من الفرح، بينما كانت قبل ذلك تبكي من الحزن.

حياته

عاش حنا طفولته في إحدى قرى لواء الإسكندرون على الساحل السوري، وفي عام ١٩٣٩م عاد مع عائلته إلى مدينة اللاذقية، وهي عشقه وملهمته بجبالها وبحرها. كافح كثيراً في بداية حياته وعمل حلاقاً وحمالاً في ميناء اللاذقية، ثم كبّجار على السفن والمراكب. اشتغل في مهن كثيرة أخرى منها مصلّح درجات، وممرّ بأطفال في بيت سيّد غني، إلى عامل في صيدلية إلى صحفي أحياناً، ثم إلى كاتب مسلسلات إذاعية للإذاعة السورية باللغة العالمية، إلى موظف في الحكومة، إلى روائي.

كانت أسرته تتلقى المساعدة والشفقة من الكنيسة، وقد تحدث عن طفولته في الإسكندرون قائلاً: «طوال أربع سنوات كنت أقوم مع بعض أطفال المدرسة بالخدمة في الكنيسة، نطفئ الشموع، نحمل الأيقونات وننام أحياناً واقفين، بكلمة، أنا مطمئنّ من هذه الناحية». وهكذا كان حياته القاسية أثرها في رواياته. وقد قال عنها: كنت أعاني البطالة والغربة والفقر والجوع وأحسد الكلب لأنّ له مأوى. تزوّج حنا من سيدة اسمها مريم، وأنجب خمسة أولاد، بينهم صبيان هما سليم الذي توفي في الخمسينات في ظروف النضال والحرمان والشقاء، والأخر سعد أصغر أولاده. وهو ممثل معروف شارك في بطولة المسلسل التلفزيوني «نهاية رجل شجاع»، المأخوذ عن رواية والده. ولديه ثلاث بنات: سلوى وهي طبيبة وسوسن (تحمل شهادة في الأدب الفرنسي) وأمل وهي مهندسة مدنية. توفي حنا

١ طالبة في كلية الروضة العلوم العربية، كلية الفاروق، كاليكوت، كيرلا، الهند

مينه في يوك الثلاثاء ٢١ آب ٢٠١٨ م، وقد أذيع نبأوفاته رغم أنه أوصى منذ كان في الخامسة والثمانين من عمره بالأذيع أية وسيلة إعلامية نبأ موته قائلاً إنه شبع من الحياة. دخل مينه المدرسة في سن السابعة وحصل على شهادة التعليم الابتدائي، لكنه لم يكمل تعليمه لسوء الأحوال المعيشة وبالفقر المدقع الذي كان يعيش فيه.

حقائق سريعة عن حنا مينه:

- كان وحيداً لأبويه مع ثلاث بنات، وقد عانى في طفولته من الأمراض التي كادت تؤدي بحياته.
- تعرض للطعن بالخنجر ليلاً في أحد الشوارع في الفترة التي عمل بها بائعاً لجريدة صوت الشعب، لكنه لم يدخل المستشفى خوفاً من الإغتيال.
- كان أول ما كتبه عملاً مسرحياً، لكنه ضاع من مكتبته فعزف عن الكتابة للمسرح.
- ناضل ضد الإنتداب الفرنسي على سورية ودخل السجون مراراً، كما تعرض للنفي خارج البلاد.

إنجازاته:

عمل في بداية حياته موزعاً لجريدة صوت الشعب، ودخل المعتكك السياسي، وناضل مع رفاقه ضد الإحتلال الفرنسي، وبدأ كتابة المراسلات والعرائض للحكومة ثم انتقل للعمل بحاراً وحمالاً في مرفأ اللاذقية، ثم حلاًفاً. وفي عام ١٩٤٨ م انتقل حنا إلى بيروت بحثاً عن عمل. وعاد إلى دمشق وبدأ عمله الأدبي هناك في جريدة الإنشاء الدمشقية محرراً متمرناً يتقاضى راتباً قدره ١٠٠ ليرة سورية، ثم أصبح رئيساً للتحريير، كما عمل في كتابة المسلسلات الإذاعية قبل أن يعمل في وزارة الثقافة. وتنقل حنا بين العديد من البلدان، فسافر إلى أوروبا ثم إلى الصين، لكنه في النهاية عاد إلى سورية. وساهم مع عدد من الكتاب السوريين أمثال حسيب كيالي وممصطفى الحلاج في تأسيس رابطة الكتاب السوريين عام ١٩٥١ م. وحصل على جائزة الكتاب العربي عام ٢٠٠٥ م. وله أكثر من ٤٠ رواية وقصة إحداها «المصابيح الزرق» التي نقلها إلى التلفزيون، ورواية «الشراع والعاصفة» التي نقل نصّها إلى السينما. وأعاد رواية «المستنقع» بقايا ذكريات مينه في الإسكندرون، وقد وصفها الناقد الأديب صلاح فاضل بأنها الأعظم من بين السير الذاتية على الإطلاق والأوفر صدقاً والأغنى فكراً.

إسهاماته في رابطة الكتاب السوريين:

ساهم حنا مينه مع لفييف من الكتاب اليساريين في سوريا عام ١٩٥١ م بتأسيس الرابطة. والتي كان من أعضائها: مواهب كيالي وحسيب كيالي ومصطفى الحلاج وصلاح ذهني وآخرون. نظمت الرابطة عام ١٩٥٤ م المؤتمر الأول للكتاب العرب بمشاركة عدد من الكتاب الوطنيين والديمقراطيين في سوريا والبلاد العربية، وكان لحنا مينه دور كبير في التواصل مع الكتاب العرب في كل أنحاء الوطن العربي. ساهم بشكل كبير في تأسيس اتحاد الكتاب العرب، وفي المؤتمر الإعداد للإتحاد العربي التي عقدت في مصيف بلودان في سوريا عام ١٩٥٦ م، وكان لحنا مينه الدور الواضح في الدعوة إلى ايجاد وانشاء اتحاد عربي للكتاب. وتم تأسيس اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٦٩ م.

يقول حنا مينه: «لقد فكرت منذ قرأت عمر الفاخوري في الأربعينات كيف يكون الأديب من لحم ودم،

وليس من خبر وورق، وأدركت ألا شيء يجعل الأديب حيًا، مثل أن يباشر الأحياء، ويخرج من وحدته البودلية التي لا تتيح سوى السقم والأنسباح، وأن التجربة بأوسع وأعمق معانيها، بكل أخلاقيتها ولا أخلاقيتها، هي التي تسكو هيك الأديب باللحم، وهي التي تجعل الدم يجري في شرايينه وبذلك تؤهله لأن يكون خالقًا حيًا. يخلق شخوصًا أحياء يعيشون بيننا، ويتنفسون هواءنا ويكونون صورة عنا حتى إذا عايشناهم في الكتب قلنا: «هؤلاء هم نحن». كان أدب حنا مينه واقعيًا، وقال عن نفسه أنه كاتب الواقعية الاشتراكية ويرفض الواقعية باعتبارها مدرسة في التعبير الأدبي تأخذ الواقع كما هو، فالواقع في الحياة في رأيه يصير واقعا فنيا في العمل الأدبي. وحنا يميز بين القصة والرواية فهما مختلفتان، ففي حين أن الرواية حياة وبالتالي فهي تتقدم نجد أن القصة عبارة عن لقطة مفردة من الحياة، فهي تتراجع، وفي رأي حنا أنه ليست فقط القصة وحدها هي التي تتراجع أمام تقدم الرواية، وفي رأي أنه كل إقحام للسياسة في الأدب دون أن ينبثق عن ذات الأديب،

رواياته ومؤلفاته:

معظم رواياته تدور حول البحر وأهله، دلالة على تأثره بحياة البحارة أثناء حياته في اللاذقية. وهي: المصاييح الشرق^١، الشراع والعاصفة، الياطر، الشمس في يوم غائم^٢، بقايا صور، الثلج يأتي من النافذة، عروس موجة السوداء، المرفأ البعيد، البحر والسفينة، المرأة ذات الثوب الأسود، صراع بين امرأتين، امرأة تجهل أنها امرأة، الأبنوسة البيضاء، نهاية رجل شجاع، حكاية بحر^٣، حمامة زرقاء في السحب وغيرها الكثير الكثير.

يعتبر حنا مينه شيخ الرواية السورية وأحد أعمدة الرواية العربية في إثرائه لفيوض الخطابات السردية وتمازجاتها التاريخية والواقعية. كما أن عشاق النقد التقييمي يعدون حنا مينه أبرز اسم بعد نجيب محفوظ على خارطة الرواية العربية المعاصرة. كانت إسهامات حنا مينه كبيرة في ما يعرف بأدب البحر، وذلك لأن الأدب العربي القديم يكاد يكون خاليا من الإبداع العربي البحري، وكتب تقريبا ثمانية روايات عن البحر، لعل أهمها «الشراع والعاصفة» التي أطلق النقاد عليها اسم قصيدة البحر أو ملحمة البحر. وترجمت إلى الإيطالية ونال جائزة عليها. وقد أشار أحد الباحثين إلى أن البحر في أدبه إنما هو مكان وإنسان وإله، تتعرف إليه كادة وروحا وتصطاده رمزا وأسطورة وتقرأه فلسفة لمعى الحياة ذاتها. وهكذا نجد أن المرأة والبحر لديه مرادفان للمغامرة والبحرية وارتباد المجهول واكتشافه، مناقضان للرتابة الإعتيادية، وهادفان دوما إلى التجديد والتغيير.

قد ترجمت روايات حنا مينه إلى سبع عشرة لغة أجنبية، «المصاييح الزرق» ترجمت إلى الروسية والصينية و«الشراع والعاصفة» إلى الروسية والإيطالية، و«الثلج يأتي من النافذة»^٤ درست في السوريين بفرنسا لطلاب القسم العربي، و«الشمس في يوم غائم» ترجمها منظمة اليونسكو إلى الفرنسية، وترجمت إلى الإنجليزية في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية، و«بقايا صور» ترجمت إلى الصينية والإنجليزية في

١ الرواية الأولى التي كتبها حنا مينه سنة ١٩٥٤م
٢ صدرت في عام ١٩٧٣م، وصارت فيلما سنة ١٩٨٥م
٣ هذه الرواية جزء من ثلاثية صدرت عام ١٩٩٩م
٤ كتبت الرواية عام ١٩٦٩م، ونشرت عام ١٩٩٩م

واشنطن والفارسية والألمانية، و«حكاية بحار» ترجمت إلى الروسية. هكذا انتشر أدب حنا مينه عالميا وساعد هذا على انتشار تجربته في أوروبا والصين بالإضافة إلى الوطن العربي. وهو الذي كتب رواية الصين الكبرى في ثلاثية تقع في ألف صفحة بعنوان: «حدث في بيانخو، وعروس الموجة السوداء، والمغامرة الأخيرة». وهو يرصد واقع الصين في بداية الستينيات والثورة الثقافية في بناء الصين الاشتراكية في قمة الإضطراب والنكوص والإقدام والحماس. وقد كتب عن «النضال ضد الإحتلال الفرنسي» في أكثر رواياته، ووضح أنّ الإستعمار الفرنسي هو امتداد للإستعمار التركي العثماني الذي كان من قبله، وهما وجهان لعملة واحدة وهي الإستغلال واستعباد الشعوب واستنزافها ونهب خيراتها.

أدب البحر في كتابات مينه:

عرف مينه بالكاتب المكافح، حيث امتهن أعمالا كثيرة ليواجه ما يسميه ب «الفقر الأسود»، ولم يترك عملا في الحياة إلّا وجّر به، في الميناء ومراكب البحر وكأجير صيدلي وحلاق وصولا إلى صحفي. يقول: وبعد ذلك وجدت نفسي كاتباً ولا أدري كيف. تميّزت كتاباته بتوظيف فكرة العدالة الإجتماعية مدافعا عن حق كلّ انسان في الحياة والرغيف والملبس... وقد فرضت كبيعة حياته وقسوة واقعه ذلك التوجه الذي لم يكن اختيارا منه، أن البعض صنف أعماله في خانة «أدباء البحر» التي يفتقدها الأدب العربي الحديث. وشبه بعض النقاد كتاباته بأعمال الكاتب الأمريكي «أرنست همنغواي»^١. وخاصة رواية «العجوز والبحر». قال عنه الناقد غالي شكري: «هو فنان واقعي بأرحب معاني الواقعية وأكثر صورها خصوبة وغني، إنّه يعاني الواقع بكلّ ذرات دمه. كما عرف مينه بنضاله ضدّ الانتداب الفرنسي وسجن تسع مرات ونفي ثلاث مرات، منهم عشر سنوات قضى فترة منها في الصين.

الجوائز التي حصل عليها:

جائزة المجلس الأعلى للثقافة والآداب والعلوم بدمشق عن رواية «الشرع والعاصفة» عام ١٩٦٨ م.
جائزة سلطان العويس من الدورة الأولى عام ١٩٩١ م على عطائه الروائي.
جائزة المجلس الثقافي لجنوب إيطاليا، فازت بها رواية «الشرع والعاصفة» عام ١٩٩٣ م كأفضل رواية ترجمت إلى الإيطالية.
جائزة «الكاتب العربي» التي منحها اتحاد الكتاب المصريين بمناسبة مرور ثلاثين عاما على تأسيسه، اعترافا بموقعه المتميّز على خريطة الرواية العربية.
وسام الإستحقاق السوري من الدرجة الممتازة عام ٢٠٠٥ م.

الشرع والعاصفة:^٢

تقوم هذه الرواية بدورها على حكايتين: حكاية بطل وحكاية وطن أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد ألغها

١ كاتب أمريكي يعد من أهم الروائيين وكتاب القصة الأمريكية
٢ صدرت عن دار الآداب عام ١٩٦٦ م

الكاتب في فترة زمنية دامت سنتين (١٩٥٦-١٩٥٨) يبدو الطروسي في هذه الرواية، الشخصية المركزية، فهو بحار يعيش لحظة الإنتظار والأمل، وقد ارتبط ماضيه ومستقبله بشاطئ اللاذقية، بعدما غرق مركبه أثناء عاصفة هوجاء عام ١٩٣٦م. ولكي يظل دائماً رفثق البحر و«جاره في الفصول الأربعة»، افتتح مقهى على الشاطئ. وقد رغب في العودة إلى البحر، لكن الحياة تغيرت، إذ أصبح البحارة عمالاً وهو لا يقدر في مثل هذا العمر، أن يتحمل هذه الوضعية الجديدة أو أن يصبح رجلاً من رجال سادة الميناء. وهكذا يجد نفسه وحده، بعد موت والديه وسفر إخوته، يدير شؤون مقهى صغير يستقطب مشاغل البحارة. وقد وجد البطل نفسه في مواجهة صراعين، ينعكس الأول على حياة الميناء ويقوم على مواجهة بين رجلين ينتميان إلى أسرتين تتقاسمان النفوذ في المدينة، وتنتهيان إلى تجمعين سياسيين مختلفين يتصارعان بدورهما في سبيل الوصول إلى الحكم بعد جلاء الفرنسيين، وينعكس الثاني على حياة الوطن عامة ويقسم الشعب بطريقة أو بأخرى، وهو يعكس الخلاف الكوني بين قوتين متصارعتين، المحور والحلفاء.

يُعتبر أبو رشيد سيد الميناء، فهو وحده المالك للمواعين رغم تواضعه ولباس البحار الذي يرتديه، وهو يسيطر نفوذه عبر أحد رجاله «الشرعيين» أبي أمين، مدير الميناء، ويعرض الرشاوي على أصحاب النفوذ في المدينة وكبار الموظفين، ويمول الحملات الانتخابية ويدعم مرشحيه، ولكنه يباشر صراعاً سياسياً مع خصمه الرئيسي، نديم مظهر الذي يُعد بدوره الرجل الأقوى في حي الشيخ ظاهر، بحكم أن العائلة التي ينسب إليها تهيمن على حركة النقل في المدينة. وقد احتدم الصراع بين الرجلين، ذلك أن أبا رشيد الذي يدعم الكتلة الوطنية يسيء إلى مصالح عائلة مظهر التي تدعمها الكتلة الشعبية، وذلك بإثارة البحارة ورجال الأمن ضدها. بيد أن الطروسي الذي يعيش في الميناء يصبح طرفاً في هذا الصراع، فهو في البداية يرفض أن يخضع لسلطة مالك المواعين الذي يسعى إلى إبعاده عن الميناء حتى يحبط أي محاولة لتنظيم حركة نقابية تدافع عن حقوق العمال، فقد حاول في البداية أن يستعمل مدير الميناء، ثم وظف أعوان الأمن، وفي النهاية عمد إلى محاولة قتله بواسطة أحد رجاله. وقد كان الطروسي يدرك طبيعة الخلاف الذي يفصل بين الرجلين، ولكن طبيعته وميوله الاجتماعية ووطنيته، تضعه في مواجهة الرجل القوي في الميناء الذي يقاوم أي شكل من أشكال التنظيم النقابي. ولكنه رغم الصداقة التي تربطه بنديم مظهر يدرك أن التناقض الطبقي يفصل بينهما ويجعله لا مبالياً إزاء الرجلين والكتلتين معا. خارج الميناء يجد البطل نفسه في مواجهة صراع من نوع مغاير فرضته الحرب، ذلك أن مجموعة يونس بحري تساند ألمانيا في حرب الحلفاء، مقتنعة اقتناعاً تاماً بأفكار الدعاية النازية التي تربط استقلال الدول العربية بانتصار هتلر في حربه، إلى درجة أن أبا حميد زعيم المجموعة يرى العالم في وضعيتين ويعتقد أن المسألة لا تكون إلا ألمانية أو إنجليزية، في حين يبدو الأستاذ كامل رجلاً ملتزماً بقضايا السياسة دفعته ظروفه الشخصية إلى أن يكون نصيراً قوياً للحلفاء وللاتحاد السوفياتي بصفة خاصة، وصاحب أطروحة ترى أن القضايا السياسية معقدة وأن ما يحدث في العالم يوجه قضايا الوطن. وقد كان الطروسي في البداية متعاطفاً مع أنصار ألمانيا، لا يكتثر بتنظيم العمال داخل النقابات في الميناء، ويسهل الاستماع إلى راديو برلين بالنسبة إلى «مجموعة يونس» في مقهاه، ولكنه

لا يفهم جيداً تحمس الناس لألمانيا وروسيا وقضايا العالم. وبعد خيبة ألمانيا، عمّق اتساع العمل السياسي في الوطن وأثر أفكار الأستاذ كامل حبه الوطني والتزامه السياسي، بالإضافة إلى حدث غيّر مجرى حياته وأعادته إلى البحر والحرية تمثّل في إنقاذ مركب الرحموني من الغرق. وهكذا كان تحرر البطل رهيّن تحرر الوطن من الاحتلال وتححر العالم من الخطر النازي. وهكذا يعتبر د. الباردي «الشراع والعاصفة» رواية تسجيلية، إذ وصفت الحركة النقابية في مدينة اللاذقية سنة ١٩٤٦ م والحياة السياسية عامة في الوطن أثناء الحرب العالمية الثانية.

الخاتمة

حنا مينه هو الشخص الوحيد في حي المستنقع الذي كان لديه القدرة على فك الحروف. وكانت بدايته الأدبية متواضعة جداً، فقد اخذ بكتابة الرسائل للجيران، وكتابة العرائض للحكومة، ثم تدرج من كتابة المتواضعة إلى القمّة والأخبار والمقالات المتواضعة في صحف سوريا ولبنان إلى كتابة القصص القصيرة الأدبية وإلى كتابة مسرحية، وجد حنا مينه نفسه في الرواية التي رسم فيها صورة طفولته البائسة ومرارة عيش الناس المعدمين وكيف أن الطبقات الرفيعة المستوى قد توقع ظلماً على الطبقات الفقيرة، وصور حياة الفقر بكل ملامحها

المراجع والمصادر:

١. حنا مينه حكاية بحار بقلم: شوقي المعري ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، شباط ٢٠١٦
٢. حنا مينه - لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا لالتعزّيات بأيّ شكل. منقول م 1457/ www.discover-syria.com/news
٣. حنا مينه «معلومات و حقائق حول الأديب.... نهاية رجل شجاع» بقلم: جاد محيدلي، آب ٢٠١٨ ، منقول من: annahar.com sayYat annahar.com
٤. محمد نايف الدليعي «تطوّر أدب الرواية في سوريا- حنا مينه أنموذجاً» مجلة كفرغو الثقافية ، العدد ٢٩ / آيار ٢٠١٤
٥. arabic.sputnicnews.com/Arab- world 6 8.2018
٦. https://meemmagazine.net
٧. www.alarabiya.net
٨. www.discover-syria.com/news



المديح النبوي في ولاية تامل نادو

السيد/ أبوبكر. كي^١

الدكتور/ محمد عابد. يو. بي^٢

الملخص:

ولاية تامل نادو هي ولاية هندية اتحادية تقع أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الهندية^٣ وسكان هذه الولاية يعتزون بلغتهم وبقومهم وقدموا خدمات جليلة لترقية لغتهم و أديهم ومع أنهم خدموا اللغة العربية وألفوا في مختلف فنونها. إن المدائح النبوية لا زالت ولا تزال من أبرز أغراض الشعر العربي في ولاية تامل نادو «القصيدة الشفعية» للشيخ تكية صاحب الصغير وهي أول قصيدة عربية أصلية عرفت لأهل تامل نادو. ومساهمة علماء التامليين في هذا الفن يضارع بمساهمة مداح الرسول القدامي منذ عهد بعيد والمدح مصدر إلهام لدى الشعراء في كل عصر ومصر وازدهر هذا الفن من الشعر العربي في هذه الولاية ازدهارا عظيما وفي مقدمتهم «الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري (الكالي) والشيخ تكية صاحب ومولانا باقرأغا، وعمر ولي والشيخ محي الدين وغيرهم. وكثير من علماء هذه الولاية ألفوا مؤلفات كثيرة في لغة التاميلية يمدحون فيها النبي صلعم وأشادوا بفضل صلعم وأبحث هنا عن الشعراء الذين مدحوا النبي صلعم في اللغة العربية فقط.

الشيخ صدقة الله أبا القاهري (الكالي)

ولد مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري سنة ١٠٤٢هـ في كايلا بتتم وهو من الشخصيات الفذة اللاتي أنجبتهم ولاية تامل نادو. وبذل جهدا كبيرا لخدمة الدين والأدب واللغة العربية هو من ذرية أمير المؤمنين أبوبكر (ر). وتلقى العلوم الابتدائية من أبيه الشيخ سليمان وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم درس من العالم الكبير عبد القادر المخدومي المعروف باسم «شيشنا لبا عالم». ونشأته في بيت العلم والفضل جعله من مقدمة المساعدين للوطن ومعارضاً شديداً على القوي المستعمرين من البرتغاليين. وقد شمر عن ساقية لمواجهة الاحتلال الأجنبي. وللشيخ صدقة الله يد طولى في إنشاء المعاهد الدينية والمؤسسات العلمية في ولايته وبالجملة. «إن تاريخ ولاية تامل نادو لا يتم بدون هذا الشيخ الجليل والعبقري العظيم».

وأشهر ما ألف به هي: «مخمس قصيدة الوترية» وهذه مخمس لقصيدة الوترية للإمام أبوبكر بن محمد

١ الباحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق وأستاذ مساعد، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، كاليكوت، كيرالا.

٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

٣ أديب الخليل. الموسوعة العربية، المجلد الخامس. الجمهورية العربية السورية: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢م.

البغدادي يقول الشاعر عن حبه للنبي صلعم.

وحبك في لحي وعظمى مداخل به مالشيطان بقلبي مداخل

ولا شوب في هذا ولا فيه داخل أكيد رجائي أثني بكل داخل

لا نجد أحدًا من الشعراء العرب يصف عن حبه للنبي صلعم كما يصف به صدقة الله أبا بأن حب النبي صلعم مختلط في لحمه ودمه بكل ثقة ولا يمكن للشيطان أن يدخل في قلبه لأن القلب مملوء بحب النبي صلعم. وهو يصف عن شخصية المصطفى المختار كما يلي:

و وجهك كالبدر المنير تهللا وظل بتسخير الغمام مظلالا

له سجد الفحل العضوض مذللا بزقت ببير والعجين تقلالا.

ومن مؤلفاته المشهورة: القصيدة القطبية، خمس قصيدة البردة، خمس قصيدة بانة سعاد، خمس قصيدة الوترية، وفي كتابه المسمى «ترجمة الهجة» يبين عن حياة النبي صلعم^١ ومآثره الشريفة. القاضي ارتضى على خان صاحب نفائس الارتضية. ولد في كويم (Koppam) ١١٩٨ هـ وأبوه المولوي مصطفى علي خان بهادور. سافر في الخامسة عشر من عمره إلى كنهو وأخذ العلم عن كبار العلماء ثم سافر إلى «ساندلا» (Sandila) ثم إلى بلغرام الذي كان مركزا للعلوم والتصوف آنذاك. ثم عاد إلى مدراس سنة ١٢٢٥ هـ وعاش مع والده مشغلا بتعلم اللغة العربية والفارسية. ثم صار مفتي الدولة واستمر في هذا المنصب خمس سنوات فصار قاضيا في «شتور» تحت الحكومة البريطانية ثم عينه البريطانيون قاضي القضاة ثم ذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة ولكن بعد إتمام الحج لفظ نفسه الأخير سنة ١٢٧٠ هـ من مكة المكرمة. ومن مؤلفاته في اللغة الفارسية

١. اهتداء الناسك لأداء المناسك

٢. التحفة المرضية والصلاة الارتضية على خير البرية.

٣. تيسير المعسور (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور للسيوطي)

وأهم مؤلفاته العربية

١. التصريح في المنطق

٢. حاشية صدرا

٣. شرح جلالية التهذيب

٤. المنحة السراء في الدعاء الكاشف الضراء (شرح أسماء الله الحسنى)

٥. النفائس الارتضية شرح الرسالة الغزيرة^٢

١ الدكتور ك.م.ع. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ٤، نيودلهي: الجامعة المليية، ٢٠١٣ م.

٢ هذا كتاب مقرر في منهج الدراسات في معظم أنحاء تامل ناديو

عمرولي صاحب «ألف الألف» ١١٦٢-١٢١٦

هو ابن الشيخ عبد القادر وينتهي نسبه إلى صدقة الله أبا من جانب أمه^١. و ولد في كاييل بتنم وتلقى العلوم من الشيخ محمد الجفري الخضرمي وبعد وفاته ذهب إلى مكة المكرمة وسمع من بعض الشيوخ في الحرم الشريف مثل الشيخ محسن المقيبلي الصوفي ومكث هناك خمس سنوات ثم عاد إلى وطنه ثم لقي الشيخ السيد محمد البخاري وأثره الشيخ تأثيرا بالغا ثم سافر إلى كثير من البلدان حتى وصل إلى تايلاند (Thailand).

و بعد رجوعه منها اشتغل في قرض الشعر التاملية والعربية وتوفي سنة ١٢١٦.

ومن أشعاره المشهورة

١. ألف الألف.
 ٢. إلهي كم تبقيني
 ٣. بحر السر
 ٤. بشارة الله
 ٥. شكاية الغرام إلى جميع المرام
 ٦. كثر الجنان
 ٧. غرائب النظام
 ٨. هداية الأغنياء
- قصيدة ألف الألف.

وميزة الكبرى لهذه القصيدة هي أن الشاعر أتى في كل سطور من سطرها حروف الهجاء من أوله إلى آخره مرتبه بدون تصنع وتكلف. تبدء بحرف الألف وتختتم بالياء.

أَوَّلُ السُّطُورِ بِسْمِ اللَّهِ بَدْأَ الْقَالَ قَالَ	أَلَفَ الْأَلْفُ نِظَامَ مَدْحٍ أَعْلَى الْعَالِ عَالٍ
أَحْمَدُ اللَّهِ مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا عَلَى	أَحْمَدٍ وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ مَنْ لِلْأَلِ آلِ
بَالِغُ مِعْشَارَ مَا أُوتِيَ بِمَا فِي الْبَالِ بَالٍ	بَالِغِ الْمُدَّاحِ فِي أَوْصَافِهِ فَمَا بَلَغَ
تَابَ عَنْ وَدَادِ طَهٍ تَالِيًا لِلتَّالِ تَالٍ	تَاهَ قَلْبِي مُدَّ أَتَيْتُ وَادِي النَّقَا فَمَا
ثَانِيًا مَا ثَالِثًا بَلْ ثَانِي الْأَمْثَالِ ثَالٍ	ثَابِتُ الثَّرَى مِنَ السَّرَى إِلَى الثَّرَى
جَمْعًا وَفَرَقًا بَعْدَ جَمْعِ الْجَمْعِ لِلرِّجَالِ جَالٍ	جُودُ مَنْ جَادَ الْوُجُودَ وَجُودُهُ جَادَ الْجَوَى
دُمْتُ فِي جَنَاتٍ وَصَلِي حَالَةَ الْأَبْدَالِ دَالٍ	الدَّهْرِ دَائِمَ الْخُضُورِ وَالشُّهُودِ

١ كما جاء في حديقة المرام.

ذُرْعِيًّا لَآذَ الْهَوَى مَعَ الْأَحْبَا بِالنَّوَى
تُكِيَا صَاحِبَ الْكَبِيرِ كَايِلَ بَتْنَمَ ١١٩١-١٢٧٢

وهو الابن الأكبر لعمر ولي صاحب «ألف الألف» يعرف باسم عبد القادر تكية صاحب الكبير. وهو العالم الجليل يمتاز بين أهله بالمناقب والشرف العظيم وقد حاز الشيخ الدرجة الرفيعة بمعاملاته الفعالة حسب الحاجة. إنه بعد ما تم حفظ القرآن أخذ يتبع شيخ أبيه السيد محمد جعفر الخضرمي وكذا أخذ العلوم من السيد على الذي جاء من حضرموت وكان من عادته أنه يزور الأماكن الصوفية في الهند. وكان من خصلة هذا الشيخ أنه لا يخاف في الحق لومة لائم وانتقد المليباريين لاتباعهم «النظام الأموي». وقال:

يقولون إنا قد وجدنا مدى الزمان على أمة أسلافنا نحن من درى
نغادر أولاداً ونحرم والدا بنوا الأخت أورثنا كما عرفنا جرى
أسألكم من هؤلاء بما يلي سماهم تجارتهم ربا كان خاسرا
نصارى سلاطين لهم لا لهم لحي وعلماءهم قد وافقوهم بلا مرا.

وكان يقرض الشعر في مدح النبي صلعم مع موافقة السجع القافية. ومنه بيت «أحمد الله» وهذا البيت ينشد متعلمو تميل نادو عند بداية دروسهم. بيت أحمد الله:

أحمد الله الولي صلى على خير النبي باسم خير منجلي يا سيدي خير النبي
خفت من نفسي هلاكاً قبل عرفاني مبید العدى مجل الصدايا سيدي خير النبي
زرت كل زايريك بقضاء الأرب سر لنحو من نحاك سيدي خير النبي
شفه نظرة الرحيم الكاشف الكرب صنه عن كل الهلاك سيدي خير النبي
غاض بحر الحق من دارك فروض الأدب فأرأنهار البواطل قنا خير النبي
قدمتي قد متنى قد متنى مشربي^١ كلمتي كلمتي كلمتي يا نبي
ليزيد الحب منى أن أزورك نبي من فضلا منك لقيا وجهكم خير النبي
نق قلبي من دخول الغير سوء الأدب وجهكم ضعوا على وجه الصبي خير النبي
الصلوة السلام عليك يا رسول الله الصلوة والسلام عليك يا خير النبي

١ وفي رواية أخرى. قد متنى قد متنى قد متنى مشربي قربي واسقه يا سيدي خير النبي

تكية صاحب الصغير كيلاكرای (الشيخ عبد القادر) ١١٩٢-١٢٦٧

ولد الخطيب المصقع والشاعر المشهور في كایل بتنم سنة ١١٩٢ في أسرة مشهورة وجده كناميلي محمود نينا. وفي سنة ١٢٤٠ سافر إلى كيلاكرای حيث أقام «تکیا» للتلاوة ومدائح النبوة والعبادة. وإنه زوج إبنته لما بلا لبای عالم صاحب المعروف بمادح السبطين بمدحه الإمام حسن وحسين (ر) وصار هو وارثاله يحفظ ما خلف من جميع ذخائر العلم والمعرفة.^١ وأهم ما ألف هي القصيدة «الشفعية في مدح شافع الجمعية» المشهورة بالقصيدة الشفعية. وهي تشبه بمخمس قصيدة الوترية للشيخ صدقة أبا القاهي (الكايلي) والقصيدة تبدأ بسم الله والصلاة على النبي صلعم

أبسم الله بسم الله بدأ القصائد أحمد للرحمن رب العوائد
أفاض الرحيم ما صلاة على يد أمان وإله مع صحاب فوائد
وبعض الأبيات في هذه القصيدة تمتاز باستعمال الأحرف المنقوطة فقط. مثل:

جنيت بذني تجني تبت نقني تقي نقي زين ظني يشقني
شقي يشين جنب ذنب فبقني نظيف يتين يشفقن بتيقني
ويعبر الشاعر حزنه العميق عما أفات من فرص لنيل العلوم ويرجو من الله العفو حيث يقول:
طلبت علوما ما بها أنا عامل ومثلى كمثل الجان إبلس حامل
لكل ذنوب إن من هو كامل ثمان جنان مشتر هو شامل
ولكنني أرجو وإن كنت عاصيا لغفران ذنبي يوم شفيع نواصيا
بمدح نبی كان برامواسيا ثنيت به عن مدح من كل ناسيا^٢.

سيد تاج الدين تاج ت ١٢٧٤

وهو صاحب التصانيف الجليلة في اللغة الهندية والتاميلية والفارسية. وكان أبوه متضلعا في علوم الدين. ومن مؤلفاته: بحر الهدى في شرح قطر الندى، رد المنقط، رشح الهدى، رشف الهدى، رقوم القرآن، زينة الطلاب لألوان الحساب، شرح بانث سعاد، شرح قصيدة البردة، شرح منار، صميمة الزنجاني، نهر الهدى، هداية الإيمان وغيرها.

صبغة الله قاضي بدرالدولة ١٢١١-١٢٨٠

وهو الابن الأصغر للمولوي محمد غوث شرف الملك بهادور ولد بمدراس سنة ١٢١١ وبعدما أخذ مبادئ

١ تاج الدين المناني محاضرات في الدورة المكشفة جامعة كالكوته. ديسمبر ٢٠١٨ م.
٢ د. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ١٣. ٢٠١٣ م.

العلوم العربية والفارسية من أبيه درس النحو من ملا بحر العلوم عبد العلي ثم درس اللغة من الأستاذ علاء الدين أحمد وكان طبيباً ماهر في اليونانية. قد فرغ لجمع الكتب العربية والفارسية حتى صار لديه مجموعة من الكتب القيمة عمل في خدمة نواب عظيم الدولة بعد وفاة والده وفي ١٨٤٩ لقبه نواب غلام غوث خان بهادور «بإمام العلماء». ونواب غلام غوث خان من تلاميذه. وله يد طولى في علوم الحديث.

مؤلفاته

الأربعين في معجزات سيد المرسلين، إزالة الصمة في اختلاف الأمة، الثبت في أسانيد الأحاديث، ذيل على القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، رسالة صغرى في السير والمناقب، رسالة في إعراب الرب، رسالة في تعليم النساء الكتابة، رسالة كبرى في السير والمناقب، الطارق في رد المارق، عمدة الرائض في فن الفرائض، مطلع البدرية شرح الكواكب الدرية، نور العين في مناقب الحسين

محمد باقر آغا ١١٥٨-١٢٢٠

هو السيد باقر مرتضى آغا الشافعي الويلوري قرأ العلوم من أبيه ثم من علماء عصره حتى صار عالماً مشهوراً في الأمور الدينية وفي اللغة العربية. يقول إحتشام أحمد الندوي إنه أول من صنف الكتب باللغة الأوردية. وأهم ما ألف في المديح النبوي هي «النفحة العنبرية في مدحه خير البرية» وهذه القصيدة هي مجموعة القصائد في مدح الرسول صلعم والقصيدة تحتوي ١٤٧٩ بيتاً من مجموعة «الهمزية» و«اللامية».

بداية القصيدة الهمزية:

الحمد للرحمن ذي الآلاء حمدا يفي بفيوضه الهطلاء

الواجب المختار جل صفاته عن حيلة التقييد كالأسماء

ولباقر آغا غير النفحة العنبرية تنوير البصر والبصير في الصلاة على النبي بذكر السير والنهضة العنبرية في الصلاة على خير البرية.

تشطير القصيدة الوترية

وكما قرض الشيخ صدقة الله أبا مخمس الوترية قرض الشيخ صلاح الدين تشطيراً على الوترية. التشطير معناه أن ينظم مصراعاً جديداً لكل مصراع أصلي في البيت ويلصقه قبل الصراع الأصلي للثاني. وبداية القصيدة

إنني أنا مادح طاها خير من أرضين وطاها

مادح قاصد منه جاها وشفاعة حيث وجاها

الشيخ سام شهاب الدين ولي (١٠٤٥-١١٢١)

صاحب ميلاد السامي في مدائح النبي التهامي. يمدح الشاعر النبي صلعم في الأبيات التالية.

صلوة وتسليم وأزكى تحية على المصطفى الهادي البريا محمد

وتختتم القصيد كما في السطور الآتية

نقي تقي أبطي وزمزمي زكي ذكي نودعي ومرغمي

ينابيع تسليم صلوة كديمة دواما جرت من حضرة الله للنبي

الشيخ محي الدين - والقصيدة المحمدية

تشتمل القصيدة على ١٣ مخمس.

أؤلف نظمي باسم مولى مصمد أوليه تحميذا بروم محمد

أعلى سلاما دوم دهرمؤمد أصلى على خير الأنام محمد

لأنت إمام الأنبياء مؤيد لأمتكم فضل عليهم مزيد

لأدعوك يا من هو للرسول سيد لأنني عاص بالذنوب مقيد

مابالبا عالم صاحب ١٢٣٢-١٣١٦

وهو من أسرة «مادح الرسول» صدقة الله أبا وأنه بعدما تلقى مبادئ العلوم حفظ القرآن في صغره ولقب بمادح السبطين بمدحه لسبطي الرسول صلعم الحسن والحسين. ومن مؤلفاته: جوهرة الثمين في منتخب سيرة الأئمين، قصيدة عاشقية عن الرسول صلعم، مواهب القوي في مناقب الحسنين (ر)

الخاتمة

حسب ما بحثنا في هذه المقالة عن المديح النبوي في ولاية تامل نادوا. نرى إن خدماتهم في هذا المجال ملحوظ وإنهم على اعتزازهم بلغة التاملية وهم بذلوا جهدا كبيرا ي تمحيد هذا النبي الأمي الأئمين الذي فاق العالمين خلقا وخلقاً. وكتبوا كتابا كثيرة ونظموا قصائد عظيمة التي تشابه بقصائد العرب الخالص التي تشتاق قلوب محبي النبي صلعم.

المصادر والمراجع

١. أحمد زبير. ثقافة الهند. المجلد ٦٤. العدد ٤. نيودلهي: الجامعة المليية، ٢٠١٣ م.
٢. أديب خليل. الموسوعة العربية، المجلد الخامس. الجمهورية العربية السورية: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢ م.
٣. تاج الدين المناني محاضرات في الدورة المكشفة جامعة كالكوت. ديسمبر ٢٠١٨ م.
٤. ابن منظور. لسان العرب. ج ١. بيروت: دار المعارف. ١٩٨٩ م
٥. مجموعة الدعاء والأبيات. ترورنغادي: مكتبة الهدى. ١٩٩٥ م

المرأة ومكانتها في العصور السابقة للإسلام

السيد/ عبد الجليل.بي.كي^١
الدكتور/ عبد الرشيد^٢

الملخص:

إن المتتبع لتاريخ المرأة منذ العصور الماضية حتى تاريخ قبل الاسلام يجدها في كافة تلك العصور و الأزمنة مسلوقة الحقوق و الإرادة لا حول لها ولا قوة بل اعتبروها في الكتب السماوية المحرفة إنها سبب البلاء و سبب شقاوة المجتمع و شقائه- ولكن أن الامر لم يستمر طويلا إذ جاءت شمس الإسلام الوضاعة لتبدد هذه الظلمات. وإذا بحثنا ندرك حقيقة اكرام الاسلام للمرأة لها منزلة ومكانة في كل أمر من الأمور حسب طبيعتها وفطرتها، لا ما نستطيع أن نرى هذه المكانة في الأمم القديم خاصة في الجاهلية . المراد بالعصور الجاهلية. هذا البحث دراسة عن المرأة ومكانتها في العصور السابقة وفي الجاهلية. لتفتيش مكانة المرأة وإكرامها في الإسلام.

العرب وعيشهم في الجاهلية

كان العرب عاشوا في الجاهلية عيشة الهائم وما كان لهم ثقافة ولا علم، يتجولون في الصحراء بتفتيش الماء والعشب. ومنهم من يتجرون في بلاد الأجنبية وبهذا كله كانت حياتهم خشنة جدا، ومع ذلك وهم أصحاب الحرب والفتنة . ومنهم من حارب سنوات كثرات للأشياء صغيرات وما كان عندهم منزلة ولا مرتبة للمرأة حتي لا يرجون ولادة البنات وهم يحسبون البنات إهانة وذلة في حياتهم وبذا قال تعالى في القران الكريم «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون»^٣ وكذلك كان عرب الجاهلية يؤدون بناتهم (أي من بعض القبائل) عن قسوة قلوبهم البالغة التي تفشع من مجرد سماعها الجلود وقد ورد في القرآن عن ذلك « وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت»^٤. قال قتادة عاب مضرو خزاعة يدفنون البنات أحياء وأشدهم في هذا تميم زعموا حون القهر عليهم. «كان بعض الفقراء من بعض قبائل العرب يقتلون البنات و الأولاد أيضا للظروف القاسية من شدة الفقر وضنك العيش»^٥ وبكل هذا كان لهم عقيدة في «التركة لم تكن لها حق الإرث ويقولون في ذلك لا يرثنا إلا من يحمل السيف فإذا

١ نائب عميد الكلية، كلية الإرشادية العربية، بارال، تلشيري، كمنور، كيرلا، الهند

٢ أستاذ مشارك، ومشراف البحوث، كلية برنان الحكومية، تلشيري، كمنور، كيرلا، الهند

٣ سورة النحل الآية: ٥٨

٤ سورة التكاوير الآية: ٨، ٩

٥ المرأة بين هداية الاسلام وغواية الاعلام . صفحة: ٥٠

مات منهم رجل ورثه ابنه فإن لم يكن فأقرب من واحد من أوليائه أبا كان أو أخا أو عما»^١. «يقتلون البنات والأولاد أيضا للظروف القاسية من شدة الفقر وضنك العيش»^٢ نرى وبكل هذا كان لهم عقيدة في التركة. «لم تكن لها حق الإرث وكانوا يقولون في ذلك لا يرثنا إلا من يحمل السيف فإذا مات منهم رجل ورثه ابنه فإن لم يكن قاقرب من واحد من أوليائه أبا كان أو أخا أو عما»^٣

أن عرب الجاهلية يغلظون النساء بالاعتداء قال ابن كثير رحمه الله عن ذلك «كان عرب الجاهلية يطلق المرأة فإذا قارب القضاء العطرة راجعها عزمًا لئلا تذهب إلى غيره ثم يطلقها فإذا شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة فنهاهم الله عن ذلك. وكذا نرى كانت حالة المرأة في العصور السابقة ضيقة جدا. قال: منوا «أن الوباء والجحيم والموت و السم والنار والافاعي خير من المرأة»^٤ وفي اليونان دار النصر الفلسفة وقلعة الحكماء ظلمت فيها المرأة ولم تكن لها في المجتمع مكانة بل أعتبرت مخلوقا بقيمتها الانسانية عن قيمة الرجل ولقد أعلن أرسطو في قوله إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتز به ولذلك يجب أن تقتصر تربيتها على شئون التدبير المنزلي والأمومة و الحضانة وما إلى ذلك^٥ وفي الديانة اليهودية المنحرفة يقولون «إن المرأة في المحيط نجسة تحبس في البيت وكل ما يفعله الرجل من أعمال الأخلاقية قائمة على المرأة»^٦

ملكة بلقيس: كانت بلقيس ملكة في قبيلة سبأ لقد شرح الله تعالى في القرآن المجيد كانت ملكة بلقيس ذات رأي سديد وفراصة في استجلاء الحقائق وتدبير الأمور بحزم وشدة وتحقيق التخلص من المواقف الخرجة» اشتهرت شهرتها في العالم بقصتها مع النبي سليمان عليه السلام»^٧ قال الله تعالى في سورة النمل عن ملكة بلقيس «قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتي تشهدون»^٨ وقال تعالى أيضا إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون. نفهم من هاتين الايتين أن بلقيس طلبت من قومها أن يشيروا عليها في الأمر إذ أنها لا يمكن أن تتخذ أمرا أو تقطع رأيا أو تفضي أمرا بدون حضورهم ومشورتهم. تظهر هنا شخصية المرأة مع سلطانيتها،

النساء وخدماتهن في عهد موسى عليه السلام.

وإذا فتشنا قصة موسى عليه السلام من القرآن الكريم نرى فيها إشارة إلى نساء شجاعيات

الأول: والدة موسى عليه السلام كانت لها دور الأم المؤمنة الصادقة أطاعت أوامر ربها. حملت أم موسى به في زمن وكان هناك أمرا قاطعا من ملك فرعون اذا ولد في بني إسرائيل إبننا يقتله وفي الحال، كانت غريمة أم موسى عليه

١ عودة الحجاب: ٢/٢٧

٢ المرأة بين هداية الاسلام وعوابة الإعلام: صفحة: ٥٠

٣ عودة الحجاب ٢٧/٢

٤ المرأة بين الحجاب والسفور للأبي رضوان زغلول ابن السنوسي صفحة: ١٤

٥ كتاب المرأة من خلال الايات القرآنية: لعصمة الدين تركو حرام العيلة: صفحة: ٢٩

٦ المرأة في التصور الإسلام: صفحة: ١٤٣

٧ محمود أبو زيد : مكانة المرأة: صفحة: ٤١

٨ سورة النمل الآية: ٣٢

السلام المذكورا هنا نرى شجاعيتها عقب ولادتها ورضاعتها . وكذلك نرى تظهر المرأة الثانية في عهد موسى عليه السلام وهي أخته التي تبعت ذاك الصندوق الذي كان فيه موسى عليه السلام وكذلك عرفت أخبار أخيها الذي ألقى في النهر. هذه الطفلة أدت دورا خاصا في حياة أخيها .

أما المرأة الثالثة فهي أيضا من خيرات النساء كانت لها من حسن الاخلاق وتفريج الكربات «حتى كانت رحمة من رب العالمين للعباد في زمن فرعون الطاغية الجبار»^١ أن قرآن الكريم قد أشار ومدح خصالاتها الخيرية قال تعالى عنها «ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين»^٢ وكذلك نرى مع سيرة موسى عليه السلام امرأة أخرى كانت مؤمنة يقول تعالى عنها في القرآن الكريم: قالت احدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين .

المرأة في بلاد الفرس: كانت الفرس من أقدم أقوام العالم. وهم في المقدم في كل من الأمور. ولكن فكرتهم في أمر النساء قبيحة جدا. وقال الأستاذ أبو النصر مبشرا الطرازي «كانت تقاليد فارس القديمة نظر نحو المرأة بالتعصب المذهبي والتشاؤم بحيث تعتبرها وسيلة لهيجان الشر وسبب للعذاب ولهذا فانها اتخذ المرأة من أي أسرة كانت تحت التحقير والظلم كما تعطى للزوج سلطة قتلها أو تصرفها تصرف المال والمتاع كما كان تعدد الزوجات مباحا رائجا بدون شرط وحد»^٣

ومع ذلك وهم أباحوا الزواج بالامهات والاخوات العمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وكانت تنفي الأعشى في فترة الحيض إلى مكان بعيد خارج المدينة مثل ما يفعل سكان الجبال في الهند في قديم الزمان. ولا يبيع لأحد من الناس إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام. وهذا كله كانت المرأة الفارسية تحت سيطرة الرجل. يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة^٤. ومن كل هذا نفهم كانت حالة المرأة بين الفرس في القديم ضيقة جدا.

المرأة في بلاد الصين: كانت الصين من أقدم البلاد بالثقافة وهم في حياة الرقعة في الزمن القديم ولكن ما كان عندهم مكانة ولا منزلة للنساء «شبهت المرأة عندهم وللصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارية وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثرة، وتورث وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية^٥، في المجتمع الصيني على العموم كان الناس يعيشون حياة الفوضى وكانوا أقرب للمجتمع الوحشي من المجتمع الإنساني. وكانوا يتزوجون بلا حياة أن الأولاد الذين يلدون منهم لا يعرفون آباءهم وهم يعرفون أمهاتهم فقط. وكذلك وليس للبنات أن تطلب من مال أبيها شيئا ما دامت ليست ذكرا.

المرأة في بلاد الهند: كانت الهند بلد قديم الثقافة والحضارة كانت الهند تحت سيطرة بريطانية في كثير

١ دور الأم في تربية الطفل حسين طه صابر صفحة: ٢٤

٢ سورة: التحريم الآية: ١١

٣ الاسلام الدين الفطري (الأبدي) ٢/١٢٣

٤ حقوق المرأة المسلمة بمحمد رشيد رضا صفحة ٢٧-٢٨

٥ ودة الحجاب ٢/٤٩

من الزمن أن سكان الهند يجاهدون على مملكة الإنجليزية كثير من الزمن وفي سنة ١٩٤٧ استقل الهند من أيدي البريطانيين. كان للهند رقعة ومنزلة كبيرة في كل من المجال وكانت اعتقاداتهم رخصة في محلهم. قد جاء في دائرة المعارف البريطانية عن المرأة كثيرا من الأمور منها ما يلي.

الأول: كان قهر المرأة وإهانتها قانونا أساسيا في الهند يجب أن تكون النساء تحت مراقبة المراقبين ليلا ونهار. الثاني: قانون الإرث قد خص بالذكور. واتبع هذا الأصل من قبلهم الحرمان الإناث من الإرث^١ «قد قال كتب الهندوسية من اخلاق المرأة انها تحت ما يلي «امرأة يخضع عقلها وكلامها وجسدها للقهر والإهانة تحوز سمعة عالية في هذه الدنيا وهي تكون مع زوجها في الآخرة»^٢ ولم يكن للمرأة في شريعة الهندوسية حق في الإستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتهي إلى رجل من أقارب زوجها وهي قاصرة طيلة حياتها ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت في يوم موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد كانت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء وكذلك كان في بعض حيان، للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها فهي كالموودة لا تتزوج. ويذكر أيضا أن المرأة في الهند تعد زوجها مثل الآلهة في الأرض. ومن الأيامي الفتاة التي تفقد زوجها في أوائل عمرها فموت الرجل الهندوسي قاصم لظهر زوجته فلا قيام لها بعده فالمرأة الهندوسية إذا فقدت زوجها ظلت حياتها ضيقة. وعد نظرها مصدرا لكل شؤم على ما تنظر إليه وعدة مدنسة لكل شيء تمسه. وأفضل شيء لها أن تقذف نفسها في النار التي يحرق بها جثمان زوجها.

المرأة عند اليهود: كانت المرأة عند اليهود كمتاع تتجر به كانت محتقرة. مسلوقة الحقوق محرومة من حق الميراث لها اذا كان مالا. إذا ترك أبوها مالا وليس لها شيء منها ولو كانت التركية قناطيرا مقنطرة. «وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود الأخ لم يجز لها أن تتجاوز من سبط آخر. ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها»^٣

يقول «رودول» (Rodwell) كانت ولادة الأنثى في نظر أحبار اليهود أمرا مخجلا وكان أحدهم يدعو فيقول: أشكرك اللهم مالك الملك على أنك لم تخلقني امرأة»^٤. كانت المرأة بين اليهود مثل المتاع الذي تتجر به أن منزلتها عندهم مثل العبد.

المرأة عند النصراني

إن الله تبارك وتعالى قد اصطفى رجالا كثيرا من العالمين وكذلك اصطفى نساء كثيرات ومن هؤلاء مريم(ر) فقد خصها بالكرامات فهي مماثلة للرجل في أداء جميع العبادات لا فرق بينهما: كما قال تعالى «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»^٥. ويقول تعالى «وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين»^٦ وإن كان الأمر مثل هكذا وهم يذلون النساء في

^١ The encyclopedia britanica second edition 1911 page 782

^٢ مكانة المرأة في الإسلام للدكتور جمال بدوي صفحة : ٨٩

^٣ المرأة بين الهداية الإسلام وغواية الإسلام صفحة : ٣٧

^٤ أهمية السيرة الطيبة للعالم البشري

^٥ سورة آل عمران الآية ٣٣

^٦ سورة آل عمران : ٤٢

كثير من المواضع وبذا وهم يقاربون البنات لقراءة الله تعالى هذا اذلة للمرأة وليست هذا عقيدة صحيحة.

مكانة المرأة و تكريمها في الإسلام:- وإذا تعلمنا كيف كانت المرأة قبل الإسلام كانت حالتها ضيقة جدا كما وجدنا خلال دراستنا كانت أمتعة من المتاع ما كانت لها حرية ولاحقا مثل الرجال لما جاء الإسلام ليستحق الظلم ويبلد الظلمات التي كانت محبطة بالمرأة . وذلك عندما كرمها وأعلن من شأنها قد رفع الإسلام المرأة من حقارة الرذيلة إلى مصاف الكرام. فهي أم أو ص لها من حسن صحبتها وزوجة تامل بالرفق وللين . وهي ابنة قد قال (صلعم) عنها من ابتلى من البنات بشيء فاحسن إليهن كن له سترا من النار رواه مسلم، كتاب البر . باب فضل الإحسان إلى البنات قد قرر الإسلام مكانتها نرى هذا من قوله (صلعم) الجنة تحت أقدام الأمهات» وخصها بمزيد من العناية والرعاية أبنائها مذكرا إياهم إحسانها المتقدم إليهم و عظيم صبرها على الجمل والولادة والرضاعة وسهر الليالي في العناية بهم وتمريضهم وتربيتهم التي تشمل جميع جوانب شخصيتهم الحسدية والفكرية والروحية والخلفية. قد وكل الإسلام كفالة المرأة على الرجل إنما جعل ذلك حسب قدرته واستطاعته مصداقا لقوله تعالى « ينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلي نفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا»^١

الخاتمة

إن الذكر والأنثى آية من آيات الله تعالى ولكل منهما رسالة خاصة في الدنيا. كانت حالة المرأة في القديم ضيقة وقبيحة جاء محمد (ص) مرشدا للعالمين أرشده العالم إلى نور الإسلام بالقرآن وبحياته. إنه قد كون أمة وسطية في كل من الأمور. هذه المقالة يطلع إلى أهمية الإسلام.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإسلام الدين الفطري الأبدي: مبشر الطرازي الحسني- دار عمر ابن الخطاب بالاسكندرية.

٣. المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام- صلاح الدين مقبول الأحمد: الطبعة الأولى دار ايلاف الدولية للنشر والتوزيع- ١٩٩٧

٤. أهمية السيرة الطيبة للعالم البشري ورودول.

٥. حقوق المرأة المسلمة : محمد رشيد رضا .

٦. دور الأم في تربية الطفل- حسين طه صابر: دار المجتمع للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٩٨٩ .

٧. عودة الحجاب محمد أحمد إسماعيل . دار الطيبة الطبعة الحادي عشر ١٤١٧ هجرية.

٨. مكانة المرأة محمود عبد الحميد أبو زيد- دار النهضة العربية القاهرة. ١٩٧٩ .

٩. مكانة المرأة في الإسلام- الدكتور جمال بدوي الإنجليزية- الدار العالمية لكتاب الإسلام بالرياض .

١٠. The Encyclopedia Britannica 2nd Edition 1911



الإمام الشافعي رحمه الله شاعر القيم الإنسانية

السيد/ منير. يم. كي.^١

د/ عبد المجيد تي^٢

الملخص

الشعر موهبة أولاً، واكتساب ثانياً. فإذا اجتمعاً في الإنسان فهو الشاعر المجيد. فإذا انفردت الموهبة تكون الشاعرية ضعيفة، وإذا انفرد الاكتساب كان العلم ولم يكن الشعر. نرى أن الإمام الشافعي رحمه الله التقت وجمعت فيه الموهبة والاكتساب، ولو شاء الشافعي لساق المجلين من عراء عصره ولكن صرف مواهبه وعقله وقلبه إلى السنة والفقه والاجتهاد. وفي نفس الوقت ترك وراءه خزانة من الأشعار الجليلة. إن الإمام الشافعي رحمه الله أحد شعراء القيم الإنسانية والروحية في القرن الثاني الهجري ويشهر مكانته في علوم اللغة العربية والأدب والشعر والنقد. يعتبر الأمام الشافعي رحمه الله شاعراً نبيلاً يرسم خلال أشعاره طريقة الزهد التي تتميز بالقيم الروحية العالية ويدعو الإمام في أشعاره إلى التخلق بالأخلاق الرفيعة وتثقيف الروح والتحلي بالقيم الإنسانية العالية. كان الإمام شديد الذكاء قوي الحفظ. كما عرفنا أن الإمام نقل إلى مكة من غرة بعد وفاة والده وهو ابن سنتين. حفظ القرآن الكريم في السنة السابعة وحفظ 'الموطأ' للإمام مالك رحمه الله في السنة العاشرة. لحق الإمام الشافعي رحمه الله بقبيلة هذيل العربية لتعلم اللغة والفصاحة. ولقد كانت لهذه الملائمة أثر شديد في فصاحته وبلاغته. لم يزل الإمام مسافراً يرتحل أفاق الأرض طلباً للعلوم وكانت لهذه الرحلات المتوالية أيضاً أثراً مبيناً في تشكيل شخصيته الشعرية الممتازة.

نبذة عن حياة الشافعي (ر)

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المصطفي القرشي هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه. وهو أول واضع علم أصول الفقه وإمام في علم التفسير وعلم الحديث. وإضافة إلى العلوم الدينية، كان الشافعي شاعراً فصيحاً. ولد محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ، في نفس العام الذي توفي فيه أبو حنيفة رحمه الله، وولتي الشافعي مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجد الأعلى. نشأ يتيمًا، لكن أمه الطاهرة، ذهبت به إلى مكة وهو

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند
٢ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

ابن سنتين، ففيها أهله وعشيرته وعلماء الإسلام، وظلت تربيته تربية صالحة، وترعاه، وتأمل أن يكون من العلماء الصالحين. حفظ الشافعي القرآن الكريم وسنه سبع سنين، ثم حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أرسلته أمه إلى قبيلة هذيل في البادية، فمكث بينهم سنوات يتعلم لغتهم، ويحفظ أشعارهم.

كانت في الأمة الإسلامية مدرستان واضحتان في الفقه الإسلامي وهما مدرسة الرأي ومدرسة الحديث. وجد الإمام اختلافات كثيرة بين أهل هذين الطريقتين وقام بدخول هذا المجال والتفوق فيه. الإمام هو الذي وضع خطة في بحث أصول الفقه أولاً وقد جرى عليه كل من أتى بعده من علماء المذاهب الأخرى. لما رأى الشافعي رحمه الله اختلاف الأنظار والمشارب وجد أنه لا بد من أن يضع مقياساً تاماً. والجدير بالذكر أن لهذين النظيرين مكان من الاحترام والتقدير. ابتكر أصولاً جديدة ووضع قواعد لعلوم الفقه الإسلامي. نجد أن كثيراً من المسائل الفرعية الفقهية والعناصر المجتمعة المتعلقة بها أثرت تأثيراً عظيماً في الإمام الشافعي رحمه الله ليهيئ فيها الفكر، بعد هذه التأملات المبصرة والأفكار الحادة، وضع قواعد للعلوم الفقه ورتب هذه القواعد وأكملها ووضعها في كتابه 'الرسالة'. توفي الإمام الشافعي رحمه الله بمصر سنة ٢٠٤ هجرية.

نشاطاته الشعرية

قرض الإمام أشعاراً عديدة والعلماء جمعوها في دواوين بعد وفاة الإمام. وهذه المجموعة تتضمن معاني القيمة في المواضيع المختلفة من الحكم والمواعظ. بوبت هذه المجموعة على أساس القافية. نجد في أشعارها الدعوة إلى الفضيلة والأدب والأمر بالابتعاد عن الحقد والكراهة والشر، وفيها رسالة العفو عمن أساء والطرح من القلب الحقد والحسد كما نجد فيها الحب الخالص لكل الناس حتى للأعداء الذين يتمنون الهلاك وسوء العواقب. يقدم الإمام الشافعي رحمه الله النصيحة والموعظة للإنسان ويدعوه إلى العمل الصالح والتقوى ويذكره الموت والحساب والثواب والعقاب في مؤلفاته الشعرية. ويذكر في أشعاره الغاية في هذه الحياة وتلك الغاية المرتكزة على الإقرار في وحدانية الله تبارك وتعالى والإيمان به والطاعة له ولرسوله. يشير الإمام إلى هذه الحقائق في أشعاره في أسلوب واضح فصيح على ضوء معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية. يأخذ الإمام بأيدي الناس بأشعاره ويدعو إلى النهج القويم وإلى طريق صلاح دينهم ودنياهم مرتكزا على قيمتها الأدبية. يصف الدكتور عمر الطباع أسلوب الشافعي في الأشعار كما تأتي: «إن ديوان الإمام الشافعي الذي عنيينا بجمعه وتبويبه- تبعاً لحروف الهجاء وحركات الإعراب- والذي تناثرت أبياته ومقطعاته في مصادر شتى أدبية ولغوية وتاريخية» يشكل نموذجاً لشاعرية رجل الفقه والقضاء الذي التزم بأحكام الدين قرأنا وحديثاً. والشافعي من «مدرسة أصحاب الحديث» لكنه وفق - مع ذلك - بين اتجاهه هذا واتجاه أصحاب مدرسة الرأي، منتصراً في الدرجة الأولى للقرآن والسنة. وشعره في مجمله ينهل من هذين ينبوعين الدافقين ومن سيرة الراشدين وكبار الصحابة والأئمة^١

١ الدكتور عمر الطباع- ديوان الإمام الشافعي- ص- ١٢

مزايا أشعار الإمام الشافعي (ر)

إن أشعار الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله كزمن كنوز الأدب ومنبع صافي يستقى منه آلاف من الناس شراب الحكم والأداب والأخلاق القيمة كما يستفيدون الألوان التجارب الحياتية التي ترشدهم إلى المنهج القويم. نرى أن الفضل في فصاحة الشافعي الشعرية يعود إلى أنه أقام في البادية سنوات ولقن اللسان العربي. نقرأ في ديوان الشافعي نقراً هكذا: «إنه نموذج فذ، وقدوة صالحة، نعيش معه في أفكاره وتجاربه، وتتجلى لنا من خلال شعره فلسفته في الحياة في وقت تشتد فيه الحاجة إلى خلاصات التجارب السلوكية في البيئة العربية لتنتفع بها، وتسير في هديها. إن في أشعاره من التركيز، ونفاذ البصيرة، ودقة الملاحظة وحسن التعبير ما يجعل الألسنة تتلقفها، فتذيع وتنتشر وتصبح سلوكاً وعملاً ومنهجاً لحياة راضية آمنة»^١، الأشعار الشافعية مليئة بالمرجع والموسوعات اللغوية والأدبية ومتضمنة بالدراسات الأحكام الفقهية والتاريخية كما تضمنت الدراسات القرآنية والأد حاديث النبوية ومع ذلك أنها سهل الفهم ومن أجل هذا تسهل الاستدلال بها والاقتباس منها.

الأشعار الشافعية- دراسة تحليلية

نرى في الأشعار غالباً أبواباً من المدح والهجاء والغزل والفخر وسائر الأوصاف ولكن الإمام الشافعي رحمه الله قد نأى عنها بجانبه، ولذلك لا تزال أشعاره مذاقة ومحبوبة مفضلة لدي الخاصة والعامة. يكتب محمد إبراهيم سليم في مؤلفته ديوان الإمام الشافعي: «لقد اختار أفضل الشعر، وأشرف أبوابه وأسماها مما لا يزري به، ولا يحط من قدره؛ وإن دارس شعره ليلمس فيه تركيزاً على العقيدة الصحيحة في الله، والكون، والحياة وهي أساس البناء الذي يضعه الإسلام لتكوين المسلم، وهي القوة الدافعة للحياة كما يراها الإسلام. ومنها يستمد طاقته، وبها يحدد طريقته، ويبلغ غايته»^٢، يحاول الإمام الشافعي رحمه الله في معظم أشعاره أن يرسخ تعاليم الإسلام وقيمه الرفيعة نرى في أشعاره دعوات متكررة إلى وحدانية الله تبارك وتعالى ودعوات إلى الصدق والكرم والوفاء والحب والتواضع والجود وغيرها من القيم الإنسانية. يشير الإمام إلى ضرورة الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى والصبر عليه:

دَعِ الْأَيَّامَ تَفَعَّلْ مَا تَشَاءُ وَطِيبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلَدًا وَشِيمَتِكَ السَّمَاحَةُ وَالْوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ^٣

يتميز الشافعي رحمه الله بسميزات شتى وأنه لم يكن قاصدا بشعره الاكتساب والقرب إلى أصحاب المال

١ محمد إبراهيم سليم - ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس - ص ٧-

٢ نفس المصدر - ص ٩-

٣ محمد عبد الرحيم - ديوان الإمام الشافعي - ص ١١٢، ١١١

والجاء والسلطة. بل نرى في شعره يتناول الحكم ومناجات الخالق والاستغفار والأدعية ولذلك انتشر شعره بين الناس. كان شعره بأغلبه يتناول الحكمة.

ولا تر للأعادي قط ذلاً فإن شماعة الأعداء بلاء

ولا ترجو السماحة من بخيل فما في النار للظمان ماء

ورزقك ليس ينقصه التاني وليس يزيد في الرزق العناء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء^١

يحث الإمام في أشعاره على ذكر هاذم اللذات الموت ويشير إلى حقائقه:

وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

دع الأيام تغدر كل حين ولا يغني عن الموت الدواء^٢

لا تزال أشعاره متداولة حتى الآن كما صارت بعض أبياته مثالا حتى يتداولها الناس في حياتهم اليومية.

يدعو الإمام إلى العفو والكرم والتسامح في أشعاره:

إذا رُمت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صيّن

وعينك إن أبدت إليك معائباً فدعها وقُلْ يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن^٣

نجد دعوة قوية في شعر الشافعي إلى الزهد في هذه الدنيا ويحث على الابتعاد عن حلاوتها وخضرتها ويرسم طريق الزهد الذي اختاره السلف الصالح، الإبعاد عن الدنيا ليس فيها رفضاً ولا هروباً منها، ولكن الزهد من صفات المؤمن، وهناك مفهوم خاطئ عن الزهد وهو أن تكون فقير ليس عندك من أمر الدنيا شيء. وفي الحقيقة ليس الزهد أن لا تملك شيئاً ولكن الزهد أن لا يملكك شيء. الزاهد يضع رأسه عند النوم مرتاحاً لأنه زهد في الدنيا أما غير الزاهد فهو يمسي ويصبح وهو قلق أين يضع ماله...

يقول الإمام أيضاً:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا عذبتها وعذابها

فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سرائها

١ محمد عبد الرحيم - ديوان الإمام الشافعي - ص ١١٢

٢ محمد عبد الرحيم - ديوان الإمام الشافعي - ص ١١٣

٣ نفس المصدر - ص ٣٦٥، ٣٦٦

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همُّهن اجتذابها^١

هذه الأبيات تشير إلى أحوال الحياة الدنيا وفناءها وأن الزهد ارتقاء بالنفس إلى درجة عالية من الصفاء الروحي. وكان الشافعي رحمه الله عبقرًا لا مثيل له في ذخيرة الكلمات ووفرة المعاني والحكم، تموج هذه الحكم في قلبه كموج البحر وتفيض فيضان النهر الجاري على اللسان. وكان يستطيع له أن يبارز في الهجاء والمذمة ولكن كان كريمًا فهان عليه علاج هذا الداء ولم يضيع نفسه وكلامه في هذا المضمار، وهو يظهر اتجاهاته في أقواله:

عندي بواقيت القريض ودره عليّ إكليل الكلام وتاجه

تربى على روض الربا أزهاره ويرق في نادى الندى ديباجه

وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه^٢

الخاتمة

إن الموضوعات والمعاني والحكم التي تنبغ في أشعار الإمام الشافعي رحمه الله كثيرة جدًا يصعب حصرها بأن الإمام كان منبع العلوم النفيسة كما كان مصداقًا بالله وراجيًا من الله. الألفاظ والتراكيب في أشعار الشافعي لا تسع أفكاره واتجاهاته العميقة. وهي تتضمن بالحكم المتنوعة التي تتعلق بحياة الناس كأخلاقهم والصدقة والصحة وتغيرات الزمان وغيرها. شعر الشافعي رحمه الله كنز من كنوز الأدب العربي ومنبع صافي يستقي منه الجيل دروس الحكمة والتجارب الحياتية المختلفة. وكان شعره يميل إلى المقطعات دون القصائد، قصد الشافعي رحمه الله فيه السهولة والوضوح.

المصادر والمراجع

١. الدكتور عمر فاروق الطباع، ديوان الإمام الشافعي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان. ١٩٧٨م
٢. د/ نجمة بانو و د/ محمد سليم- موضوعات الوعظ والحكمة في شعر الإمام الشافعي - مجلة القسم العربية - جامعة بنجاب باكستان، العدد الخامس والعشرون ٢٠١٨ م
٣. محمد إبراهيم سليم - ديوان الإمام الشافعي المسعى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس - مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير - مصر الجديدة القاهرة. ١٩٨٩م
٤. محمد عبد الرحيم، ديوان الإمام الشافعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ٢٠٠٥ م



١ الدكتور عمر ال الطباع- ديوان الإمام الشافعي- ص ٤٥

٢ د/ نجمة بانو ود/ محمد سليم- موضوعات الوعظ والحكمة في شعر الإمام الشافعي (مجلة القسم العربية) ص ٥٦

الدراسات القرآنية والعولمة: التأثير والتأثير

السيدة/ سمية، كي، بي^١

الملخص:

إن العولمة ظاهرة جديدة قديمة، وتستمد خصوصيتها من تطورات فكرية وقيمية وسلوكية عدّة برزت بشكل واضح خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي، ويأتي في مقدمة هذه التطورات انفتاح الثقافات العالمية المختلفة وتأثيرها وتأثرها ببعضها البعض، وإن الدراسات القرآنية في عصر العولمة إن دلت على شيء، فإنها تدل على أنها موجودة في الساحة العلمية والمعرفية، وهذا دليل على حيويتها ونشاطها وأنها باقية إلى يوم الدين؛ لأن القرآن محفوظ من الله تعالى، وإذا كانت هناك من دراسات قرآنية تمشي مع توجهات العولمة فإن هناك دراسات أخرى لها بالمرصاد تصحح المعوج منها، وتقوم الشطط فيها، حتى تبقى الدراسات القرآنية هي الأصل الذي يقاس عليها غيرها، وهي الموجه للبشرية فيما يستجد لها، كما أن الدراسات القرآنية في الوقت نفسه أفادت من وسائل العولمة في النشر والاتصال، فدخلت الدراسات القرآنية في مجال الإنترنت ومجال الإعلام ومجالات أخرى هي من اهتمامات العولمة ومساحاتها الرئيسة

الدراسات القرآنية عبر العصور

فإن الدراسات القرآنية لم تتوقف في عصر من العصور منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم وحتى يومنا هذا، كما أن المكان لم يحدها فإذا كانت بداياتها في الجزيرة العربية فإن نهاياتها ممدودة باتساع البلاد عبر القارات في الأرض، ولكن لا يخفى على الدارسين والباحثين أن هناك خصائص زمانية ومكانية في الدراسات القرآنية تتسم بها بحسب طبيعة كل وقت وكل بلد، فالدراسات القرآنية في زمن التابعين وتابعهم هي غير الدراسات في العصر الحديث من ناحية المنهج والعرض والاهتمام، وكذلك فإن الدراسات القرآنية في المشرق العربي تختلف عن الدراسات القرآنية في الأندلس، وهكذا. وأما بشأن موضوع الدراسات القرآنية في عصر العولمة فإنها لم تتوقف؛ بل بقيت مستمرة بعبائها العلمي والمعرفي، فإذا جاءت العولمة بحركة تشمل العلوم والمعارف جميعها، فإن هذه الحركة شملت الدراسات القرآنية، وهذا دليل على تفاعل الدراسات القرآنية مع المستجدات الزمانية والمكانية شأنها شأن الدراسات الأخرى فهو يشير إلى حيوية هذه الدراسات وروحها العلمية النشيطة.

فإذا قيل «أن فلسفة العولمة أثرت في الدراسات القرآنية نقول: نعم، هناك دراسات قرآنية سايرت حركة

١ أستاذة الضيفة، كلية الأنصار العربية وليونور، ملابرم، كيرلا، الهند

العولمة ونظرتها وفكرتها، فأرنا دراسات غربية وشرقية تناولت الدرس القرآني بطروحات لم يسبق إليها ولا سيما في التعامل مع النص القرآني وإجراء المناهج الحديثة عليه، وهذه الدراسات يقابلها مؤيدون ومعارضون في كتاباتهم وهذا أهم ما شهدته الدراسات القرآنية في عصر العولمة، وهو يعد تطوراً فكرياً في الدرس القرآني بغض النظر فيما له وما عليه من حيث التعامل مع النص الإلهي المقدس. وأن الدراسات القرآنية تناولت الموضوعات التي طرحها العولمة بمعالجتها من منظور قرآني على مستوى الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والاتصالية والمعلوماتية، فقد قامت دراسات قرآنية تتناول هذه الموضوعات وجزئياتها العلمية على مستوى أبحاث أكاديمية ورسائل دراسات عليا وبحوث محكمة رصينة، شملت جميعها موضوعات جديدة على الساحة العلمية انبثقت من العولمة وتوجهاتها برؤية قرآنية^١.

تأثير العولمة في الثقافة العربية

ويظهر تأثير العولمة من تعلق فئة الشباب العربي بمظاهرها لوجود فراغ ثقافي لديهم، ناتج عن انعدام التخطيط العلمي لغرس الثقافة العربية في نفوسهم، في مقابل وجود أدوات ضخمة للثقافة الغازية متمثلة بالإعلام الأمريكي بكل رموزه من هوليوود حيث صناعة السينما، إلى التلفزيون الأمريكي حيث صناعة الخبر، وصولاً إلى الصحافة الأمريكية حيث صناعة الرأي العام وفق المصالح الأمريكية (دراوشة، ٢٠٠٣). كذلك يظهر تأثير العولمة من الانتشار الواسع والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فالموسيقى الأمريكية والتلفاز والسينما، من مايكل جاكسون إلى رامبو إلى داليس، أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع في المجتمعات العربية (سالم، ١٩٩٨). الصناعات الثقافية الموجهة للأطفال من برامج كرتون ومسابقات وأغان تحمل الفكر والقيم الغربية والتي لا تعزز قيمة عربية أو إسلامية واحدة، وتقدم إلى الطفل العربي مترجمة أو مدبلجة أو كما هي معدة بشكل علمي مدروس، على أيدي خبراء في الإعلام والثقافة والتكنولوجيا المتقدمة، بحيث تعمل على تسطيح عقل الطفل، وتدمير قدرته على المحاكاة، وهدم القيم الإنسانية التي تمثلها وجدانياً، ثم تعمل على تزييف انفعالاته ومشاعره وأحاسيسه وإثارة غرائزه البدائية والهيمنية، وتحوله إلى مجرد طاقة استهلاكية عبثية مدمرة مستلبة الهوية والإرادة.

وتأثير العولمة على اللغة العربية من خلال طغيان اللغة الإنجليزية على حساب العربية في الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والترجمة والتأليف، ويخيل للسامع أن اللغة العربية قد عجزت مفرداتها عن التعبير الصحيح السليم للصور والمشاهدات، وقد أثبتت دراسة (الأردنيون والغزو الثقافي) أن ما نسبته (٣,٢٪) من السكان فقط يشاهدون القناة الأردنية الفضائية، ومن مظاهر العولمة في التربية والتعليم انتشار المدارس التي تدرس باللغة الإنجليزية وازدياد أعدادها سنة بعد سنة واعتمادها على مناهج غير عربية (العايد، ٢٠٠٢)، فعلى سبيل المثال هناك مساحة واسعة للبرامج التلفزيونية الأمريكية على القنوات العربية الأرضية والفضائية، حتى أن هناك

١ مصطفى عيد الله أحمد قاسم، مجلة بحوث الإسلامية وإجتماعية، المجلد الأول، مالايا، ماليزيا، ٢٠١١م

قنوات فضائية عربية لا تبتّ إلا الافلام والمسلسلات الغربية وعلى رأسها الامريكية.

ومما يميز الدراسات القرآنية شأنها شأن العلوم الإسلامية التي تتصف بالعالمية وهي غير العولمة، وإن كان بينهما تشابه في استعمال الحروف عربيا، فالعالمية الإسلامية أو العالمية بالمفهوم القرآني تعني الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعني التعارف والتواصل والتعاون على البر والتقوى، في حين أن العولمة تعني السيطرة على الآخر، والتواصل من أجل فوائد ربحية ومنافع مادية، وتعني استغلال الطاقات في مجالات معينة، وهكذا تفتقر العالمية عن العولمة من منظور قرآني، حيث يراد بالأولى انضباطها بالدين الحق، ويراد بالثانية عدم التقيد بالأديان في الحياة، فهي وجه متجدد للعلمانية. يُقصد بعلوم القرآن تاريخ فهم المسلمين للقرآن، والوسائل المعرفية والمنهجية التي استخدموها من أجل ذلك. أما الدراسات القرآنية فيُقصد بها غالبًا الأفهام والمناهج الحديثة، خاصةً في الجامعات الغربية، بغضّ النظر عن عقيدة الباحث. ولا شك أن علوم القرآن تمثل شرطاً أساسياً للخوض في الدراسات القرآنية. فلا يمكن تجاهل المصادر الأولية وتجارب السابقين، كذلك لا يمكن للباحث اليوم أن يتجاهل الدراسات الحديثة، والتراكم المعرفي الحاصل في العقود الأخيرة. يمكن أن تكون لنا مواقف نقدية من المعارف الإسلامية أو الغربية، ولكن لا يمكننا أن نتجاهل الثراء العلمي الموجود في كلا المنهجين، اللذين ينبغي أن نطّلع عليهما ونتحاور معهما معاً.

تحتاج المعرفة الإنسانية إلى حدّ أدنى من المبادئ المشتركة، تسمح بالتواصل والحوار، مع مساحة واسعة للاجتهاد والاختلاف والتنوع. ما يجمع المسلمين وغيرهم حول الدراسات القرآنية، هو الجانب التاريخي والفيلولوجي والأدبي، «وهو مجال منفتح على "حوار منهجي" بين الدراسات الكتابية والدراسات القرآنية. لا شك أن المسلم يتوقع من النص ما لا يتوقعه غير المسلم، باعتباره خطاباً إلهياً مؤثراً في حياة الإنسان. يولّد هذا الإيمان "محبةً تأويلية" تثق بحكمة مصدر النص، وتسعى لرؤية الانسجام داخل النص، بتأويل ما قد يبدو تناقضاً. ولكن هذا لا يمنع من الاشتراك في البحث التاريخي واللغوي للنص، مع من لا يؤمن بمصدره الإلهي. الانتماء إلى ثقافات أكاديمية متقاربة»، يسهّل إيجاد الحد الأدنى المطلوب للتواصل وتبادل النقد. والنقد هنا يشمل التثمين والرفض معاً. وأحياناً تكون الفجوة عميقة بين الثقافات العلمية؛ ما يجعل التواصل صعباً وشائكاً. في هذا المجال تُحمد جهود الأستاذ إبراهيم موسى، من جامعة نوتردام الأميركية، في جمعه طلباً من المدارس التقليدية في الهند وباكستان في دورات علمية مكثّفة، لإطلاعهم على العلوم الإنسانية الحديثة، حتى يتمكنوا من الجمع بين المنهجين، وجعل الحوار المأمول ممكناً.

الخاتمة

تمثل الدراسات القرآنية صورة واضحة عن الصراعات الفكرية التي تدور في كل عصر، فالتعامل مع أي دارس للقرآن الكريم يقتضي الإحاطة بطبيعة عصره، وكذا طبيعة الأفكار السائدة فيه، وإن مسيرة الدراسات القرآنية المعاصرة لروح العولمة يدل على حيوية هذا النوع من الدراسات وتفاعلها مع المستجدات الزمانية، غير أن

عصر العولمة سادت فيه أفكار تمخضت عنها مناهج لا تتماشى وخصوصية الخطاب القرآني، ومع ذلك دراسة القرآن الكريم ليست حكرًا على المسلمين، بل مُتاحة لكل باحث يملك الوسائل المعرفية اللازمة، يُتُرح نتائج البحث لاحقًا على محكّ النقد والتمحيص. هذه هي العولمة العلمية التي طالت الدراسات الإسلامية

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم
٢. أبو لبدة، وفاء، أثر العولمة على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي. الجامعة الأردنية، عمان..
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني (٢/ ١٠٢٨) ط. دار الفضيلة. الرياض.
٤. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني (١/ ١١). ط. مكتبة الغزالي، دمشق.
٥. فجر الإسلام، أحمد أمين (ص: ٢٢٨) ط. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



المدارس الإسلامية في كيرالا ودورها في الثقافة الدينية

السيد شفيق. بي. بي.^١
الدكتور/كي. علي نوفل^٢

الملخص:

هذه دراسة حول المدارس الدينية الابتدائية في كيرالا ونموها واسباب بدايتها وانتشارها في انحاء الولاية، تلقي هذه الدراسة الى خصائص هذه المدارس وميزات مناهجها الدراسية كما تناقش مضامين كتبها الدراسية. إن للإسلام نظريات خاصة عن الحياة الإنسانية، وإنه يهتم بطلب العلم والدراسة اهتماما كبيرا، والقران الكريم أيضا يشجع العلم والتعليم كما يحرض التدبير والبحث والعقل، الدعوة الإسلامية وانتشارها لا يمكن الا يقوم مثقف ومؤدب بالاداب الإسلامية وشريعته، والمهمات التعليمية التي بدأت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جعلت تلك الأمة سادات العالم وزعمائها بفترة قصيرة. المؤرخون يشيرون إلى أن الإسلام قد ظهر في سواحل كيرالا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، والدراسات الإسلامية قد بدأت في كيرالا منذ ظهور الإسلام، وكانت المساجد اللاتي اسست على ايد الدعاة في أنحاء كيرالا مراكزا لدعوتهم ولدراساتهم الإسلامية، وكان هؤلاء الدعاة يقضون أوقات فراغهم في هذه المساجد، والناس كانوا يزورون الدعاة في هذه المساجد لحل شكوكهم عن الاسلام، وانهم كانوا يستفتون الفتاوى من الدعاة مباشرة، والذين اكملوا دراساتهم بدأوا يعلمون الآخرين، هكذا مضت مراحل للدراسات الاسلامية حتى وصلت إلى مرحلة النمو والعلوم، تناقش هذه المقالة عن بداية المدارس الإسلامية التي كانت هي وسيلة وحيدة فقط في الدراسات الدينية الابتدائية ويبحث عن طرازها ومنهجها الدراسية ونموها.

المدارس في كيرالا:

كانت معاهد للدراسات الإسلامية، وتقوم مدارس عديدة في كيرالا تحت اشراف المنظمات الدينية المختلفة، وبدأ هذا الطريق أولا في كيرالا مصلح مشهور إسمه الشيخ جاليلاكات كونجي أحمد حاجي (Chalilakath Kunji Ahmed Haji)، انه قد نظر الى طريقة القاء الدروس في منهج اوتو بورا (OthuPura) ومنهج بالي درس (Palli Dars) وفهم عن عيوبها وعن اسلوبها الغير علمية، وقام في جانبه مصلحون اخرون مثل السيد ثناء الله مقدي تنغل فاستعد منهجا خاصا وطريقا جديدا للدراسة، وهكذا تطورت نظاما جديدا في التعاليم الدينية في كيرالا

١ محاضر، كلية دار الإرشاد العربية، بارال، تالاشاري، كاننور

٢ مشرف البحث والرئيس، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كالكوت

وسموا المدارس الدينية وقامت مقام اوتو بورا (OthuPura) واوتو بالي (Palli Dars) وأعدوا منهجا خاصا والآت جديدة لتعليم الطلاب مثل كتب المدرسية والسبورات للكتابة، ولكنه لم ينجح في اصلاحاته من الأحوال القديم نشأة المدارس الدينية

كانت هناك فكرة خاصة لبداية المدرسة الدينية في كيرالا، وذلك أن العلماء المجددين في كيرالا قد فكروا عن عيوب الدراسات الحالية ونقائصها التي كانت تسود في اوتو بورا (Othu Pura) و اوتوبالي (Othu Palli) وكان الطلاب ينقضون سنوات في هذه المعاهد بتعليم اللغة العربية، ولكنهم كانوا لا يقدرّون على نقل أفكارهم بالتكلم والكتابة في اللغة العربية، وخلافا لذلك كان الطلاب الذين يتعلمون في المدارس الحكومية كانوا يستطيعون ان يستعملوا اللغة الإنجليزية تكلما وكتابة، ففكر العلماء عن سبب هذا الاختلاف في الدراسة بين الطلاب العربية والإنجليزية، وفهموا ان السبب لهذا العجز كان أسلوب الدراسة في اوتو بورا (Othu Pura) و اتو بالي (Othu Palli) وطريقهما القديم. فإذن عزموا التجديد في أسلوب الدراسة الدينية وعقدوا اجتماعا لمناقشة هذا الامر في كاليكوت في سنة ١٩٠٩م تحت رئاسة الشيخ جاليلاكات كونجي أحمد حاجي (Chalilalath Kunji Ahmed Haji)، وكان أهم البرنامج في هذا الاجتماع وهو المناقشة حول تجديد المناهج الدراسية لدراسة اللغة العربية في المدارس الابتدائية كلفة حية، وتسلم الكاتب محمد مولوي (يعرف بـ ك. ام. مولوي) مقالة واضحة حول هذا الموضوع مع ارشادات الشيخ جاليلاكات، وأنه كان يبين في هذه المقالة عن عيوب المنهج في نظام اوتو بورا (Othu Pura) و اوتوبالي (Othu Palli) وكذلك يرشد فيها ارشادات وتبديلات وتجديدات في المنهج لتطور الدراسة اللغة العربية في كيرالا وكانت هذه بداية لتطور دراسة اللغة في كيرالا على منوال المناهج الحديثة.

المدرسة الأولى التي اسست على هذا المنهج هي مدرسة «دار العلوم» بقرية وازاكاد (Vazhakkad) يقول الدكتور اي. كي. أحمد كوتي «اشترك أحمد كوتي الحاجي - كان زعيما في قرية وازاكاد - في اجتماع انعقد تحت اشراف الشيخ جاليلاكات كونجي أحمد حاجي، ورضي بالارشادات التي قدمها هذا الاجتماع لتطور المناهج الدراسية، وقد دعى أحمد كوتي حاجي الشيخ جاليلاكات كنجي أحمد حاجي الى قريته حتى يلقي هناك ارشادات ومواعظ لتطور المناهج الدراسية في تلك المنطقة أيضا، وعين الشيخ جاليلاكات مدرسا في مدرسة تنمية العلوم في وازاكاد في السنة ١٩٠٩م، فأسس فيها منهجا دراسيا جديدا ما كان في ذهنه منذ سنوات، وغير اسم المعهد إلى مدرسة دار العلوم»^١ وعلم الشيخ جاليلاكات في هذا المعهد موضوعات جديدة عصرية بالإضافة إلى موضوعات قديمة تقليدية باستخدام الوسائل الدراسية الجديدة.

وتقبل الناس هذه المدارس وأسلوب دراستها الحديثة بقلب مقنع، «وطلب صاحبه معين كوتي كويا بادودي الشيخ الجاليلاكات لاستعداد دورة خاصة في هذا القالب للطلاب الصغار الذين كانوا يتعلمون دراستهم

١ الدكتور: إي. كي. أحمد كوتي، المسلمون في كيرالا ودراساتهم المدرسة (Kerala muslimgalum Madrasa vidyabhyasavum)، Feroke College golden jubilee souvenir، كالكوت، ١٩٩٨، ص: ١٤٦-١٤٧

الإبتدائية في اوتو بورا (Othu Pura)^١ واتو بالي (Othu Palli)» فوضع الشيخ جاليلاكات كونجي أحمد حاجي مدرسة خاصة للدراسة الإبتدائية الدينية للطلاب الصغار. «وكان المنهج الدراسي لهذه المدرسة على إطار المدرسة العليا، واستعمل فيها الات دراسية حديثة التي لم تكن تتعهد في ذلك العصر. وتعد هذه المدرسة مدرسة اولى في كيرالا للدراسة الإبتدائية الدينية على شكل المنهج الحديث وهكذا يعد مولانا الشيخ جاليلاكات كونجي أحمد حاجي أبا للمدرسة الحديثة في كيرالا»^٢.

سمات المدارس الدينية

جاء الشيخ جاليلاكات احمد حاجي بتجديدات كثيرة في هذه المدرسة لم ير هذه التجديدات في مجال الدراسات الإبتدائية الدينية في كيرالا قبل ذلك، ومنها الصفوف او الغرف لكل من مراحل الطلاب لأنها قد كانت الدراسة الدينية في كيرالا أقيمت في قاعة واحدة ولم تكن توجد تصانيف او كتب مقررة وأسس الشيخ في مدرسته الصفوف حتى قسم الشيخ الطلاب إلى أقسام حسب ملكاتهم وقدراتهم في اللغة العربية وعلوم الدين، وعين لهم كتباً خاصة تناسب لمراحلهم، وكذلك أسس الشيخ بنظام الحصص الدراسية (Period system) في المدرسة، فكان يدخل الأساتذ الجدد في كل حصة بموضوعات جديدة لكيلا يحس الطلاب السأم والكسل، وكذلك وضع الشيخ الإمتحان للطلاب في انتهاء السنة الدراسية وفي نصفها، ومع ذلك استعد في هذه المدرسة آلات جديدة كما استعد المقاعد والمكاتب للطلاب والكراسي والطاولات للأساتذة، وكذلك استبدل اللوح بالكراسة والقلم، والأساتذة أيضاً استخدموا السبورات والطباشير لكتابة الأحرف والكلمات. يقول ن. ك. أحمد مولوي عن اصلاحيه الشيخ الجاليلاكات: «الشيخ الجاليلاكات أقام بإصلاحات ملحوظة في هذا المجال، فقسم طلاب المعهد الى صفوف واستعمل في المدارس وسائل التعليم الحديثة كالسبورات وغيرها،

وكان من اصلاحاته استعمال المقاعد ومكاتب الكتابة للطلاب والكراسي والطاولات للمعلمين في كل صف، وأرشد المعلمين ان يلقوا الدراسة قياماً أمام الطلاب القاعدين ليكون إلقاء الدروس أكثر فعالية»^٣ وفي الحقيقة هذه التجديدات والوسائل كانت من أمور عجيبة في المجال الدراسي الديني في ذلك الوقت، فعرف الناس عن فوائد هذه الطريقة وتقبلوا ورحبوا بهذه الدراسة وارسلوا أولادهم إلى المدارس الجديدة لتعليم الدين واللغة. وترحب المسلمون الذين يعيشون في القرية الأخرى بجانب وازكاد بهذا النظام الجديد، وطلبوا الشيخ أن يبدأ المدارس الإبتدائية في قريتهم على هذا المنوال حتى تقوم مقام اوتو بورا (Othu Pura) وهكذا أسست مدارس عديدة في أنحاء كيرالا خاصة في أنحاء ملبار تحت اشراف الشيخ جاليلاكات شبيهة لمدرسة دار العلوم وازاكاد كما بدأت المدارس في مناطق كاننور وتالاشاري ووالابادانم وكالكوت وباراوانا وغيرها.

١ نفس المصدر، ص: ١٤٧

٢ محمد علي. كي. تي، The development of education among the Mappilas of Malabar، ١٨٠-١٩٦٥، نيو دلهي، ١٩٩٠، ص: ٤٣

٣ احمد مولوي أن. كي، الحركة الإصلاحية بكيرالا، Kannur، Mujahid state conference souvenir، كالكوت، ١٩٩٨، ص: ٤٧٦

الكتب المقررة في المدارس الدينية

كانت الوسيلة للدراسة الدينية الابتدائية في كيرالا لغة عربي - مليالم . ولكن ما كان الناس يستطيعون للكتابة والنطق في عربي - مليالم على اكمل صورها لقلة بعض الحروف المالايالية في اللغة العربية، ولذلك تجدد الشيخ جاليلاكات عربي - مليالم^١، والتحق بها بعض الحروف الجديدة التي يمكن بها النطق والكتابة في لغة مليالم كاملا بالأحرف العربية، وألف الشيخ في عربي - مليالم كتابين اسمهما «تفسير الحروف» و «أحرف الابدجية» واشتمل هذان الكتابان على المنهج الدراسي في المدرسة الابتدائية. وهكذا، «الف الشيخ نفسه كتباً أخرى للتدريس في صفوف المدرسة، مثل الكتاب في عنوان «الدينيات» و«العمليات» و«تعليم القرآن»، وألف الشيخ كتباً أخرى على اسلوبه الجديد لتعليم اللغة العربية مثل «كتاب اللغة العربية» و«الدروس العربية» وكتاب النحو وكتاب الصرف وكذلك إشتمل في المنهج الدراسي على لغة مليالم وعلوم الرياضيات»^٢

الحركات الدراسية في كيرالا

حينما كانت الإصلاحات تجري تحت رئاسة الشيخ جاليلاكات في أنحاء ملبار (Malabar)، وفي نفس الوقت كانت تجري في جهات الجنوبية في كيرالا اصلاحات في الدراسة الابتدائية تحت رئاسة المصلح الشهير عبد القادر مولوي واكم (١٨٧٣-١٩٣٢) وخاصة في جهة تراوانكور (Travancore) يقول الدكتور كي. تي. محمد علي «كان المسلمون في تراوانكور متخلفين في علوم الدين وفي دراسة اللغة العربية، ولكن انتشرت دراسة اللغة العربية والدراسة الدينية تحت اشراف عبد القادر مولوي واكم في المدارس الابتدائية الدينية التي كانت تجري على شكل الحديث»^٣ وفي نفس الوقت جرت اصلاحات كثيرة في جهات كوتشي (Cochin) تحت سيادة السيد ثناء الله مقدي تنغل والسيد محمد ماهن همداني تنغل واقاما بتسهيلات جديدة في مجال الدراسة الدينية وفي الدراسة العربية.

وأُسست المدارس الدينية الابتدائية في جهات كاننور (Kannur) في السنة ١٨٩٥ وكان مؤسسها المصلح جناب الشيخ اي. ان. كويا كونجي صاحب (١٩٥٧ - ١٨٥٨)، أولاً بدأ هذه المدرسة في بيته بإسم مدرسة معدن العلوم، «وأهم الغاية لهذه المدرسة تدريس الطلاب القراءة والكتابة ومواضيع ابتدائية عن الدين والدنيا»^٤ وفهم الناس عن مميزات مدرسة معدن العلوم فأرسلوا اولادهم إلى هذه المدرسة، حينما كثر التلاميذ في مدرسة معدن العلوم ونقلت المدرسة إلى مبنى كبير آخرى تقع في مدينة كاننور من دار كويا كونجي صاحب في السنة ١٩١٧ ثم إلى مبنى آخرى في سنة ١٩٢١م وكانت هذه المبنى تحت ملك مملكة 'اراكال' (Arakkal) وبعد هذا انتشرت شهرة هذه المدرسة إلى مراكز أخرى مجاورة لكاننور. انشأ كويا كونجي صاحب المنهج الدراسي الخاص لتعليم مدرسته، فألف نفسه كتباً خاصة حول مواضيع مختلفة، «ألف كويا كونجي صاحب كتباً مفيدة لدراسة الطلاب الذين

١ كتابة اللغة الميامية بالأحرف العربية

٢ محمد مولوي كرولي، Keralathile Madrasa Prasthanam, Mujahid state conference souvenir, Kannur، كالكوث، ١٩٩٨، ص: ٢٣١.

٣ محمد علي. كي. تي، The development of education among the Mappilas of Malabar، نيو دلهي، ١٩٩٠، ص: ٤٣.

٤ السيد أشرف، مقالة عن كويا كونجي صاحب، Deenul Islam sabhadiamond jubilee celebration، كاننور، ١٩٨٧، ص: ٦٤.

يتعلمون في مدرسته، منها كتاب الحروف العربية وكتاب مبادئ الطريقة الإسلامية وكتاب مبادئ التاريخ - أربعة أجزاء - وكتاب هداية الإسلامية وكتاب الدينيات - ثلاثة أجزاء - وكتاب سلم الديانة الإسلامية وكتاب شروط للأكل والشرب^١ وهكذا عين كويا كونجي صاحب في مدرسته اساتذة آخرين مخصصة لتدريس موضوعات غير دينية، كما كانت في مدرسته علوم الرياضيات والتاريخ مع تدريس اللغة الإنجليزية والأردوية والمليالمية. وكذلك «انه كان اول من بدأ الرحلة الدراسية لتلاميذ الدينية الابتدائية في كيرالا، وزار مع تلاميذه مواضعاً شتى في داخل كيرالا وخارجها»^٢ وفي الحقيقة ان كويا كونجي صاحب ساهم كثيراً في مجال اصلاحية الدراسة المدارس الابتدائية الدينية الإسلامية في جهات كاننور.

مساهمات المدارس الدينية

إن المدارس الابتدائية في كيرالا قد دخلت الى طريقة التقدم بعد استقلال الهند وكان هناك سببا خاصا لهذا التقدم، وإليه يشير العالم كي. تي. مانو موسليار «حينما حدثت تمرد مابلا (Mappila mutiny) في ملبار عينت الحكومة البريطانية في كيرالا لجنة خاصة لبحث اسباب هذه الحركة، فأشارت هذه الجماعة بعد تدقيقهم الى اسباب خاصة لهذه الحركة ومن اهمها عدم التربية والتعليم بين المسلمين، ولذلك عازمت الحكومة البريطانية لأن تبدأ الدراسة الإسلامية في المدارس المادية التي تجري تحت الحكومة لجذب المسلمين اليها، وبدأت في المدارس الحكومية تدريس الموضوعات الإسلامية مدة ساعة او ساعتين»^٣ فتقبل الاباء المسلمون هذه المبادرة بقبول حسن فأرسلوا بنينهم وبناتهم الى المدارس الحكومية لتعليم الدين مع الموضوعات المادية، فوجدوا هذه الدراسة مفيدة لطلابهم في علومهم الدينية والمادية، ولكن حينما استقلت الهند من ايدي البريطانيين تغيرت جمهورية علمانية، فإذن ما اباحت الدراسة الدينية في المدارس الحكومية. يقول الدكتور اي. كي. احمد كوتي «حينما اعلنت الهند جمهورية علمانية بعد الاستقلال عجزت الحكومة الهندية لإباحة الدراسة الدينية في المدارس الحكومية فمنعت الحكومة الدراسة الدينية في المدارس الحكومية سنة ١٩٤٩م، فتحيرت الزعماء المسلمين على هذا الامر الطارئ فاضطروا للتفكير عن سبيل اخر لتعليم الموضوعات الدينية بغير اعتماد على مساعدة الحكومة، فعزموا لإنتشار المدارس الابتدائية الدينية في انحاء كيرالا وهكذا اسست مدارس كثيرة تحت سيادات مختلفة منظمات شتى»^٤ ويعد هذا سببا مهما لإنتشار المدارس الابتدائية في كيرالا.

إن اول من ناضل لنشر المدارس في ولاية كيرالا هي الجمعية السلفية المسماة جمعية العلماء بعموم كيرالا (Kerala Jamiyyath Al Ulama) ولكن الجمعية الاولى التي اسست لجنة خاصة لرعاية المدارس هي جمعية العلماء بعموم كيرالا التي تأسست تحت رئاسة العلماء الشافعيين يقول اي. سي. اس. ويران مسليار «ناقش العلماء عن الأزمة الجديدة التي واجهها المسلمون من جهة الحكومة في مجال الدراسة الإسلامية فعزموا ان يشكلوا لجنة

١ نفس المصدر، ص: ٦٧

٢ نفس المصدر، ص: ٦٥

٣ مانو مسليار. كي. تي، هيئة التعليمية الإسلامية لعموم كيرالا، 1993 Mu'allim sammelana smaranika، كالكو، ١٩٩٣، ص: ٤٦

٤ الدكتور احمد كوتي. إي. كي، اللغة العربية وولاية كيرالا (1993- 94) Golden jubilee souvenir for Rouzathul uloom، (Arabi bhashayum Keralavum)، كالكو، ١٩٩٤، ص: ١٣١

باسم هيئة التعليم الديني الاسلامي بعموم كيرالا (Samastha Kerala Islamic Religious Educational Board) «قرر المؤتمر التاسع عشر لجمعية المعلمين بعموم كيرالا التي اقيمت في واداكرا (Vadakara) في سنة ١٩٥١ م هذا التصميم وبعد ذلك في نفس السنة تأسست الهيئة التعليمية الدينية الاولى في كيرالا تحت اشراف جمعية المعلمين بعموم كيرالا (سمستا)»^١ وبعد ذلك انتشرت المدارس في جميع كيرالا تحت اشراف هيئات الدراسة المختلفة على منهاج دراسية مركزة. والمنظمات الإسلامية الأخرى أيضا أسسوا هيئة تعليمية تحت اشراف جمعيتهم الأم، واصبح الأساتذة في اوتو بورا برا (Othu pura) يسارعون الى نشر المدارس ولو كانوا يمنعون الطلاب في اول الأمر»^٢.

الخاتمة

وقد اهتم المسلمون بدراساتهم الدينية اهتماما كبيرا، وكانت الدراسات الدينية تتعلق بثقافتهم الإسلامية. ليست عندنا دلائل واضحة عن بداية منوال اوتو بورا ، واوتو بالي بل المؤرخون يظنون أن الدراسة الإسلامية قد بدأت في كيرالا منذ انتشار الإسلام في الولاية. والدعاة الإسلامية الذين جاءوا من البلاد العربية كانوا يعلمون الناس العلوم الإسلامية واللغة العربية في المساجد كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولما انتشر الإسلام في أنحاء كيرالا عجز الدعاة تدريب الرجال والأبناء العلوم الإسلامية، ففكروا في سبيل آخر لإيصال الدراسة الإسلامية إلى المجتمع العام، فأسسوا المعاهد وعينوا فيها أساتذة خبراء بعلوم الدين لتعليم الأبناء في القرى والأرياف، وأسست هذه المعاهد متجاورا للمساجد او في ساحات الديار، ولذلك تعرف هذه المعاهد باسم اوتو بورا وأوتو بالي. وبعد قرون فكر العلماء المجدون في كيرالا عن نقائص هذا المنهج حيث كان الطلاب لا يقدرّون لنقل أفكارهم تكلما وتحدثا في اللغة العربية، فعزموا أن يقوموا بتجديد اسلوب الدراسة في اوتو بورا وأوتو بالي وطريق إلقاء الدروس فيها ، فأسسوا مدرسة في قرية وازاكاد باتباع منهج دراسي حديث تحت رئاسة جاليلاكات كونجي احمد حاجي كما أسسوا في الأرياف والقرى المدارس الحديثة، حتى انتشرت في ولاية كيرالا الاف من المدارس للمنظمات الدينية المختلفة واتسع مجالها في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية لمسلمي كيرالا.

١ ويران مسليار. اي. سي. اس. بداية المدارس (Madrasakalude thudakkam). المخدم، كالكوت، ١٩٩٢، ص: ٥٧

٢ مانو مسليار. كي. تي. هيئة التعليم الإسلامية لعموم كيرالا (Samastha 7th varshika)، Samastha Kerala Islam matha vidyabyasa board)، ١٩٩٦، ص: ٢٠

٣ مصطفى الفيضي، مثال لخدمات الخالص (Niswartha sevanathinte pratheekam)، تذكّر المهرجان السنوي الستين لسمستا كيرالا جمعية العلماء، كالكوت، ١٩٨٥، ص: ٣٥

المصادر والمراجع

1. Abu Haneefa Al-Faisi, Jam'iyyathul Mu'allimeen Vijaya veedhiyil, Samastha kerala sunni jamiyyathul muallimeen dassha varshika smaranika, Calicut, 2001
2. Ahmed Moulavi. N. K, Islahi movement in Kerala, Mujahid state conference souvenir, Kannur, Calicut, 1998
3. Dr. E. K. Ahmed kutty, Arabic language and Kerala, Golden jubilee souvenir for Rouzathul uloom 1993- 94, Calicut, 1994
4. Dr. E. K. Ahmed kutty, Kerala Muslims and their Madrasa education, Feroke College golden jubilee souvenir, Calicut, 1998
5. Dr. Muhammed Ali.K.T, The development of education among the Mappilas of Malabar:1800-1965, New Delhi, 1990
6. Islam matha vidyabyasa board., Calicut, 1986
7. Jeorg Menachery, Malayala Manorama Year book, Kottayam, 2002.
8. Manu Musliyar.K. T, Samastha 70th varshika smaranika1996, Samastha Kerala Islam matha vidyabyasa board., Calicut, 1996
9. Mr. Ashraf Bangali Mohalla, Koya kunji Sahib Charithram, Deenul Islam sabha diamond jubilee celebration, Kannur, 1987
10. Musthafa Al-Faisi, Niswartha sevanathinte Pratheekam, Samastha 60th varshika smaranika1986, Samastha Kerala
11. Report of the inspector of the schools, 6th division(Malabar) for the year 1868-1869, Dr. K.T. Muhammed ali, The development of education among the Mappilas of Malabar 1800-1965, New Delhi, 1990
12. Tara Chand, History of freedom movement in India, Ministry of information and broad casting, Govt of India, Nune Publication, New Dwlhi, 1983.
13. Veeran Musliyar.A. C. S, Madrasakalude thudakkam, Al-Makhdum 92, Ishaath assunna, Calicut, 1992



علي أحمد باكثير: إضاءات شخصية

الدكتور/ شهاب غانم^١

قد أكون الشخص الوحيد في هذا المؤتمر الذي عرف علي أحمد باكثير رحمه الله شخصياً. كان ذلك في أبريل ١٩٦٨ في منزل والدي الشاعر اليميني البارز د. محمد عبده غانم رحمه الله وكان والدي قد تقاعد من عمله كالرجل الأول في وزارة التربية والتعليم في منطقة خورمكسر بعدن وقبل انتقاله فيما بعد للعمل بروفيسورا في جامعة الخرطوم بالسودان ثم في صنعاء حيث عمل عميدا للتربية فالدراسات العليا فمستشارا لرئيس جامعة صنعاء الدكتور عبد العزيز المقالح.

بالإضافة إلى والدي والشيخ الأديب باكثير كان معنا في تلك الجلسة التي لا تنسى في عصر ذلك اليوم الشيخ العالم الديني الشهير محمد سالم بيحاني رحمه الله إمام وخطيب مسجد العسقلاني. كان ثلاثتهم في الخمسينات من العمر بينما كنت مهندسا في السابعة والعشرين أعمل مديرا لإحدى الدوائر الرئيسية في وزارة الأشغال والمواصلات في جمهورية اليمن الجنوبية التي كانت قد استقلت من الاستعمار البريطاني قبل ذلك بنحو ستة أشهر في نوفمبر ١٩٦٧ ولكن سرعان ما وقعت في براثن حكم شمولي متطرف مرتبط بالمعسكر الاشتراكي.

كان باكثير يرتدي بدلة سماوية اللون وكان بادي الفرع في تلك الجلسة ومن الواضح أن ذلك كان بسبب لقائه بعد كل تلك السنين بصديقيه منذ أيام الصبا غانم والبيحاني وكانت الابتسامة لا تفارق وجهه وكان يؤرجح رجليه فتزداد فرحته تجليا لي. وكان يهش لي ويتحدث معي بابتسام ومحبة كما لو كنت ندا للعمالقة الثلاثة الآخرين في المجلس وكان والدي قد أخبره أنني كنت شاعرا واعدا أكتب أحيانا شعرا جيدا وعميقا بجانب تخصصي في الهندسة. وكنت أشعر بفرح عميق لحظي أن أكون بين أولئك الأعلام والمؤلفين الكبار. وكنت قد قرأت في المدرسة بعض كتب باكثير مثل وإسلاماه وسلامة القس كما شاركت بدور بسيط في محاولة مدرسية لتمثيل مسرحية مسمار جحا. وكان استاذ اللغة العربية قد قرر علينا أستاذ اللغة العربية يومها الأستاذ عبد العزيز عمر علي بعض أبيات قال إنها لباكثير في تحفيز ولي عهد اليمن السيف أحمد للعمل الوطني ما زلت أذكر بعضها ومطلعها:

يا سيف يعرب جرد غمدك الآن فيوم بطشك بالأعداء قد حانا

^١ شهاب محمد عبد غانم الهاشمي الحسني، هو شاعر له ١٧ ديوانا باللغة العربية وديوانان بالإنجليزية وهو أول عربي يحصل على جائزة طاغور للسلام، ولد في أكتوبر ١٩٤٠ في عدن. درس في كلية عدن، ثم في عدد من الجامعات في بريطانيا والهند، هاجر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وحمل جنسيتها منذ عام ١٩٧٦م

يوم انطلاقتك من غمد شقيت به دهرًا ولاقيت من بلواه ألوانا

ولكنّي لم أجد تلك الأبيات في أي مرجع يتعلق بباكثير فربما كان المدرس قد أخطأ وكانت الأبيات لشاعر آخر. وربما يمكن لأحد الصديقين د. عبد الحكيم الزبيدي صاحب موقع باكثير أو د. محمد أبوبكر حميد الذي كتب أطروحة عنه تحت إشراف الصديق الشاعر د. عبده بدوي رحمه الله. وعلى كل حال فقد حيا باكثير ثورة اليمن شعرا إذ اقتنع بأن الامام لم يعمل ما كان في استطاعته لتطويع اليمن كما يبدو من أبياته:

ملك يموت وأمة تحيا بشري تكاذب النعيا
ما كان أبعد ان نصدقها سبحان من أردى ومن أحيا
شعب نضا الأكفان عنه وقد بليت فأهداها إلى يحيى

كما كنت معجبا بقصيدة كان باكثير كتبها للزعيم التونسي علال الفاسي قرأتها في كتاب شعراء من اليمن للشاعر الناقد العراقي المحامي هلال ناجي منها:

ذكرتك يا علال والناس هجع وليس سوى جفني وجفنك ساهد
وللهم حز في فؤادي قاطع ولليأس فتك في أمانى حاصد
تداعت على قومي الشعب فما ونت مصادرها عن حوضهم والموارد
وشتان ما حالي وحالك حالم صريع أمانيه وقرم مجالد
فآه كلانا شاعر غير أني مقيم على ضيم وأنت مجاهد

كانت زيارة باكثير لعُدن بعد أكثر من ثلاثة عقود بهدف دراسة العودة من مهجره في مصر للاستقرار في ربوع اليمن. فباكثير كان قد ذاق الأمرين في أواخر حياته في مصر حتى أطلق صرخته الشهيرة "لقد ذبحوني"، فقد تأمرت عليه بعض القوى اليسارية في مراكز الثقافة والإعلام نظرا لاتجاهه العروبي الإسلامي فحاولت خنق صوته وكانت كتبه في الفترة الأخيرة من حياته حتى وإن طبعت لا تعرض عليه لتصحيحها قبل نشرها أو تكس في الخازن ولا توزع ومسرحياته لا تمثل كما ذكر أحمد محمد عباد في كتاب (علي أحمد باكثير في ورآة عصره) الذي نشره الدكتور محمد أبوبكر حميد عام ١٩٩١، مما جعله يفكر في العودة إلى حضرموت. ولكنه بعد زيارته تلك واطلاعه على الأمور وحديثه معنا جميعا في تلك الجلسة قرر أنه لو عاد لكان كالمستجير من الرمضاء بالنار. وبالفعل بعد تلك الزيارة بفترة قصيرة هاجر الشيخ البيحاني إلى القطر الشمالي من اليمن كما هاجرت والدي بعد ذلك بقليل واستقر بي المقام في الإمارات العربية المتحدة أما والدي فعمل فترة في السودان ثم استقر به المقام في صنعاء.

ولد باكثير في إندونسي في العقد الأول من القرن العشرين لأب حضرمي وقد عاد لفترة إلى حضرموت ثم

استقر به المقام منذ ١٩٣٤ بمصر حتى وفاته عام ١٩٦٩ ووحمل جنسها ودفن فيها. والحقيقة أن باكتير لا ينتمي فقط إلى إندونيسيا وحضرموت ومصر بل ينتمي إلى كل العرب وكل المسلمين، فنحن نراه قد طوف ببلاد عربية كثيرة وبلدان إسلامية في الشرق الأقصى وأفريقيا، وتجاوب في شعره ومسرحياته مع قضايا العرب من المحيط إلى الخليج ومع قضايا المسلمين في كل مكان وخصوصا القضية الفلسطينية.

بعد وفاة زوجته الأولى في حضرموت ثم وفاة ابته منها زار باكتير عدن عام ١٩٣٢ فحياه والدي محمد عبده غانم رحمه الله بقصيدة ونشأت بينهما صداقة، وعندما ذهب والدي للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، (فكان بذلك أول من يذهب للدراسة الجامعية الحديثة من الجزيرة العربية)، كتب إليه باكتير برغبته في الدراسة في الجامعة نفسها وبعث إليه والدي باستمارة طلب الالتحاق بالجامعة، ولكن الجامعة كانت تشترط المعرفة باللغة الإنجليزية فأثر باكتير الذهاب إلى مصر حيث درس فيها وكان من زملائه من الطلبة هناك نجيب محفوظ والشاعر صالح جودت والشاعرة جميلة العلايلي. وفي عدن عام ١٩٣٢ نشأت بين باكتير وبين جدي لأمي محمد علي لقمان رجل النهضة في جنوب اليمن وصديق المهاتما غاندي صداقة خاصة وقد نزل باكتير في ضيافة لقمان الذي أنشأ أول صحيفة مستقلة في عدن تطالب بالحكم الذاتي في عهد الاستعمار وألف أول رواية في اليمن، وكان من قادة رجال الإصلاح وكان يحب باكتير ويواسيه وكان باكتير يعبر عن هذه العلاقة في قصائده بل أهدى له دواوينه «سحر عدن وفخر اليمن» للقمان وقد نشر الديوان د. حميد عام ٢٠٠٨، ومنه:

قدم يا سيدي لقمان حيا وسلوى للعليل وللحزين
فكم فرجت من همي وضيقى وكم كفكت من دمعي السخين

ثم سافر لقمان للعمل في بربرة في الصومال فلحقه باكتير إلى الصومال ولكن إلى هرجسية فكتب باكتير إلى لقمان:

إن اذكارك يا لقمان أشجاني وهاج مني أحزاني وأشجاني
في ذمة الله خلا قد سلوت به مصائب الدهر لما أن تولاني..
وفي قصيدة أخرى يكتب إلى الأستاذ لقمان يطلب منه زيارته في هرجسية:
قسما مالنا سواك ملاذ فحنانك أيها الأستاذ
لو تعطفت فانتثيت الينا لاستتب لنا المنى والملاذ

كما تكونت بينه وبين الشيخ العالم الديني محمد سالم البيجاني صداقة وأثنى عليه بقصيدة في جيبوتي لتوفيته بين العرب المختلفين هناك.

وفي حوالي عام ١٩٣٢ سافر باكتير إلى الحجاز ووجد في الطواف بالبيت العتيق وزيارة قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم شفاء لهماومه وقلقه. وكتب في الطائف مسرحيته الأولى "همام أو في عاصمة الاحقاف"، وكون صداقات مع محمد حسن الكتبي وعبد الله بلخير والشيخ الغزاوي، واتصل بالملك عبد العزيز آل سعود ومدحه

بقصائد طويلة متينة السبك وقد كتب عن هذا الموضوع الصديق د. محمد ابوبكر حميد مقالات عدة. كما نشر بعد ذلك عددا من مخطوطات باكثير. وعندما سافر باكثير إلى مصر لم يكن ينوي الهجرة بل كان يقصد طلب العلم وكان يهرب من ذكرى مأساة وفاة زوجته الصغيرة في حضرموت وكان يحبها حبا شديدا كما ينم عن ذلك شعره. وكان قد فقد ابنته الصغيرة من هذه الزوجة إذ توفيت غرقا في بركة المنزل، ويقول باكثير وهو في مصر:

فنعيد العهد إذ نرعى الصبا في جوار النيل لا نخشى اللوم
ثم نمسي بعد في أوطاننا موقظي أمتنا بين الأمم

إذن، فقد كان باكثير ينوي التزود بالعلم للعودة للإصلاح في بلاده، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد استقر وتزوج بسيدة مصرية كانت لها ابنة واستطاب له المقام. وكان قد حارب من الاستعمار وأعوانه في حضرموت لنزعه الإصلاحية وبدأ في مصر ينشر أشعاره الوطنية والإسلامية في المجالات الإسلامية وينشر شعره الغزلي وشعره الحديث في مجلة "الرسالة" للزيات ومجلة "أبوللو" التي كان يحررها د. أحمد زكي أبو شادي، وكان ينشر فيها إبراهيم ناجي وأبو القاسم الشابي والشعراء الرومانسيون. ونشر في مصر مسرحية "همام" ثم ترجم وهو طالب في الجامعة مسرحية "روميو وجولييت" لشكسبير بالشعر الحر التفعيلي ولذلك يعتبر باكثير أول أو من أوائل من استعملوا الشعر الحر في اللغة العربية وكان ذلك قبل السياب ونازك الملائكة باكثير من عقد من الزمن. وترجم باكثير جزءا من مسرحية أخرى لشكسبير بالشعر البيتي (أو ما يسمى بالعمودي)، كما كتب مسرحية (اخناتون ونفرتيتي) بالشعر المرسل قبل تخرجه من الجامعة ١٩٣٨. وبعد أن اشتغل مدرسا كتب أعمالا أخرى مثل روايته (سلامة القس) و(وا إسلاماه) وقد حولتا إلى أعمال سينمائية.

التحق باكثير بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد) قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٤ وتخرج فيها عام ١٩٣٩، ثم التحق بمعهد التربية للمعلمين وحصل على الدبلوم العالي عام ١٩٤٠. ومنذ عام ١٩٤٣ وهي سنة تأليف رواية سلامة القس، أصبح معظم نتاجه في مجال النثر بعد أن كان يعرف قبل ذلك شاعرا، فكتب المسرحيات النثرية بشكل خاص وبعض الروايات وغدا فيما بعد عضوا في لجنة الشعر والقصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وكانت له علاقة متينة بعباس محمود العقاد وأيضا بالمازني والزيات ومحب الدين الخطيب ويوسف السباعي وغيرهم.

وكان باكثير متأثرا بأمثال جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده أثناء إقامته في حضرموت فلما انتقل إلى مصر وجد نفسه قريبا إلى تلامذتهم أمثال إسعاف النشاشيبي، ومحب الدين الخطيب ومحمد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان، وكان باكثير يرى أن العروبة وعاء الإسلام والإسلام روح العروبة. وعندما قامت الثورة في مصر تحمس لها وقال يخاطب المجاهد الجزائري الفضيل الورتلاني عندما قدم إلى مصر بعد الثورة، وكان الفضيل قد أثر كثيرا في حركة الأحرار في اليمن التي كان من زعمائها شاعر اليمن الكبير القاضي محمد محمود الزبيري والشيخ أحمد محمد النعمان وعبد الله الوزير والسيد أحمد بن محمد الشامي وغيرهم:

أفضيل هذي مصر تحتفل بلقاك فانعم إليها البطل
انظر تجد مصر محررة منذ تم فيها الحادث الجلل
الوثبة الكبرى بها سبب تحيا به أمجادنا الأول
ستعم بعد غد مبادئها وطن العروبة فهو متصل

ويكتب باكتير مسرحيته "مسمار جحا" التي دفعت به إلى قمة الشهرة في مصر ومسمار جحا يرمز إلى قناة السويس التي استعملها المستعمر عذرا للتشبث بالبقاء في مصر. وأحب المصريون باكتير منذ ذلك الوقت وعندما وقع العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ يقول باكتير غاضبا:

يا بني العرب يا بني العرب لا أسمع غير الصدى اليّ يعود
أين أنتم لادر در أبيكم أقصور تضمكم أم لحدود؟

ولقد كتب باكتير عددا كبيرا من المسرحيات السياسية مثل "الزعيم الأوحده" و"حبل الغسيل" و"امبراطورية في المزاد" و"عودة الفردوس" و"شعب الله المختار" و"إله إسرائيل" و"شيلوك الجديد" و"الدودة والثعبان" وكثير منها في قضية العرب الأولى. كما كتب ١٤ مسرحية تاريخية وبعض المسرحيات الأخرى، وبعضها كانت بالشعر. كما كتب ملحمة عمر في ١٩ جزءا كما أن له عدداً من الدواوين والمؤلفات التي ما زالت مخطوطة لم تنشر، ولعل الخيط الذي يربط نتاجه بشكل عام هو ذلك الارتباط بين الإسلام والعروبة في وجدانه.

وتذكرنا شهرة باكتير في مصر بالشاعر عمارة اليميني الذي ذاع صيته بعد أن هاجر إلى مصر في أواخر عهد الفاطميين، فالقاهرة قلب العروبة النابض مركز حضاري كبير يمكن أن تظهر فيه المواهب التي يمكن أن تبقى معزولة في بلاد فقيرة كاليمن لا تمتلك وسائل الإعلام فتبقى شهرتها محلية إلى حد كبير. كما حصل لشعراء يمينيين أمثال علي لقمان ومحمد سعيد جراده ولطفي أمان رغم مواهب هؤلاء الكبيرة. أما الأدباء اليمينيين المعاصرين الذين اشتهروا خارج اليمن فقد نجحوا في ذلك غالبا بسبب نشر كتبهم خارج اليمن في القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد ونشر قصائدهم ومقالاتهم في المجلات والصحف العربية والمشاركة في المؤتمرات والمهرجانات خارج اليمن كالدكتور محمد عبده غانم وعبدالله البردوني والدكتور عبد العزيز المقالح. كما عرف بعضهم بعد انتمائهم لدول خليجية حيث وجدوا مجالا للنشر مثل أحمد السقاف في الكويت وكاتب هذا البحث في دولة الإمارات العربية المتحدة. وعندما فجع العالم العربي بوفاة باكتير رثاه الكثيرون ومنهم صديقه والدي د. محمد عبده غانم بقصيدة طويلة مطلعها:

أعلمت بالنبا الخطير يطغى على ثيج الأثير..
ويقول قد أودى الردى بعلي أحمد باكتير..



أهداف مجلة الصباح للبحوث وشروط نشرها

ترحب هذه المجلة بالبحوث المبتكرة ذات الصلة بأي مجال من المجالات الأدبية واللغوية والنقدية والتربوية والثقافية والفنية.

أهداف المجلة

- تقوم المجلة بنشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم.
- تهتم المجلة بنشر الدراسات في أي فضاء من علوم العربية من نحو وبلاغة وصرف وعروض.
- تعنى المجلة بنشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها.
- تفضل المجلة بنشر المقالات المبتكرة في أي مادة من مواد الوسائل التعليمية النظرية للغة العربية للناطقين بها وبغيرها.

شروط النشر

- أن تكون المقالة ذات القيمة البحثية العربية ولم يسبق نشرها في أي مجلة أخرى.
- أن يكون عدد الصفحات يتراوح ما بين ٦-٨ صفحات.
- أن تكون المقالة على منهجية البحوث الأدبية العلمية في اعدادها وكتابتها من توثيق وهوامش وملاحق ومصادر ومراجع.
- أن تكون المقالة مطبوعة مصححة على برنامج Microsoft Word في نوع خط Simplified Arabic وحجمه ١٤.
- أن تشمل المقالة على كتابة عنوانها واسم كاتبها مع البريد الإلكتروني ورقم الهاتف والسيرة الذاتية الموجزة.
- أن ترفق المقالة ملخصاً في حدود الصفحة بما فيه الكلمات المفتاحية وتحديد مشكلة البحث وأهداف الدراسة والمراجعة النقدية لما سبق وكتب عن الموضوع ووصف منهجية البحث والتحليل والنتائج.

الملاحظة

- المقالة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري.
- المقالات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها والمقالات المرفوضة لا تعاد إلى أصحابها

MEMBERS

- Dr. Yunoos Salim, Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College
- Dr. Sajith E.K , Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College
- Dr. Abdul Majeed, Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College
- Dr. Muhammed Abid U.P., Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College
- Dr. Abdul Jaleel. M, , Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College
- Dr. Abbas. K.P, Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Dept of Arabic, Farook College

PANAL OF REFEREES

- Dr. E . Abdul Majeed, Asst. Professor and Head, Department of Arabic, University of Calicut
- Dr. Md. Qutbuddin, Associate Professor, Center for Arabic and African studies, JNU New Delhi
- Dr. N. Abdul Jabbar, Former Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
- Dr. k . Jamaludeen Farooqi, Former Principal, W.M.O. College, Muttill, Wayanad
- Dr. U. Sayed Alavi , Principal, Malabar College of Advanced Studies, Vengara, Malappuram
- Dr. C. Sayed Alavi , Principal, Unity Women's College, Manjeri, Malappuram

EDITORIAL BOARD

ADVISORY BOARD

- Dr. Mohammed Basheer.K, Vice Chancellor, University of Calicut
- Dr. T.A. Abdul Majeed, Registrar, University of Calicut
- Dr. KM Naseer, Principal, Farook College
- Dr. Mahmoud Darabseh, Professor and Dean of Students Affiers, University of Sharjah, U.A.E
- Dr. C.P. Aboobacker, Former Head, P.G & Research Dept. of Arabic, Farook College
- Dr. Basheer Ahmed Jamali, Professor & Head, Center for Arabic and African studies, JNU New Delhi
- Dr. Habeebulla Khan, Professor and Head, Jamia Millia Islamia, New Delhi
- Dr. Rizwanur Rahman, Center for Arabic and African studies, JNU, New Delhi
- Dr. Sanahulla Nadvi, Aligarh Muslim University, Aligarh
- Dr. N.A.M Abdul Khadir, Honorary Professor, Department of Arabic, University of Calicut
- Dr. A.B. Moideen Kutty, Director, Minority Welfare Department. Government of Kerala.

CHIEF EDITOR

- **Dr. ALI NOUFAL. K**
Asst. Professor, Research Supervisor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

EDITOR

- **Dr. SAGEERALI .TP**
Asst. Professor and Research Supervisor P.G & Research Department of Arabic, Farook College

□ Please note that all correspondence to be addressed to:

Editor,

Majallath Al Sabah Lil Buhooth, P.G & Research Department of Arabic,
Farook College, Farook College (PO) Calicut Dt., Kerala, India, 673632

Email: majallathalsabah@gmail.com
hodarabic@farookcollege.ac.in

Website: www.farookcollege.ac.in

Phone : 0495 2440660 Fax: 0495 2440464

(C) Copyright rests with the authors of the respective papers, who alone are responsible for the contents and views expressed

Published by: P.G & Research Department of Arabic, Farook College

Printers : Puthiyara Printers, Calicut, 673004